

قصة السويس
آخر المعارك في عصر العمالة

اهداءات ٢٠٠٠
أ.د. محمد وجيه بكوي
الأستاذ بهندسة الإسكندرية

محمد حسنين هيكل

قصة السويس

آخِر المعارك في عصر العمالقة

- القصة التي عاد العالم الى اسرارها بعد عشرين سنة : ١٩٥٦ - ١٩٧٦ .
- صراع بين عبدالناصر وايدن وموليه وبن جوريون على مستقبل الشرق الاوسط
- تشرشل وايزنهاور وديجول ونهرو وتيتو وهمرشولد بين ابطال القصة .
- الانتصار العربي « الكامل » في عصر الحرب المحدودة ونظرياتها الجديدة .

حقوق النشر محفوظة

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر
ص.ب ٨٣٧٥
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى - ١٩٧٧
الطبعة الثانية - ١٩٨٢

الحديث الأول :

بعد عشرين سنة
نظرة على حرب السويس

اعود الى حرب السويس في مناسبة من تلك المناسبات التي يحلو - عادة - للناس فيها استرجاع الذكريات ، وتقليب صفحات الامس القريب ، وتأمل صوره ، وتمثل مشاهده ...

ففي مثل هذه الفترة من هذا العام : يوليو الى ديسمبر ١٩٧٦ ، تكون قد مرت بالضبط عشرون سنة على الفترة من يوليو الى ديسمبر ١٩٥٦ ، وتلك هي فترة معركة السويس بكل ما احتوته وعنته ورمزت اليه من ايامها وحتى هذا اليوم .

وعشرون سنة ، دورة من دورات الزمان لها ايقاع خاص ومتميز ، يستطيع ان يكون هادئا ورسينا ، خاليا من اللفهة والعجلة ، بعيدا عن نطاق الضغط والالاحاح طلبا للتاثير النفسي والدعائي ، وهو على هذا النحو يكون اقرب الى كلمة التاريخ منه الى صرخة السياسة .

وهذا طبيعي ...

بل ان هذا هو الفارق بين السياسة والتاريخ .

فأي حدث من الاحداث يظل « سياسة » طالما هو لا يزال تحت سيطرة صناع القرار والمؤثرين فيه على القمم او بقربها .

ولكنه حين يخرج من هذه السيطرة يصبح « تاريخا » ويتحول الى شيء تصعب السيطرة عليه ، لانه يدخل حصيلة مضافة الى خزائن التجارب الحية لشعوب وامم واوطان .

ولعلي انبه مبكرا - في هذا الحديث - الى انني لا احاول كتابة تاريخ كامل للسويس ، فموعدي مع ذلك - اذا ساعدتني الظروف وشاء الله - عندما احاول كتابة القصة الكاملة لجمال عبد الناصر وعصره - ولكن ما احاوله اليوم - ولا اتعداه - هو مجرد رسم خطوط عريضة لقصة عظيمة لم تعد الان

تحت سيطرة « السياسة » ، وانما خرجت ولو قليلا من دائرة هذه السيطرة وتحركت خطوة او خطوات في اتجاه دائرة التاريخ . . . هذا هو كل شيء الان .

واعترف ان هناك عوامل متعددة تغريني بقصة السويس الان ، الى جانب الدورة الزمنية لعشرين سنة مرت وعبرت ، وبين هذه العوامل ما يلي :

١ - ان احدا لن يحتفل - كما ينبغي - بهذا العيد العشرين لقصة السويس ، والسبب ان التقويم السياسي الجديد في مصر يعتبر حربها هزيمة ضمن الهزائم التي لحقت بالعرب في مواجهتهم المستمرة مع اسرائيل ، وذلك خلط بلا نهاية ، وهو نموذج من النماذج البائسة لمحاولات السياسة ان تتصدى للتاريخ بينما وقائمه لم تعد تحت سيطرتها ، وهي تستطيع « سياسيا » ان لا تحتفل ، ولكنها « تاريخيا » لم تعد تستطيع ان تمحو او تثبت في الالواح المحفوظة ، ومن ثم فهي تملك الصمت في المناسبة ، ولكن صمتها يؤثر فيها هي باكثر مما يؤثر في التاريخ .

وليس يضايقني ان يكون صوتي وحيدا في الحفاوة بذكرى السويس ، وان كنت اعلم يقينا ان صوتي ليس هو الصوت الوحيد .

٢ - ان انتصار السويس - وكان انتصارا - يستحق الدراسة والتأمل ، ولعلي ازمع انه كان « اكمل » انتصار في تاريخ العرب الحديث ، بل انه كان « اكمل » انتصار في تطبيق نظريات الحرب المحدودة منذ ظهرت هذه النظريات في اعقاب التعادل النووي بين القوتين الاعظم : الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، مما سبب استحالة الحرب الشاملة بينهما مباشرة او في ظلال موازين القوى الحساسة بينهما على اتساع العالم كله .

قبل ذلك كانت الحرب طبقا لآراء « كلاوزفيتز » - اكبر اساتذة علوم الحرب وفلاسفتها - هي التجاء مجتمع الى القوة المسلحة لكي يكسر ارادة مجتمع آخر ويفرض عليه مشيئته كاملة .

واما الحرب المحدودة ، حتى طبقا لآراء هنري كيسنجر ، فهي « عمل سياسي شامل يلجأ الى القوة المسلحة في مرحلة من مراحل تحقيق هدف معين لا يستدعي بالضرورة كسر ارادة الخصم او فرض مشيئة المنتصر عليه كاملة » .

وكانت حرب فيتنام - على سبيل المثال - حربا محدودة ، ولم يكن هدف الشعب الفيتنامي ان يكسر ارادة المجتمع الامريكى او ان يفرض عليه مشيئته

كاملة ، وانما كان هدفه ان يرغم الولايات المتحدة على فك قبضتها عن فيتنام الجنوبية ليسهل كنس نظام « فان ثيو » وتحقيق وحدة فيتنام شمالا وجنوبا ، وكان اسلوب الشعب الفيتنامي هو الكثير من المقاومة السياسية والكثير من التعبئة المعنوية والقدر الكافي فقط من استعمال القوة المسلحة في حى توازن القوة العالمية بين العملاقين حتى تصل الولايات المتحدة الى نقطة تجد فيها البقاء في فيتنام اكثر تكلفة من الجلاء عن فيتنام .

• وهكذا كان .

• وكانت حرب السويس من هذا النوع من الحرب المحدودة .

وكانت مصر فيها وحدها امام ثلاث دول غازية : بريطانيا وفرنسا واسرائيل ، ولم يكن هدف مصر ان تكسر ارادة الثلاثة وتفرض عليهم مشيئتها كاملة ، وانما كان هدفها ان تفك قبضة الثلاثة عن الجوائز الكبرى التي كانت هدف القتال .

وفي الحرب المحدودة فان فك قبضة العدو عن اهداف الحرب هو معيار النصر والهزيمة .

اي انه بعد انتهاء المعارك يكون السؤال المهم هو :

– اين جوائز الحرب ، وفي اي يد هي ؟

والذي تكون الجوائز في يده يكون النصر له ، والذي لا تكون الجوائز في يده تكون الهزيمة من نصيبه ، قبض الريح يبقى له والخيبة والفشل .

وكانت جوائز حرب السويس ثلاث:

قناة السويس وفي يد من هي ؟

وصحراء سيناء وفي يد من هي ؟

وقطاع غزة وفي يد من هو ؟

وبعد انتهاء المعارك كانت هذه الجوائز كلها في يد مصر : القناة سليمة تحت سيطرتها وارادتها ، وصحراء سيناء جزء من سيادتها ، وقطاع غزة امانة في عهدها .

• واذن ، كان انتصارها كاملا .

٣ – ان حرب السويس كانت تجربة هائلة من تجارب العمل القومي العربي وقدرته ، وإن من غير تنسيق مسبق بين الأطراف .

كانت مصر تحارب وحدها ضد ثلاثة في ميدان القتال .

ولكن بقية الامة العربية لم تلزم موقف المتفرج ، وانما راح كل طرف عربي يجد لنفسه الوسيلة التي يستطيع بها مساندة مصر .

وفي حين وجدت مجموعة من الضباط السوريين الشباب ان خير مساعدة يقدمونها لمصر هي نسف خطوط انابيب البترول التي تحمل نطق الموصل الى البحر الابيض المتوسط فنسفوها ، فان جماهير عريضة وواسعة راحت على كل بقعة من الارض العربية تتظاهر سلما وعنفا في تأييد مصر وشعبها وجيشها وقيادتها .

وكان الدليل الاكبر على عمق وحدق المعركة هو «الحالة» التي خرجت بها الامة العربية من المعركة ، فلقد خرجت هذه الامة من معركة السويس بانديفاع اكبر وتصميم اشد ، وهكذا كانت الوحدة بين مصر وسوريا نتيجة حتمية من نتائج حرب السويس ، كذلك كان تراجع الاستعمار من شبه الجزيرة العربية والخليج اثرا باقيا من آثار انتصار السويس ، ثم كان تنبه العرب الى اهمية مواردهم الطبيعية وعيا مضافا اكتشفوه على وهج اللهب من معارك السويس .

٤ - ان جو السويس كان هو الاختبار الذي نجح ونضج فيه جيل الخمسينات في العالم العربي ، وهو الجيل الذي تحمل على اكتافه مسؤولية الانتقال العظيم من عصر الاستعمار والسيطرة الاجنبية على الاقدار العربية الى عصر الاستقلال والارادة العربية الحرة والمتحررة ، ثم هو الجيل الذي رأى الاشارات والايامات الاجتماعية في قضية الاستقلال الوطني فراح يتابعها، ونجح احيانا ولم ينجح في احيان اخرى .

كان هذا هو جيل جمال عبد الناصر واحمد بن بيللا وهواري بومدين وعبد السلام عارف وجماعات الضباط الوجدويين في سوريا والطلائع الملتزمة من حزب البعث العربي الاشتراكي في منطقة الهلال الخصيب ، وهو جيل كتب عليه ان يكون جسرا تمشي - وتدوس احيانا - عليه امة بأسرها من مرحلة الى مرحلة في النضال .

كان هذا هو الجيل الذي فتح الطريق تحت شعارات « الحرية والاشتراكية والوحدة » و « من المحيط الى الخليج » و « بترول العرب للعرب » و « نصادق من يصادقنا ونعادي من يعادينا » و « نحن جزء من حركة الثورة الوطنية في العالم » ، الى اخره الى اخره .

وربما كان أفسى نقد يمكن توجيهه الى هذا الجيل أنه «كان يعرف ما لا يريد بوضوح ، ولكنه لم يكن يعرف ماذا يريد بنفس هذا الوضوح ، ، وهذا صحيح الى حد ما ، ولكنه لا ينقص من اهمية نضال هذا الجيل ولا من شرف تضحياته .

٥ - ان معركة قناة السويس كانت هي المناسبة التي استطاع فيها الاتحاد السوفيتي ان يحقق ويعلمن تعادله مع الولايات المتحدة في حيازة اسلحة الدمار الشامل ، وكانت تلك ذروة عصر من العصور الدولية ، هو عصر الحرب الباردة التي يستحيل بين العملاقين ان تتحول الى حرب ساخنة تستعمل فيها اسلحة الدمار الشامل ، وكانت تلك ايضا بداية عصر جديد ، وذلك ما يحدث في الحركة التاريخية دائما ، فان وصول عصر من العصور الى ذروته لا يعني ثباته حيث هو ، وانما يعني بداية متغيرات تلحق عليه وتدخل به الى طور جديد .

كان الانذار السوفيتي في السويس هو ذروة الحرب الباردة ، وفي نفس الوقت فقد كانت هذه الذروة نفسها هي الباب الذي فتح امام ضرورات الوفاق .

وكان تعاون الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية - تحت احكام التعادل بينهما في اسلحة الدمار الشامل - اعلانا بعيلا « ثنائيا » دولية على القمة تحكم النظام الدولي وتفاعلاته ، ولكن ظهور هذه الثنائية كانت العامل الذي ادى الى عصر تعدد مراكز القوة في النظام الدولي .

فلقد ادركت فرنسا مثلا انه لم يعد في استطاعتها ان تعتمد على المظلة النووية الامريكية لحماية تصرفاتها ازاء ما تراه في مصلحتها الوطنية ، وهكذا راحت فرنسا تبني لنفسها قوة نووية مستقلة تستطيع ان تنام في امانها .

ونفس الشيء مع الصين .

٦ - ولقد ادت معركة السويس الى تغييرات عنيفة في مواقع القوة في النظام الدولي .

تحولت بريطانيا - كما كانت خشية ايدن اثناء المعركة - من دولة كبرى الى دولة متوسطة .

وسقطت الجمهورية الفرنسية الرابعة ، وجاء ديغول بالجمهورية الخامسة .

وادركت اوروبا كلها ان عصر الكيانات الصغيرة والمبعثرة لم يعد يكفل الامن والرخاء ، وهكذا تطور مجتمع الفحم والصلب الى سوق اوروبية

مشتركة ، ما لبثت ان وجدت لنفسها غطاء سياسيا بفكرة الوحدة الاوروبية .

٧ - وكانت السويس هي النقطة الفاصلة والحاسمة في حركة تحرر المستعمرات في افريقيا وامريكا اللاتينية .

هبت رياح التغييرات على افريقيا ، وظهرت الزعامات الوطنية للقارة السوداء من امثال قوامي نكروما ، واحمد سيكوتوري ، وموديبا كيتا ، وكينياتا ، ونيريري ، ولومومبا ، وغيرهم .

وكانت القاهرة مركزا لكل حركات التحرير الافريقية ، حتى تلك التي لم تحقق انتصارها الا قريبا ، كثورة «نيتو» في انجولا على سبيل المثال .

وفي امريكا اللاتينية كانت اصدااء السويس ترن على سفوح جبال «مايسترا» ، حيث كان فيدل كاسترو يقود جماعات من الثوار لا يشعر بهم احد في الدنيا ضد حكم باتيستا الذي اسلم نفسه للسيطرة الامريكية .

ومع اصدااء السويس ترن على الجبال ، كانت كلمة فيدل كاسترو ، وقد سمعتها منه بنفسه :

- اذا كان شعب مصر قد استطاع مواجهة بريطانيا وفرنسا واسرائيل ، افلا نستطيع نحن مواجهة جيش باتيستا ؟

ويستطرد كاسترو :

- كانت السويس الهاما لنا في كوبا .

٨ - واخيرا فان السويس كانت آخر صراع ضخم شارك فيه العمالقة على نحو آخر في ساحة المعركة مباشرة او من حول الساحة .

في ميدان القتال كان هناك جمال عبد الناصر من ناحية ، وعلى الناحية الاخرى دافيد بن جوريون وانطوني ايدن وجي موليه .

وبالقرب من ساحة المعركة كان هناك الكبار من اصدااء عبد الناصر في تيار عدم الانحياز : نهرو وتيتو ، وعلى الناحية الاخرى كان تشرشل في الكواليس يسمع من ايدن ويشير عليه ، وكان ديجول يؤدي نفس الدور الى حد ما بالنسبة الى الحكومة الفرنسية .

وكانت خطط غزو مصر قد عرضت على كبار مارشالات الحرب العالمية

الثانية . مونتجمري ، ومونتباتن ، وغيرهما .

وفي المجال الدولي كانت ساحة الازمة تضم اكبر اسماء العصر :
ايزنهاور ، وخورشوف ، وبولجانين ، وزوكوف ، ودالاس ، وممرشولد ،
ومحمود فوزي ، وليستر بيرسون ، وكريشينا مينون ، وغيرهم وغيرهم .

كان صراعا للعمالقة ، في عصر العمالقة .

كانت آخر معركة للعمالقة ٠٠٠ . وبعدها بدأت الساحة تخلو منهم واحدا
بعد الاخر ، حتى كان لم تعد في السماء نجوم على حد تعبير الصحفي العالمي
الشهير سالزبيرجر مؤلف كتاب « آخر العمالقة » !



هذه مجموعة اسباب تتعلق كلها - على نحو آخر - بشكل الاحداث التي
كانت .

ولكن التاريخ ليس علم الماضي ، وانما هو علم المستقبل ، وذلك هو
الفرق بين التاريخ والاساطير .

الاساطير تتوقف عند ما كان ، واما التاريخ فان عطاءه مستمر كل يوم .
والعطاء التاريخي للسويس بغير حدود واستعادة الذكرى من هذه الزاوية تصبح
لها من ثم فائدة كبرى :

● وتعلمنا تجربة السويس مثلا ان الثقة بالنفس هي الحد الفاصل بين
النصر والهزيمة .

والثقة بالنفس ليست كبرياء رئيس او قائد او زعيم ، وانما الثقة بالنفس
هي ايمان شعب بقدره واستعداده للذهاب حتى آخر المدى في سبيل تحقيق ذاته
والدفاع ليس فقط عن مصلحته العاجلة وانما عن حلمه المستقبلي قبل المصلحة
العاجلة .

وبالمقاييس العادية فانه كان مفهوما ان يقف الشعب المصري وحده في
معركة مع اسرائيل وحدها ، ولكن شيئا آخر - غير عادي - هو الذي جعل
الشعب المصري يقف ، ويقف بصلاية ، في معركة تخوضها ضده بريطانيا
وفرنسا بعد اسرائيل ، بل قبل اسرائيل .

● وتعلمنا تجربة السويس كذلك ، انه في الصراعات الحديثة فان
السؤال المهم والحيوي ليس هو :

– كم احتل العدو والمهاجم من اراضيها ؟

وانما السؤال المهم والحيوي هو :

– كم احتل العدو والمهاجم من اراقتنا ؟

لقد ثبت في الصراعات الحديثة ان كل مساحة من الارض احتلتها العدو قابلة للاستعادة طالما بقيت الارادة ، ولكن احتلال اي جزء من الارادة هو الضياع الذي لا سبيل الى استرجاعه .

● وتعلمنا تجربة السويس اسلوبا في ادارة الصراع ما زلنا بحاجة الى دراسته ، فلم تكن السويس مغامرة يائسة ، ولا كانت اسبابها قرارا اتخذه جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس ردا عصبيا وانفعاليا على قرار اتخذه جون فوستر دالاس بسحب المساهمة الامريكية في بناء السد العالي .

كانت المسألة اكبر من ذلك واعمق ، كانت مواجهة هائلة سياسية وعسكرية واقتصادية ونفسية بين شعب صغير يطلب حقه ، وقوى دولية كبرى تنكر عليه .

● واخيرا تعلمنا تجربة السويس دروسا لها اهميتها في عوامل واسباب صنع القرار السياسي فيما يتعلق بمنطقتنا ، ويساعدنا على هذه الدروس ان معظم الخبايا من قصة السويس قد ظهرت وبانت وثائقها ، وان كان بعضها لم يعلن رسميا حتى الان .

تعلمنا كيف يحدث ويدبر التواطؤ .

وتكشف لنا نقط الصدام المتفجرة في صراعنا المستمر .

وتظهر لنا الكثير من النوايا والمقاصد .

ولقد تظهر الامور امامنا في ضوء جديد اذا تذكرنا ان حرب السويس كانت مدخلا الى حرب سنة ١٩٦٧ ، فلقد تقدم في هذه السنة نفس اعداء سنة ١٩٥٦ ليصفوا الحسابات القديمة التي لم يستطيعوا تصفيتها في السويس سنة ١٩٥٦ .

ثم اذا تذكرنا ان حرب سنة ١٩٧٣ كانت رد فعل لحرب سنة ١٩٦٧ .

ثم اذا تذكرنا ان الصراع مستمر .

هكذا فان السويس لا تصبح قصة تروى عن الماضي . . . وانما تصبح مجالا من مجالات صنع المستقبل .

أوليس هذا - كما اتفقنا - اهم الفوارق بين الاساطير والتاريخ !؟

أحدِيثُ الثَّانِي :

كُلُّ الطَّرِيقِ تُؤَدِّي إِلَى السُّوَيْسِ
وَكَانَتْ إِسْرَائِيلُ أَوَّلَ مَنْ وَصَلَ إِلَى الطَّرِيقِ

كانت اسرائيل اول من وصل الى طريق السويس

كان شركاء الحرب ضد مصر سنة ١٩٥٦ اربعة ، ولم يكونوا ثلاثة كما هو شائع في تعبير « العدوان الثلاثي » .

كان هؤلاء الشركاء الاربعة ، بالترتيب الزمني لاتخاذهم «طريق السويس» منفذا الى القاهرة ، على النحو التالي :

● اسرائيل : وقد سبقت الكل على الطريق .

● فرنسا : وقد شدتها اسرائيل على الطريق في بعض المراحل ، وفي بعضها الاخر كانت فرنسا هي التي تشد اسرائيل .

● بريطانيا : وقد سارت على طريق السويس تجر اقدامها ، وفرنسا تسحب وتدفع .

● ثم الولايات المتحدة : وقد سارت شوطا على طريق السويس ، ثم تخلت عنه الى طرق اخرى ظنتها اسرع نفاذا الى القاهرة ، وهكذا اختلفت مع بقية الشركاء في الوسائل وليس في الاهداف النهائية ، وبلغ خلافها مع بقية الشركاء ذروته حين وجدت أن تصميم الاخرين على اتخاذ طريق السويس يشكل تهديدا لسيطرتها على المعسكر الغربي كله الذي لا يحق له أن يتصرف بغير اذنها لانه لا يستطيع مواجهة العواقب بغير حمايتها ، ومن ناحية اخرى لان طريق السويس بملايساته ومضاعفاته كاد أن يفاجيء السائرين عليه باحتمالات مواجهة مع الاتحاد السوفيتي في وقت حكمته استراتيجية « الردع النووي الشامل » ، ولم تكن نظريات « الرد المرن بالاسلحة غير النووية قد ظهرت بعد ، ولا كانت اسلحتها متوفرة ، ولعل «السويس» كانت نقطة البداية في هذه النظريات عن « الرد المرن » ، وذلك رأى الجنرال «ماكسويل تايلور» رئيس هيئة أركان حرب الجيش الامريكى والداعية الاكبر لهذه النظريات عن « الرد المرن » .

□

وكانت اسرائيل امام الجميع على طريق السويس بحكم اهتمامها الذي لا يدانيه اهتمام بكل ما يجري في مصر ، عن يقين كامل لدى قيادات اسرائيل السياسية والعسكرية بأن الطرف العربي الوحيد القادر على شن الحرب ضد اسرائيل هو مصر ، سواء بمفردها أو بتصالف عربي تستطيع وحدها اقامته ، وكانت القيادات الاسرائيلية تعتقد أن هذا الوضع الخاص لمصر سوف يستمر معها الى - نهاية القرن الحالي على الاقل ، وبعده ربما - ربما - تغيرت الموازين ونشأت في منطقة الهلال الخصيب وحولته قوة تقدر على التحدي بدون دور رئيسي لمصر وحتى بدون مشاركتها .

وعلى هذا الاساس كانت مطالب الاستراتيجية الاسرائيلية الثابتة تجاه مصر ثلاثة :

١ - ابقاء مصر ضعيفة ، متخلفة ، غير قادرة على اقامة البناء الاقتصادي - الزراعي والصناعي المتطور - الذي لا يمكن بغيره ان يقوم بنيان اجتماعي متماسك . وباختصار أن يظل الانسان المصري كيانا مقهورا ، مطحونا ، عليلا ، غائبا عن الوجود الحضاري بكل قيمه - تماما كتلك الصورة التي رسمتها « جولدا مائير » في كتابها « حياتي » الذي وصفت فيه الناس داخل محطة سكة حديد القاهرة حين وصلت اليها في العشرينات في طريقها الى فلسطين : « اكوام من اللحم والعظم المغطى بالتراب والذباب بجوار جدران المحطة ومن حولهم تلال من القفف والاقفاص والاكياس وخرق القماش القذر تحمل كل ما لهم في الحياة ، بل تحمل أقدارهم البائسة اليائسة ! » .

٢ - ابقاء مصر معزولة عن بقية العالم العربي ، لا تشعر حتى مجرد شعور أولى أنها جزء من كل يستطيع يوما ان يعطي نفسه فاعلية تؤثر في موازن الصراع الذي تخوضه اسرائيل لتثبيت اقدامها في المنطقة وتوسيع دائرة سيطرتها المباشرة وغير المباشرة .

وفي هذا كانت اسرائيل تريد ان تظل اهتمامات القاهرة متجهة الى الخرطوم في الجنوب على أقصى تقدير تحت ضغوط وادي النيل أو أوهايم وحدة التاج بين مصر والسودان ، وفي نفس الوقت تبقى صحراء سيناء عازلا يفصل ما بين المشرق العربي في آسيا والمغرب العربي في افريقيا ، وكان لا بد للصحراء العازلة أن تكون فراغا من أي قوة ، ومنذ ذلك الوقت المبكر اتخذت الاستراتيجية الاسرائيلية من صحراء سيناء مقياسا للامن و لحد المر : اذا كانت الصحراء فارغة من مظاهر القوة المصرية فهو الامن ، واد امتلات الصحراء فهو الخطر .

٣ - ابقاء مصر بعيدة عن حركة التفاعلات العالمية بحيث لا تستطيع

ان تفيد من هذه التفاعلات في صنع مركز خاص يعطيها مقدرة اكثر على الحركة والمناورة .

وكان التفضيل الاول بالنسبة الى الاستراتيجية الاسرائيلية ان تظل مصر تحت سيطرة الاحتلال البريطاني .

وكان التفضيل الثاني - نسبيًا - أن تكون مصر في كل الاحوال داخل دائرة النفوذ الغربي ، سواء كانت الغلبة فيه لاروبا أو انتقل الزمام الى الولايات المتحدة الامريكية .

وكان المكروه - باستمرار - أن تكون لمصر صداقات دولية خاصة ، وبالذات مع القوى العظمى البارزة ، وفي وقت من الاوقات خشيت اسرائيل من صداقة خاصة بين مصر والولايات المتحدة ، ولكنها لم تلبث أن اطمأنت بفهمها أن مثل ذلك ضد حركة التاريخ في المستقبل المرثي على الاقل ، ثم تحولت خشية اسرائيل الى صداقة خاصة بين مصر والاتحاد السوفيتي . وكانت ترى المشاكل الكامنة في مثل هذه الصداقة ، وحاولت قدر ما تستطيع استغلال هذه المشاكل الكامنة والملمب على تعقيداتها .

وحتى سنة ١٩٥٢ ، وحتى برغم اشتراك مصر في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ ، فإن الرياح في مصر كانت تسير على هوى اسرائيل . . . وفجأة تغيرت اتجاهات الرياح !



لا أظن أن القيادة السياسية والعسكرية العليا في اسرائيل - وكان دافيد بن جوريون على رأسها في ذلك الوقت - قد أحست بنذر خطر شديد عندما قامت الثورة المصرية سنة ١٩٥٢ ، فلقد بدا أن ما حدث في مصر هو « انقلاب عسكري » يقوده « جنرال تقليدي » ، وان هذا الانقلاب في الغالب سوف يكون « بداية في سلسلة انقلابات » ، ثم أنه ليس هناك « بعد عربي » في اتجاهات هذا الانقلاب ، ومعنى ذلك أنه سوف يركز على « الوطنية المصرية » في شكل ساذج من أشكالها ، وأخيراً فإن البيانات الصادرة عن هذا الانقلاب لا تحمل أية « اشارات اجتماعية محددة » ، وبالتالي فإن القائمين به « سوف يتم استيعابهم في اطار الطبقة الحاكمة في مصر » ، هذا على فرض أن الانقلابات القادمة على الطريق اُبقت عليهم ولم تطع بهم !

واتذكر مناقشات طويلة مع السياسي البريطاني اللامع « انيورين بيفان » عندما جاء الى مصر بعد زيارة لإسرائيل وراح يتقصى الحقيقة على ضوء ما سمعه من القيادة الاسرائيلية هناك ، وكانت صلته بدافيد بن جوريون وثيقة ، فكلامهما من الاقطاب البارزين في حركة الدولية الاشتراكية الثانية - وكان بن جوريون يرأس الحركة العمالية في اسرائيل ، في حين ان

انيورين بيفان كان النجم الساطع في حزب العمال البريطاني .

واتذكر أنني قضيت ليلة كاملة في سفارة الهند في القاهرة حيث كان « بيفان » يقيم ضيفا على سفير الهند وقتها « السردار بانيكار » وهو صديق قديم له - وراح « بيفان » أمام « بانيكار » يسألني باستفزاز :

- لماذا تريدكم هناك في اسرائيل أن يحسبوا حسابا لما جرى هنا ٠٠٠
لست أرى أمامي هنا في مصر ثورة ٠٠٠ ما أراه هو واجهة ثورة وليس
مضمون ثورة ٠٠٠ وهذه هي البيانات الصادرة عن النظام الجديد ، وهذه
وثائقه أمامنا فأرني فيها أية اتجاهات ثورية تخيف عدوا أو تثير - بجد
- اهتمام صديق : «

□

في بداية سنة ١٩٥٣ بدأت الامور في مصر تضخ اكثر امام الاطراف
الاخرى المهتمة بالمنطقة وبما يجري فيها ، والمحتمل من تطوراتها والممكن .

وكانت القيادة السياسية والعسكرية في اسرائيل اكثر الاطراف اهتماما ،
وبدا دافيد بن جوريون يتولى بنفسه عملية متابعة التطورات في مصر:

جمال عبد الناصر يظهر ويتأكد أنه القائد الحقيقي للثورة وعقلها
وقلبها .

جمال عبدالناصر يستعمل الولايات المتحدة في الضغط على بريطانيا
لاقناعها بالجلاء عن منطقة قناة السويس في مصر .

جمال عبدالناصر يدخل في حوار مثير مع جون فوستر دالاس وزير
الخارجية الامريكية الذي زار مصر في مايو ١٩٥٣ ، دالاس يدعو جمال
عبدالناصر الى الدخول في حلف غربي للدفاع عن الشرق الاوسط ، وجمال
عبدالناصر يتحدث عن ميثاق دفاع عربي مستقل عن الغرب .

جمال عبدالناصر يتفاوض لعقد صفقة سلاح مع الولايات المتحدة ، والصفقة
تكاد توقع - او هكذا قالوا - لولا تليفون من تشرشل رئيس الوزارة البريطانية
وقتها للرئيس الامريكي الجديد دوايت أيزنهاور ، ويقول تشرشل على التليفون
لايزنهاور : لا أتصور ان تعطي لعبدالناصر سلاحا يصوبه نحو صـ
أبنائنا في قاعدة قناة السويس ، وهم الذين خدموا تحت قيادتك في الحرب
العالمية الثانية الكبرى .

وفي هذه الفترة راح بن جوريون يحاول ان يسمع كل ما يستطيع سماعه

عن جمال عبدالناصر ،وتقدم اليه اثنان في اسرائيل كلاهما قابسل جمال عبدالناصر ، على نحو أو آخر .

اولهما ضابط مخابرات اسرائيلي اسمه «يوريهان كوهين» ، والثاني ضابط اسرائيلي كبير أصبح الان نائبا لرئيس وزراء اسرائيل ووزيرا للخارجية، وهو «بيجال اللون» .

كان أولهما «يوريهان كوهين» ضابط اتصال اسرائيلي في نطاق لجان الهدنة ، حضر اجتماعات متعددة لترتيبات وقف اطلاق النار وسحب جثث القتلى من الجانبين - شارك فيها جمال عبدالناصر الذي كان «اركان حرب» الكتيبة السادسة المشاة المتمركزة على الخط ما بين عراق المنشية والفالوجة في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ .

ولفت عبد الناصر نظر ضابط المخابرات الاسرائيلي ، خصوصا عندما سألته في اثناء استراحة للجنة الاتصال عن «الاساليب التي استعملتها الجماعات الاسرائيلية المقاتلة ضد الانجليز في فلسطين ما بين نهاية سنة ١٩٤٦ ومنتصف سنة ١٩٤٨» .

ثم التقى الاثنان بعد ذلك سنة ١٩٥٠ ، فقد كلف جمال عبدالناصر من قيادة الجيش المصري أن يدخل في الأرض المحتلة في صحبة أحد ضباط الهدنة وأحد ضباط الاتصال الاسرائيليين ليرشد عن موقع مقبرة كانت قواته في الحرب قد دفنت فيها أكثر من أربعمئة وخمسين جثة من جثث القتلى الاسرائيليين ، وكان ضابط الاتصال الاسرائيلي هو «يوريهان كوهين» ، وقضى جمال عبدالناصر معه ومع ضابط الهدنة الدولية الكندي أربعاً وعشرين ساعة في الأرض المحتلة من النقب أرشد فيها الى موقع المقبرة ، وشهد بداية عملية الحفر فيها حتى بدأ ظهور الجثث .

وكان ثانيهما، وهو «بيجال اللون» هو قائد المعركة أمام جمال عبدالناصر وقد أحس من خلال تطورات القتال أنه أمام خصم مقتدر وعنيد ، ثم التقى الاثنان وجها لوجه في اجتماع رتبته لجان الهدنة في مستعمرة «جات»، وكان رئيس الجانب العسكري المصري فيه هو الاميرالاي السيد طه قائد قوات الفالوجة ، وكان رئيس الجانب العسكري الاسرائيلي فيه هو البريجادير بيجال اللون قائد القوات الاسرائيلية على الجبهة الجنوبية .

كلاهما كان يعرف عبد الناصر والتقاءه على نحو أو آخر، وربما بالغ أحدهما أو كلاهما فيما يعرفه عن عبدالناصر ، ولكن دافيد بن جوريون كان يريد أن يسمع !

وكان دافيد بن جوريون على استعداد لأن يسمع كل من يستطيع أن يضيف الى معلوماته شيئا عن جمال عبد الناصر .

.
.

وفي ذلك الوقت كان حزب العمال البريطاني يبدي اهتماما كبيرا باحوال الشرق الاوسط ، وكان هناك عدد من أعضائه البارزين ، وبينهم جورج براون وريتشارد كروسمان وبريارة كاسل ، دائمي التجوال في المنطقة ، ولقد تمكنوا هم وغيرهم من مقابلة جمال عبدالناصر ، وكان دافيد بن جوريون لا يسمع عن أحد منهم قابلة الا ودعاه الى مقابلته ليساله ، وأتذكر في تلك الفترة واقعة رواها لي « ريتشارد كروسمان » عن حديث له مع « دافيد بن جوريون الذي دعاه إليه بعد أن سمع أن كروسمان أجرى مقابلة طويلة مع جمال عبد الناصر .

قال لسي ريتشارد كروسمان :

– ان « ب . ج . » – اشارة الى بن جوريون من اول حرفين في اسمه – ليس سعيدا بما يسمعه عن مصر رغم أنني حاولت أن اطمئنه .
واستطرد كروسمان يقول لي :

– انني قلت له : ب . ج . ، ان جمال عبدالناصر قال لي إنه « لا يشغل نفسه باسرائيل ، وانما يركز على التنمية الداخلية في مصر وانه لذلك خفض ميزانية القوات المسلحة بخمسة ملايين جنيه عن السنة الماضية لاعتقاده – كما قال لي عبد الناصر بنفسه أن اسرائيل ليست خطرا على مصر الا لأن مصر ضعيفة اقتصاديا واجتماعيا » .

واستطرد كروسمان يقول لي :

– هل تعرف ماذا كان رد فعل ب . ج . ؟

هرش شعر رأسه المنكوش وتمتم بصوت خفيض وهو يهز رأسه :

– هذه ابناء سيئة ٠٠٠ ابناء سيئة جدا ! ، .

مع سنة ١٩٥٤ ، كان بن جوريون ووراءه القيادة السياسية والعسكرية في اسرائيل مشغولين بجمال عبدالناصر قبل أي ظاهرة أخرى في المنطقة .

.
.

وفي بداية هذه السنة كان بن جوريون قد اصدر امره شخصيا – ومن مستعمرة « سدبوكر » – بتنفيذ عملية تخريب ضد المصالح الامريكية والبريطانية في مصر ، وقامت المخابرات الاسرائيلية بتنفيذ العملية فعلا – ومن وراء ظهر وزير الدفاع لافون وبدون علمه – ولكن التدبير انكشف حين

اشتملت قنبلة حارقة في جيب عميل اسرائيلي أمام احدى دور السينما في الاسكندرية ، واعترف العميل الاسرائيلي وسقطت شبكة التخريب الاسرائيلية كاملة في يد قوات الامن المصرية ، وبينهم عدد من اليهود المصريين ، وحوكموا وصدرت عليهم أحكام بينها الإعدام لثلاثة منهم .

وقبل نهاية هذه السنة - ١٩٥٤ - توصل جمال عبدالناصر الى اتفاق مع الحكومة البريطانية يضمن جلاء قواتها خلال ثمانية عشرة شهرا عن منطقة قناة السويس ، وكان بن جوريون في مستعمرة سدبوكر - لا يزال - يمسر رئيس الوزراء موشي شاريت بالمذكرات المكتوبة يساله :

« هل اتخذت الحكومة الاسرائيلية كل الاحتياطات الواجبة عليها ازاء مثل هذا التطور ؟

هل عرفنا ما هي الاشياء - اسلحة - معدات - مخزون عسكري - التي تركها البريطانيون في القاعدة ؟

هل اخذت بريطانيا تعهدات كافية وضمانات على مصر تكفل حريته الملاحه في قناة السويس لكل الدول بغير تمييز ٠٠٠ وبالذات الملاحه الاسرائيلية ؟

□

كانت سنة ١٩٥٥ سنة حافلة بالندى .

وكان « دافيد بن جوريون » ما يزال في مستعمرة « سدبوكر » في صحراء النقب ، ولكن المستعمرة تحولت الى « مركز قيادة عليا سياسية وعسكرية » بصرف النظر عما يفعله رئيس الوزراء الرسمي « موشي شاريت » ومجلس وزرائه في تل ابيب .

كان بن جوريون ، ومعه اقرب معاونيه اليه « موشي ديان » رئيس هيئة اركان حرب الجيش الاسرائيلي ، « وشيمون بيريز » مدير وزارة الدفاع الاسرائيلية ، يراقب ويتابع ما يجري على ساحة الشرق الاوسط .

كانت القاهرة في يناير ١٩٥٥ مسرحا لاجتماع عربي كبير على مستوى رؤساء الوزارات ، شهد مواجهة نهائية حول قضية الاحلاف العسكرية بين جمال عبد الناصر ونوري السعيد ، وكانت المواجهة في حقيقتها محاولة للاجابة على سؤال حيوي :

العرب كجزء من نظام الدفاع الغربي وفي سلسلة الاحلاف التي تستهدف تطويق الاتحاد السوفيتي ؟

او العرب ولهم نظام دفاعهم المستقل القائم على قدراتهم الذاتية ، والموجه ضد كل خطر يتهددهم هم ويمس أمنهم هم ؟

وانهار الاجتماع العربي الكبير في القاهرة ، وانفلت نوري السعيد وحده ليوقع اتفاقا منفردا مع تركيا قام به حلف بغداد الذي راح يدعو دول المشرق العربي للإنضمام اليه ، ويركز بالذات على سوريا والاردن ولبنان .
وكان معنى ذلك - اذا تم - عزل المشرق العربي عن مصر وعن بقية المغرب العربي وبمعنى ادق ترك مصر وحدها في الميدان امام اسرائيل .

وفي آخر يوم من شهر يناير نفذ حكم الاعداء في القاهرة في اثنين من عملاء قضية التخريب الاسرائيلية ، برغم حملة عالمية عنيفة قادها بن جوريون ليجعل جمال عبدالناصر يخفف الاحكام على هؤلاء العملاء ، وهي حملة استطاع ان يجند لها ايزنهاور وتشيرشل ، فكتب كلاهما الى جمال عبدالناصر يرجوانه في تخفيف الاحكام واستعمال حقه في العفو .

وكان تنفيذ الاحكام صدمة لبن جوريون ، فقد كان هو الامر بالعملية من وراء ظهر لاقون وزير الدفاع الذي اضطر الى الاستقالة احتجاجا على الوضع الذي فرض عليه ، واساء الى سمعته دون ذنب له فيه .

وجرى في اسرائيل شبه انقلاب عسكري صامت فرضت به المؤسسة العسكرية عودة دافيد بن جوريون وزيرا للدفاع ، فعاد وكان امره الاول هو الغارة الشهيرة على غزة في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ .

وكانت هذه الغارة هي الدافع المباشر الذي جعل جمال عبد الناصر يستدعي السفير الامريكى في القاهرة هنري بايرود ، ويقول له :

- اذا لم تبع لي الولايات المتحدة ما احتاج اليه من السلاح للدفاع عن الامن القومي لمصر فسوف اطلب السلاح من الاتحاد السوفيتي » .

وكانت هناك معركة اخرى سياسية تجري في نفس الوقت .

كانت هناك استعدادات تجري لعقد اول مؤتمر اسيوي - افريقي ، وكانت هناك مجموعة دول عرفت باسم « مجموعة كولومبو » ، اخذت على عاتقها مسؤولية الترتيب والدعوة الى هذا المؤتمر الذي تقرر عقده في « باندونج » في اندونيسيا .

وكانت هناك صداقة تربط بين « بن جوريون » وبين « اونو » رئيس وزراء بورما ، وهي إحدى دول مجموعة كولومبو ، وكتب بن جوريون الى اونو في امر المؤتمر المقترح في باندونج واشترك اسرائيل فيه ، وتصور اونو ان اشترك اسرائيل في المؤتمر مسألة يمكن ترتيبها ، فهي بالموقع على أرض آسيوية .

ولكن جمال عبدالناصر رفض وشرح موقفه لكل أعضاء مجموعة كولومبو ، وعلى رأسهم « جواهر لال نهرو » الذي توطلت بينه وبين عبد الناصر صداقة وثيقة

وكتب « نهرو » الى « اونو » يقول له :

« علينا أن نوازن بين اشترك كل الدول العربية في مؤتمر باندونج وغياب اسرائيل ، وبين اشترك اسرائيل وغياب كل الدول العربية » .

وكتب « اونو » الى دافيد بن جوريون يقول له إنه لم يستطع أن يفعل شيئاً في مسألة اشترك اسرائيل في اعمال مؤتمر باندونج ، ثم كتبت السكرتارية المؤقتة - التي كانت تتولى التحضير للمؤتمر - الى حكومة اسرائيل رسمياً تقول لها : « إنها تأسف لان الدعوة لن توجه إليها لان اشتراطات حضور المؤتمر لا تنطبق عليها » .

□

ولم يكن مؤتمر باندونج مجرد فرصة تمكن فيها جمال عبد الناصر من اعلان موقف مستقل لمصر وللامة العربية ، ولم يكن مجرد مناسبة استطاع فيها جمال عبدالناصر أن يربط النضال العربي بحركة التحرر الوطني عموماً - خصوصاً في آسيا وافريقيا - وانما كان فوق ذلك جسراً لأول اتصال بين مصر والصين .

وصل « جمال عبدالناصر » مع « جواهر لال نهرو » على نفس الطائرة الى « رانجون » عاصمة بورما . وبينما كانت الطائرة تقف في ساحة المطار اذكر أنني تطلعت من النافذة فاذا اونو في استقبال الرئيسين واذا بجانبه « شواين لاي » رئيس وزراء الصين الاسطوري .

واتذكر أنني التفت الى جمال عبدالناصر وقلت له :

« ان « شواين لاي » هنا ايضاً » .

وكان جمال عبد الناصر قد هم من مقعده يتأهب للنزول مع نهرو ، ويتولى الزعيم الهندي تعريف الصيني بالمصري .

وذهبنا الى مقر الضيافة في « رانجون » ، فقد كان مقرراً ان نقضي في

عاصمة بورما يوما واحدا نحضر فيه « أعياد الماء » البورمية التقليدية .
واتذكر انني حضرت احتفالات اعياد الماء مع جمال عبدالناصر ، وقد
حضرها في زي بورمي تقليدي قدمه اليه « أونو » ، وعدت مع جمال عبدالناصر
الى قصر الضيافة ودخلت معه الى غرفته يستبدل ملابسه ، يخلع السزي
البورمي التقليدي ويرتدي بذلته العسكرية ، وكانت ما تزال بعد زيه الرسمي ،
وقال لي جمال عبد الناصر انه ذاهب لموعد مع « شواين لاي » في نفس قصر
الضيافة ، واتذكر انني سرت معه ابهاء القصر الى غرفة كان ينتظره
فيها شواين لاي ، ثم عدت الى جناحه انتظره بعد انتهاء المقابلة .

وعاد جمال عبد الناصر بعد ساعتين تقريبا ، واتذكر اننا جلسنا في
شرفة غرفته المطلة على حدائق قصر الضيافة ، ووراءها رانجون بمعابدها
البوذية الشهيرة ، وكنا ننتظر موعد العشاء الذي اقامه « أونو » لكل ضيوفه
تلك الليلة .

كانت ألوان الغروب تنعكس على المعابد البوذية الملونة ، وكانت أصدا
احتفالات أعياد الماء تصل الينا من المدينة التي أسلمت نفسها لموجة الفرح
والمرح .

وقال لي جمال عبدالناصر :

– لقد كسرت الثلوج كلها مرة واحدة ٠٠٠ لم اشأ ان ابدا مع شواين لاي
بالطريقة التقليدية .

قلت له اننا نريد علاقات وثيقة مع الصين ، ولكننا لن نعترف الان
رسميا بالصين الشعبية ، لان ذلك في هذا الوقت سوف يواجهنا بمشاكل لا
داعي لها الان مع الولايات المتحدة .
وقد فهم وجهة نظري .

وقال لي إن اجتماعنا الان هو اعتراف عملي ، واما الاعتراف الرسمي
فنحن أقدر على اختيار توقيته .

وبعدها تحدثنا في المؤتمر القادم وسياساتنا فيه ، ثم تحدث هو طويلا
عن الاوضاع في الشرق الاقصى ، وحدثته انا عن اوضاعنا في الشرق
الاطوسط .

واستطرد جمال عبدالناصر :

– لقد فتحت معه موضوعا اخر لا اعرف كيف تكون نتائجه .

عندما تحدثنا عن الشرق الاوسط ، وعن تحدي اسرائيل لنا ، وعن

الغارة الأخيرة على غزة، قلت له إننا نحتاج إلى سلاح ندافع به عن أنفسنا. وقد طلبناه من الأمريكيين .

وكان رده :

– ان الامريكيين لن يعطوكم سلاحا تدافعون به عن انفسكم ازاء اسرائيل .

وقلت له :

– انني هددت السفير الامريكي بأن الجا الى الاتحاد السوفيتي في طلب سلاح ، ولكني لا اعرف ما اذا كان الاتحاد السوفيتي مستعدا للاستجابة لهذا الطلب ، وأنا أخشى مفاتحتهم في ذلك بالطريق الدبلوماسي المعادي ، وفي كل الاحوال فانني اريد قبل ان افعل ذلك ان اتأكد من موقفهم .

ان التغييرات الاخيرة التي وقعت في القيادة السوفيتية – في شهر فبراير – جاءت الى سكرتارية الحزب بزعيم جديد – خروشوف – والى رئاسة الوزارة برئيس وزراء جديد – بولجانين – ولست اعرف ما هي اتجاهات هذه القيادة الجديدة ، وعلى أي حال فانه لم يسبق لنا التعامل مع أية قيادة سوفيتية ، واريد ان اسالك : هل تعرف هؤلاء القادة الجدد ، وهل تعرف اتجاهاتهم المحتملة ، وبالذات في موضوع احتمال بيع السلاح لمصر .

ان شواين لاي لم يدر حول الموضوع ولم يناور ، وانما سألني سؤالاً مباشراً « هل تريد ان اتصل بهم ، واسألم عن مدى استعدادهم ؟ »
وقلت له :

– نعم . . . هذا ما أرجوك فيه .

وقال لي شواين لاي على الفور : سوف يصلك ردي او ردهم على القاهرة ، وأرجوك اعطائي شهرا من الان تسمع بعده منى أو منهم .

كان ذلك في منتصف ابريل ١٩٥٥ .

وفي ١٨ مايو ١٩٥٥ ، وفي حفل استقبال حضره جمال عبدالناصر في السفارة السودانية في القاهرة ، اقترب منه السفير السوفيتي وقتها دانييل سولود ، وقال له :

– هل تستطيع ان اتحدث معكم على انفراد ؟

وفي ركن من احدى القاعات ، قال سولود :

– لقد طلبت قبل قليل موعدا رسميا معكم ، لابلغكم رد موسكو على

• سؤال وجهتموه سيادتكم الى رئيس وزراء الصين عند اجتماعكم به ،

• وفهم جمال عبدالناصر ، وحدد له موعدا في اليوم التالي

• وكان رد موسكو ايجابيا



• كان صيف ذلك العام حافلا

كانت هناك مفاوضات تجري في « براغ » ، عاصمة تشيكوسلوفاكيا للاتفاق على تفاصيل صفقة الاسلحة ، وكان اختيار « براغ » مقصودا منه تجنّب اتصالات تجري في موسكو وتلفت الانظار قبل الاوان

وكان هناك مؤتمر على مستوى القمة الدولية في جنيف في شهر يوليو حضره « ايزنهاور » و « ايدن » و « فور » و « خروشوف » واذكر انني ذهبت الى متابعة هذا المؤتمر على مستوى القمة الدولية في جنيف ، واذكر انني لقيت عبد الناصر قبل ان اتوجه الى المطار قاصدا جنيف - وكان قوله لي :

لقد ارسلت كما تعرف بعثة رسمية الى جنيف ترصد التطورات ، وفيها الدكتور مصطفى كامل - سفيرنا في الهند والولايات المتحدة فيما بعد - والدكتور عبدالله العريان - سفيرنا في باريس وجنيف فيما بعد - وسوف تقوم هذه البعثة بمتابعة عامة وشاملة لاسمال المؤتمر ونتائجه ، ولكن هناك نقطة بالذات تهمني اكثر من غيرها :

هل يمكن لمفاوضاتهم في جنيف ان تؤثر على مفاوضاتنا في براغ ؟

واذكر انني لم اجد في جنيف ما يلفت نظري الى النقطة التي تهتم جمال عبدالناصر اكثر من غيرها ، وتركت جنيف بعد انتهاء المؤتمر الى لندن ، ثم عدت الى القاهرة في اغسطس

وقال لي جمال عبدالناصر :

- ان مفاوضات براغ تمت بنجاح ، وبدون اثر لروح مؤتمر جنيف عليها ،

ولم يطل جمال عبدالناصر في هذه النقطة طويلا ، فقد حول انظاره بسرعة من المسرح الاوروبي الى صحراء سيناء حيث كانت الغارات الاسرائيلية على مواقع الحدود المصرية مستمرة ، وقال لي :

- لقد قررنا الرد على هذه الغارات بالضرب في قلب اسرائيل بواسطة

جماعات مسلحة من الفدائيين » .

وكان التركيز ما زال على الصحراء حتى ١٢ سبتمبر حين صدر القرار بتشديد اجراءات الحصار المصري على خليج العقبة ، واصبح من الضروري على كل السفن والطائرات العابرة في مياه الخليج او فوق اجوائه الى البحر الاحمر ان تحصل على اذن مصري مسبق باثنين وسبعين ساعة ، وان لا تبدأ العبور بأي حال من الاحوال قبل حصولها على هذا الاذن .

• كان الحصار على الخليج من قبل بحريا

• واصبح الان جويا ايضا

وسجل ديان في مذكراته قوله :

– هذه هي القشة التي قصمت ظهر البعير !



لكن التركيز على الصحراء لم يدم طويلا ، فان انباء صفقة الاسلحة مع الاتحاد السوفياتي بدأت تتسرب ، واحست اسرائيل بما جرى ، واحست به واشنطن ، وفي ١٧ سبتمبر وقف جمال عبدالناصر في حفل افتتاح معرض صور خاص بالقوات المسلحة واعلن بنفسه نبا الصفقة قبل ان يسأله احد فيه .

• وتفجر النبا في اسرائيل كانه قنبلة

ومع ان الصفقة الاولى مع الاتحاد السوفيتي لم تكن كبيرة ، الا انها كانت تغييرا واضحا في موازين القوى .

كانت الصفقة كما يلي :

٥٣٠ عربة مصفحة

٢٣٠ دبابة

٢٠٠ ناقلة جنود مدرعة

١٠٠ مدفع ذاتي الحركة

٥٠٠ قطعة مدفعية من انواع مختلفة

٢٠٠ طائرة مقاتلة وقاذفة

• مجموعة بحرية تضم مدمرات وكاسحات الغام وثلاث غواصات

ومع أن اسرائيل كانت - قبل هذه الصفقة بعام واحد على الاقل - تحصل على اسلحة متنوعة من فرنسا ، فان الصفقة المصرية مع الاتحاد السوفيتي جاءت امرا لا يطلق بالنسبة الى دافيد بن جوريون، ثم اضيف إليها توقيع اتفاق عسكري بين مصر وسوريا في ٢٠ اكتوبر يجعل المواجهة مع اسرائيل شمالا وجنوبا جبهة واحدة .

وفي ٢٢ اكتوبر تلقى موشي ديان - وكان في زيارة لمباريس - برقية عاجلة من دافيد بن جوريون - الذي كان وزيرا للدفاع - يطلب اليه العودة الى تل ابيب فوراً .

ويقول موشي ديان في مذكراته عن معركة سيناء - صفحة ١٢ - إنه قابل بن جوريون في اليوم التالي لعودته من باريس ، وعقد معه اجتماعا طويلا ، ثم يقول ديان :

« وفي نهاية الحديث اصدر الي الامر بأن اكون مستعدا للاستيلاء على تيران لتأكيد حرية الملاحة الاسرائيلية في خليج العقبة والبحر الاحمر » .

وتشير وثائق بن جوريون ، التي اصدرها بارزوهار سنة ١٩٦٨ - ان دافيد بن جوريون طلب في نفس هذا الاجتماع مع ديان ان « تكون هناك خطط اضافية لاحتلال قطاع غزة ، وللسيطرة العسكرية الكاملة على سيناء » .

وذهب دافيد بن جوريون بخطته الى مجلس الوزراء الاسرائيلي ، ولكن المجلس رفض قبولها ، ولم يقف مع بن جوريون في الحماسة لها غير ثلاثة من الوزراء .

وخرج بن جوريون من اجتماع المجلس ليدعو موشي ديان الى مقابلته ، ويقول :

- لقد رفض هؤلاء الاغبياء ان يوافقوا على العمل من الان ، واخشى انهم لن يوافقوا الا عندما تكون الفرصة قد فاتت لضرب ناصر والقضاء عليه والحيلولة دون تثبيت زعامته في العالم العربي ، ولا تستطيع اسرائيل ان تنتظر ، ولا تستطيع المتظار موافقة مجلس الوزراء ، ولذلك فاني اطلب منك بمقتضى كل ما لي من سلطة ان تستمر في اعداد خططك وتطويرها ، دون ما مراعاة لقرار مجلس الوزراء .

واصبح بن جوريون رئيسا للوزارة بعد الانتخابات العامة في اسرائيل ، وفي يوم ٥ ديسمبر ١٩٥٥ عاد الى مجلس الوزراء بخطته القديمة لضربه في اتجاه شرم الشيخ ، ومرة اخرى رفض مجلس الوزراء ، وبعد الجلسة اجتمع بن

جوريون مع ديان الذي قال له - طبقا لما رواه في مذكراته :
« في رأيي انه لا بد لنا باسرع ما يمكن - وخلال شهر واحد على اكثر تقدير
- ان نحقل مضايق تيران » .

وكان بن جوريون يهز رأسه موافقا .

وبدا بن جوريون يعقد اجتماعات منظمة مع قيادة « تساهال » - الجيش
الاسرائيلي - ويروي شيمون بيريز ، مدير وزارة الدفاع وقتها ووزير الدفاع
الآن ، في صفحة ١١٤ و ١١٥ من مذكراته ، ان دافيد بن جوريون قال لاجضاء
هيئة القيادة الاسرائيلية في اجتماع له بهم ما نصه :

« ان الدخول الى سيناء قد لا يكون كافيا ، ذلك انه بدون القضاء على
« الطاغية » في القاهرة فان اي انتصار عسكري في سيناء لا قيمة له ، لان الصراع
سوف يستمر ، والامن بالتالي لن يتحقق » .

هكذا سارت اسرائيل على طريق السويس !

الحديث الثالث :

اسرائيل تشد فرنسا على طريق السويس ...
وفرنسا تستبق الكل عليه !

وصلت فرنسا الى طريق السويس بتخطيط مسبق من اسرائيل ، وكانت في البداية تمشي نحوه بتردد تحاول اثناءه ان توازن خطاها ، ثم توالى احداث كان من شأنها ان جعلت فرنسا تحت الخطى وتندفع على الطريق اكثر فاكثر ، حتى جاء يوم اصبحت فيه فرنسا هي الطليعة عليه ، تجري بأقصى سرعة ، وتجبر غيرها جرا حتى تكاد خطاهم ان تتعثر وينكفئون على وجوههم فوق رمال الصحراء الساخنة ٠٠٠ وذلك ما حدث فعلا لبريطانيا ٠

وكان دافيد بن جوريون هو الذي سبق بالتخطيط لوصول فرنسا الى طريق السويس في اطار نظريته الشهيرة عن ضرورة وجود حليف قوي لاسرائيل ٠٠٠ دولة كبرى مساندة ٠٠٠ اذا قررت اسرائيل يوما ان تضرب وان تنقض

كانت نظرية بن جوريون - وهي ما زالت حتى الان خطا استراتيجيا ثابتا لاسرائيل - ان الحدود المفروضة بالطبيعة على الموارد وعلى العمق في اسرائيل تفرض، عليها دائما ان تجد لنفسها صديقا خارجيا قويا وكبيرا يوفر لها المسد والمضى لكي تستطيع ان تتحرك في اطمئنان ٠

ولم تتحرك اسرائيل سنة ١٩٥٦ الا بعد ان اطمأن بن جوريون تماما الى ان هناك صديقا - بل اصدقاء - لديهم اسباب القدرة والتاثير ٠ وكان سؤال بن جوريون الاول حين ذهبوا اليه سنة ١٩٦٧ يطلبون تأييده لخص الحرب هو :

- هل هناك قوة كبرى معنا ٠٠٠ اذا كانت هناك قوة كبرى فلنتحرك ، واذا لم تكن هناك قوة كبرى فلنتظر ونترك عاصفة اغلاق خليج العقبة تمر ، ونستعد لفرصة اخرى نكون فيها قد عثرنا على حليف عظيم ٠



وفي بداية سنة ١٩٥٤ ، وبينما بن جوريون يدور ببصره على المنطقة يحاول استكشاف طريقه الى السويس ، كانت افكاره تحوم حول فرنسا ، وكان ظنه - وهو ظن اكدت صحته الايام والتجارب - ان فرنسا مهياة لكي تلعب دورا في مساعدة اسرائيل على اجتياز طريق السويس ٠

كانت القوى الكبرى المرشحة لتلعب هذا الدور في ظنه - ولو نظريا - ثلاثا: الولايات المتحدة : ولكنها مشغولة بمحاولة غواية الثورة المصرية ، ولا زالت الامال تراودها في امكانية اقناع مصر بالاشتراف في حلف عسكري للدفاع عن الشرق

الاطول ، ضمن سلسلة الاحلاف التي كانت تحاول بها خلال الحرب الباردة تطويق الاتحاد السوفيتي .

وبريطانيا : ولكن بريطانيا لها صداقات تقليدية وعلاقات وثيقة - بترولية بالذات - مع عدد كبير من بلدان العالم العربي ، وذلك مانع يصدها عن اي تعاون مفتوح مع اسرائيل الا اذا جدت ظروف غير الظروف ، وهو امر لا يمكن رؤيته مقدما ولا اجراء حسابات على اساسه .

ثم فرنسا : فرنسا ربما ؟ لم لا ؟ دعونا نحاول !

واختار « دافيد بن جوريون » واحدا من اقرب مساعديه ، وهو « شيمون بيريز » مدير عام وزارة الدفاع الاسرائيلية يومها ، ووزير الدفاع الاسرائيلي اليوم .

ويقول « شيمون بيريز » في كتابه « نبلة داود » - وهو الجزء الاول من مذكراته في الواقع - ان دافيد بن جوريون دعاه ذات يوم سنة ١٩٥٤ وكلفه ان يحاول « فتح ابواب فرنسا » ، وكان ملخص ما قاله دافيد بن جوريون لشيمون بيريز في ذلك اليوم هو :

- اريدك ان تذهب الى باريس وتفعل كل ما تستطيع ، ولنرى ماذا يمكن ان نحصل عليه من فرنسا . نحن الان ومنذ قيام الدولة نشترى بعض احتياجاتنا العسكرية من هناك بطريقة هادئة وتقليدية ، لكن المسألة محدودة ، وما اريدك ان تحاوله هو فتح الباب . فتح الابواب بشكل مختلف يجعلنا نحصل على ما لم نكن نستطيع الحصول عليه . على ما لم نكن نحلم بالحصول عليه .

وسافر شيمون بيريز الى باريس !



كانت فرنسا في حالة غريبة من القلق والتوتر العصبي ، وكان يسود مزاجها نوع من المرارة وخيبة الامل .

كانت الجمهورية الفرنسية الرابعة قد ولدت بعد الحرب وسط محاولات لايهاام النفس بان فرنسا كانت شريكا للمقتصرين ، وانها احد اطراف التحالف الغربي الكبير وعلى قدم المساواة مع غيرها فيه ، وكان ديغول هو المبشر بهذا الالهام رافعا صليب اللورين رمز حركة فرنسا الحرة ، ولكن فرنسا في اعماقها كانت تحس الحقيقة رغم انها حاولت تناسيها ، واندفعت فرنسا تحاول ان تؤكد قوتها لنفسها بتأكيد سيطرتها على المستعمرات ، ولكنها كادت تغرق في مستنقعات الهند الصينية ، وكانت الهزيمة في « ديان بيان فو » على يد الجنرال جياب اكثر

مما تستطيع فرنسا ان تتحمله محتفظة بتوازنها وبهيبتها امام شعبها وامام العالم .

كانت فرنسا قد تلقت الضربة تلو الضربة قبل « ديان بيان فو » .

ضاعت منها سوريا ولبنان في المشرق العربي، وهي تحس ان بريطانيا وامريكا تأمرتا عليها لاجراجها من المشرق وحرمانها من ثرواته ، بل من مواقع نفوذها التقليدي - ولو عاطفيا - فيه .

وكانت فرنسا تنظر الى محاولات بريطانيا وامريكا لتعزيز سيطرتها على المشرق العربي ، وتقول رسميا بلسان كل رئيس وزراء تولى الحكم فيها :

- إن الشرق الأوسط يجب ان لا يكون تحت سيطرة دولة واحدة، ولا تحت وصاية دولتين تتقاسمان النفوذ فيه .

وربما من هنا كانت معارضة فرنسا لحلف بغداد ، فقد كانت تحس انه مركز لتعزيز النفوذ البريطاني الامريكى في المنطقة دون اعتبار لفرنسا ، بل ان فرنسا كانت تشعر ان مكانتها في القارة الاوروبية نفسها موضع تجاهل من حلفائها الكبار ، فقد كانت الولايات المتحدة تعتمد على علاقة خاصة مع بريطانيا ، ثم انها كانت بسبيل بناء علاقة خاصة مع المانيا ، ولم يكن هناك سياسي فرنسي باستثناء ديغول - يستطيع ان يتحدث الى ساسة بريطانيا وامريكا وعينه مفتوحة ، ولكن ديغول كان قد اثر الاعتزال الى قريته في « كولومب لي دوزاجليز » بعد ان اصابته مناورات الاحزاب السياسية بالياس من مستقبل الجمهورية الرابعة التي كان له الدور الاكبر في اقامتها من وسط اطلال الهزيمة .

كانت فرنسا اذن في حالة غريبة من القلق والتوتر العصبي والمرارة وخيبة الامل .

حالة يمكن ان تدفعها الى اي اتجاه !

□

ولعلي اقول - وهي حقيقة تقال لأول مرة فيما اظن - ان مصر وقتها ابدت اهتماما بحالة فرنسا، وحاولت ان تدرس كيف يمكن الاستفادة منها في تلك الظروف .

واتذكر حوارا طويلا بين جمال عبد الناصر وجوزيف بروز تيتو حول موقف فرنسا .

كان ذلك الحديث في قرية « سوتيسكا » التي خاض فيها تيتو اعظم معاركه ضد المانيا الهتلرية ، وكان تيتو يحتفل في هذه القرية بذكرى انتصاره ، وكان

جمال عبد الناصر ضيف الشرف معه في تلك الذكرى سنة ١٩٥٥ .

و في بيت صغير - بنجالو - من الخشب كان تيتو يقيم فيه اثناء الاحتفالات ، جلس جمال عبد الناصر معه لحديث طويل بدأ في الساعة الثامنة والنصف مساء واستمر الى ما بعد منتصف الليل ، وكان محور الحديث هو الموقف الدولي .

وكنا عشرة على مائدة العشاء تلك الليلة : خمسة من اليوجوسلاف وخمسة من المصريين .

واتذكر ان تيتو قام بعرض بارع للموقف الدولي كما يراه ، واتذكر اننا ليلتها - ولأول مرة بالنسبة لي - سمعنا منه القصة الكاملة ، وبالتفصيل لخلافه الشهير مع ستالين . وتحدث تيتو عن الاوضاع في أوروبا الشرقية ، ثم عن الاوضاع في أوروبا الغربية . وحين وصل في حديثه الى فرنسا فوجئت اننا شخصيا حينما قال تيتو :

- ان فرنسا بين كل دول أوروبا الغربية - ويسبب ظروفها واحوالها والمزاج السائد فيها - هي الدولة الأوروبية الوحيدة المرشحة لتبني سياسة عدم الانحياز، ولو عرفنا كيف نتعامل معها فإنا فرنسا قد تستطيع القيام بدور مستقل يكون له تأثير ايجابي في الموازين السياسية في أوروبا والبحر الأبيض، وبالتالي في الشرق الاوسط .

وراح تيتو يشرح رايه الذي بدأ لي في ذلك الوقت جريئا ومتفائلا بأكثر مما تسمح به الحقائق الراهنة .

ووجدت جمال عبد الناصر يقول لتيتو :

- انني ارى معك الاحتمالات الكبيرة في موقف فرنسا وامكانيات تطوره ، ولكنني اخشى انه فيما يتعلق بنا فاننا لن نستطيع استغلال هذا الموقف كما ينبغي، والسبب هو ارتباطنا بحركة الثورة في شمال افريقيا العربي ، وهي ثورة موجهة ضد الاستعمار الفرنسي .

واستطرد جمال عبد الناصر :

- ان فرنسا بعد هزائمها في الهند الصينية لم يبق لها غير افريقيا . ودول الشمال الافريقي العربية - تونس والجزائر والمغرب - هي مدخلها الى القارة كلها .

ولقد وقفنا مع الشعب التونسي حتى يحصل على استقلاله ، وخضنا اخيرا معركة مع فرنسا بسبب نفي السلطان محمد الخامس ، وظللنا في المعركة حتى سقط السلطان المزييف - بن عرفة - الذي فرضته فرنسا حتى سقط وعاد محمد الخامس الى عرشه ، ونحن الان نساعد

ثوار الجزائر ، وهي معركة صعبة وطويلة – وكل ذلك يؤثر على علاقاتنا بفرنسا .

وظل تيتو مصمما على انه مهما تكن الاحوال ، فان هناك فرصة متاحة في فرنسا بسبب ظروفها واوضاعها ومزاجها .



هكذا كان موقف فرنسا فرصة لمن يريد ان يتحرك .

كانت مصر تراه ، ولكن حركة الثورة في شمال افريقيا كانت تعترض حركتها
ازاء فرنسا ، بل تضعها في موقف معاد لفرنسا .

وكانت اسرائيل تراه ، ولم يكن يقيد هاشيء .

وكان هذا هو الجو الذي وصل فيه شيمون بيريز الى باريس لكي يفتح
ابواب فرنسا ، معتمدا في البداية على عناصر من اليهود الفرنسيين شاركوا
غيرهم في قيادة حركة المقاومة السرية اثناء الحرب ضد هتلر .

واحد شيمون بيريز بعد وصوله الى باريس بأسبوعين انه لن يستطيع
فتح ابواب فرنسا عن طريق الانصال بموظفي وزارة الخارجية الفرنسية ، وانما
لا بد له ان يجد سبيلا للوصول الى القمة الفرنسية ، وتمكن اخيرا من مقابلة
السياسي الفرنسي الشهير بول رينو الذي قال له :

– انني لا اعرف ماذا تريدون ان تفعلوا بهذه المدافع الكبيرة التي تطلبونها –
هاوتزر عيار ١٥٥ ملليمتر – ولكني سوف اساعدكم في الحصول عليها ! .

ثم التقى شيمون بيريز برئيس الوزراء الفرنسي في ذلك الوقت ، وهو
منديس فرانس ، وكان متزوجا من سيدة تنتمي الى اسرة يهودية عاشت في مصر
طويلا ، وهي اسرة شيكوريل التي كانت تملك اكبر متاجر للازياء في مصر .

ثم التقى شيمون بيريز إدجار فور الذي تولى رئاسة الوزارة بعد منديس
فرانس .

ويقول شيمون بيريز في مذكراته إن رؤساء الوزارات الفرنسية الثلاثة
كانوا من هواة ركوب الدراجات ، فقد قال له بول رينو :

– انني احتفظ بشبابي رغم اني في الثانية والسبعين من عمري بسبب
مواظبتي على ركوب الدراجة ساعتين كل يوم ! .

وقال له منديس فرانس :

– ان صداقتي بادجار فور نمت من ايام كنا صبيين وقمنا معا برحلة الى
الاتحاد السوفيتي على دراجاتنا ! » .

وعن طريق رؤساء الوزارات من هواة ركوب الدراجات اتصل شيمون
بيريز بالجنرال « كاترو » وزير الدفاع الفرنسي وقتها ، وكان كاترو هو الجنرال
الذي احترقت اصابعه بالنار في سوريا ولبنان ، وكان مستعدا لمساعدة اسرائيل
بكل وسيلة وكأنه بذلك يريد ان ينتقم من العرب .

وهكذا حصل على اذن بشراء ثلاثة اسراب من طائرات « الميستير » ، ولكن
خبراء الطيران الاسرائيلي الذين ذهبوا الى فرنسا لتجربة الطائرة لم يجدوا
حقيقتها مطابقة لمواصفاتها ، وهكذا تحولت اسرائيل الى طلب « الميستير مارك ٤ » ،
وظهرت مشكلة ، فان هذه الطائرة التي وقع الاختيار الاسرائيلي عليها لم تكن
ملكا خالصا لفرنسا ، وانما كان انتاجها كله لحساب حلف الاطلنطي بتمويل
امريكي ، وهكذا فان الحصول عليها كان يقتضي اذنا من حلف الاطلنطي وتصديقا
من الولايات المتحدة الامريكية .

□

ولم يكن شيمون بيريز يريد ان يغامر في قلب حلف الاطلنطي لان بريطانيا
فيه كانت كفيفة بتعقيد الامور امام اسرائيل ، ثم إن موقف الولايات المتحدة لا يزال
غير محدد ، واذن فالسبيل ان تكون فرنسا هي الطرف الذي يتولى المسألة كلها :
تتولى فرنسا مهمة اقناع الحلف لكي يوافق ، ومهمة اقناع امريكا لكي تصدق على
هذه الموافقة .

ويقول شيمون بيريز في مذكراته :

– في ذلك الوقت التقيت آبل توماس ، وهو مدير مكتب وزير الداخلية
الفرنسي « بورجيس مانوري » ،
وكانت وزارة الداخلية هي المسؤلة عن شؤون الجزائر التي كانت تعتبر
محافظة ادارية من محافظات فرنسا .

وكان بورجيس مانوري على استعداد للتعاون معنا الى اقصى حد ، فقد

كان يرى بعينه ويلمس بيديه تأثير مساعدات عبد الناصر للثورة الجزائرية .
ولقد استبد بي فرح طاغ حين سمعت بورجيس مانوري يقول لنا :

– ان فرنسا واسرائيل تواجهان الان نفس التحديات ونفس الاعداء ، ولا بد ان نتعاون على المفتوح .

ان المد العالمي الذي يتدافع الان في البحر الابيض يهدد شواطئ اسرائيل وفرنسا .

- ولا بد ان نصد متاعبه ومشاكله عن سواحلنا .
- لا بد ان نتعاون معا ، ونحن نستطيع ذلك .



كان ذلك كله مشجعا ، ولكن « شيمون بيريز » لم يكن يريد ان يترك شيئا للمصادفات ، فقد كان يعرف ان هناك انتخابات فرنسية عامة على الابواب ، وان فرص الحزب الاشتراكي فيها كبيرة ، وهكذا سعى الى مقابلة « جي موليه » سكرتير عام هذا الحزب .

واستطاع « الاصدقاء » ان يرتبوا له موعدا مع الزعيم الاشتراكي ، وذهب « شيمون بيريز » ليجد « جي موليه » في « الجو » تماما .

وبروي شيمون بيريز في كتابه « نبلة داوود » على صفحة ٥٩ ما يلي :

« لقد بدأ جي موليه حديثه معي بقوله :

« انهم يروجون عنى اشاعة تقول انني معاد للسامية ؟ »

وقلت له إنني لا اصدق هذه الاشاعة ، ولكني كنت اعرف دوافع جي موليه لهذه البداية التي اختارها لحديثه معي ، فقد كان السبب ان منافسيه على زعامة الحزب ، وهما « دانييل ماير » و « جول موش » من اليهود ، وحين فاز هو عليهما معا فان بعض انصارهما روجوا لمقولة انهما هزما امامه لكونهما من اليهود .

واستطرد جي موليه يقول :

« حسنا ايها السادة ، ان هذه الاشاعة محض اكذوبة . وصحيح انني على خلاف مع دانييل ماير ، ولكن هذا الخلاف يمس نظريته الاشتراكية ، وليس له دخل بعقيدته اليهودية .

ان مجرد ان يقول عني احدهم انني معاد للسامية هو شيء فظيع باكثر مما تستطيع ان تصفه الكلمات ، وعلى العكس فاننا اعرف كل ما عانيتوه من اضطهاد النازي ، وقد كنت انا نفسي من ضحايا هذا الاضطهاد ، ولقد كان اعظم الفرنسيين الذين عرفتهم في حياتي هو ليون بلوم ، وكان يهوديا ، وكان استاذي . ثم ان لسى اصدقاء كثيرين في الحركة العمالية في بلادكم . ان اسرائيل تتطور لتصبح مجتمعا اشتراكيا نموذجيا نصبو نحن الى اقامة مجتمع مثله في فرنسا .

وقلت له بصراحة وقد شجعتني كلماته :

– ان تجربتنا مع الاشتراكيين مريرة ، فبعضهم ينسى تعاطفه معنا حينما يصل الى الحكم ، وقد كانت لنا تجربة قاسية مع ارنست بيفن في بريطانيا » .
وقال لي جي موليه :

– سوف ترى انني لن اكون مثل ارنست بيفن ، وسوف ترى الدليل العملي على صداقتي لكم كفرنسي وكاشتراكي » .



وجاء « جي موليه » الى الحكم في فرنسا ، وبدأت الابواب تفتح في باريس بابا بعد باب امام اسرائيل .

وبدأت الاسلحة تتدفق عبر البحر الابيض من مرسيليا الى حيفا .
كانت اول شحنة كما يلي :

طائرة ميستير ٤	٢٩
طائرة فوتور (قاذفة مقاتلة)	١٩
مدفع	٢٠٠
دبابة « ايه ام اكس »	٩٠

وتوالت الشحنات رغم ان بعض العناصر في فرنسا كانت تحاول ان تلفت النظر الى خطورة هذا الجسر البحري المحمل بالسلح بين مرسيليا وحيفا ، وبين هذه العناصر بعض المهتمين بالشرق الاوسط من خبراء وزارة الخارجية الفرنسية ، ولعل ضغط هذه العناصر هو الذي ادى الى قرار بايفاد « كريستيان بينو » وزير الخارجية الفرنسي – مع جي موليه – الى القاهرة لكي يبحث العلاقات المصرية الفرنسية مع جمال عبد الناصر . ومن الانصاف ان يقال ان مصر بدورها كانت تحاول ان لا تترك فرنسا جائزة سهلة لاسرائيل برغم تعقيدات كثيرة صنعها تأييد مصر للثورة الجزائرية .

وجاء « كريستيان بينو » الى القاهرة واجتمع مع جمال عبد الناصر في ١٢ مارس سنة ١٩٥٦ .

واثار كريستيان بينو في اجتماعه مع جمال عبد الناصر موضوع مساعدة مصر للثورة الجزائرية ، وقال له جمال عبد الناصر بوضوح ان مصر امام التزام مبدئي بمساعدة ثوار الجزائر . ثم اضاف جمال عبد الناصر « انه ملتزم مبدئيا بمساعدة الثورة الجزائرية ، ولكنه في نفس الوقت على استعداد لبذل

مساعدته الحميدة لمساعدة فرنسا ، والسبيل الى ذلك فتسح مفاوضات فرنسية جزائرية لاعادة السلام الى الجزائر على اساس اتفاق على الاستقلال .

ثم راح جمال عبد الناصر يروي لكريستيان بينو ما يعرفه من نوايا ثوار الجزائر نحو فرنسا ، وانهم يطلبون استقلال وطنهم ولا يريدون معاداة فرنسا ، بل على العكس يطلبون صداقتها .

وسأله كريستيان بينو « هل يستطيع الجزائريون ان يكونوا عقلاء في مطالبهم؟» ورد عليه جمال عبد الناصر « لماذا لا تجلسون معهم لتروا بانفسكم » .

وتطورت المناقشة ، وابدى جمال عبد الناصر استعداداه لاقناع قيادة الثورة الجزائرية بارسال وفد الى القاهرة ليلتقي مندوبين فرنسيين ليبدأوا معا اتصالات غير رسمية داخل نطاق من السرية الكاملة .

وكان تعليق بينو « ان السرية ضرورية ، فلو تسربت أية ابناء عن هذه الاتصالات لاصبح موقف الحكومة الفرنسية بالغ الصعوبة امام المعارضة » .

ثم تطرق كريستيان بينو الى موضوع اخر كان مفاجئا لجمال عبد الناصر .

قال كريستيان بينو « ان شركة قناة السويس تجد نفسها تحت الحاح شديد من شركات الملاحة في العالم لتوسيع قناة السويس، وقد ابدت بعض البنوك الامريكية استعدادها لتقديم القروض اللازمة لعملية التوسيع ، ولكن شركة قناة السويس تريد ان تطمئن إلى مستقبل امتيازها في مصر قبل الدخول في مشروعات طموحة لتوسيع القناة » .

ثم اضاف كريستيان بينو :

— ان عقد الامتياز مازال ساريا بنص مواده لفترة اثنتي عشرة سنة اخرى، ومع ان الشركة لاتعتقد بمؤدى «روح» الامتياز ان عقدها ينتهي اوتوماتيكيا بعد اثنتي عشرة سنة، الا انها مع ذلك تفضل ان تكون الامور واضحة في المستقبل بما لا يدع مجالا لاي شك ، والتاكيد الوحيد المقبول من جانبها هو ان تقوم الحكومة المصرية بمسد الامتياز الرسمي لفترة اخرى منعا لاي لبس ولكي تستطيع شركة قناة السويس ان تقبل على نفسها التزامات جديدة ، وهي لا تعرف اذا كان الوقت سيتيح لها ان تسترد ما تصرفه ، وان تسدد ما تقترضه ، خصوصا وان المشروعات المقترحة كبيرة وتكاليفها باهظة .

وكان جمال عبد الناصر يصفى بهدوء ، وكان كريستيان بينو يتطلع اليه يحاول ان يستشف من تعبيرات وجهه حقيقة رد فعله ، وعلى اي حال فان جمال

عبد الناصر ابدى رد فعله بعبارة واضحة لا تحتل اي تأويل ، فقد قال « إنه لا يتصور ان الشعب المصري يقبل بمد امتياز شركة قناة السويس يوما واحدا فوق مدة الالتزام ، وفي المفهوم المصري العام ان الالتزام سوف ينتهي تماما وفق نصوص العقد ، ويستحسن ان تنزع شركة قناة السويس من رأسها فكرة ان هناك حكومة مصرية تقبل بمد الامتياز ، كما انه من المستحسن ان لا تثير الشركة اي نقاش لا لزوم له بشأن نهاية هذا الالتزام » .

وقال جمال عبد الناصر انه يقول هذا الكلام بهذا الوضوح لان بعض الجهات في الولايات المتحدة تحاول جس النبض في الموضوع بتوجيه من شركة قناة السويس .

وسأل جمال عبد الناصر كريستيان بينو « هل تعرف ماذا حدث لرئيس الوزراء الذي تجرأ فمد امتياز شركة قناة السويس ؟ »

ولم ينتظر حتى يسمع رد كريستيان بينو ، وانما قال :

– قتله الشعب المصري في الشارع ! «

ولم يسكت كريستيان بينو ، وانما قال :

– ولكن مسئولية الزعماء ان يقودوا شعوبهم الى ما فيه خيرهم ، بصرف النظر عن مشاعر الشارع . «

وقال جمال عبد الناصر انه «ينصح كريستيان بينو أن يقرأ تاريخ مصر الحديث ، بما في ذلك دور قناة السويس فيه » .

واستطرد يقول :

– اريدك ان تعرف انني شخصيا متحمس لضرب اي مسئول مصري يتخذ مثل هذا القرار بالرصاص لانه قرار يصل الى حدود الخيانة من وجهة نظر مصرية وطنية . «

وسكت كريستيان بينو .

وعاد جمال عبد الناصر يقول :

– دعنا من موضوع قناة السويس ولنعد الى ما كنا فيه عن الجزائر انني اكرر لكم استعدادي لترقيب اجتماع بينكم وبين ممثلين للثورة الجزائرية . «

وقال بينو :

– وهل تضمن ان يظل الامر سرا ؟ «

وقال جمال عبد الناصر إنه يضمن السرية من ناحية مصر ومن ناحية الثورة الجزائرية ، ولكن الحفاظ على السر في فرنسا أمر تملكه فرنسا ، وهي التي تضمنه .

وتطرق الحديث الى التفاصيل ، ووعده « بينو » بان يكون هناك ممثلون لفرنسا في القاهرة في ظرف عشرة ايام لاتصالات مع ممثلين للثورة الجزائرية اذا وافق رئيس الحكومة الفرنسية جى موليه على ذلك ، وعلى اي حال فانه بعد اربع وعشرين ساعة سوف يتلقى الرئيس المصري رسالة من باريس في هذا الصدد . واذا كان الرد ايجابيا فموعد الايام العشرة سيكون قائما .

وكانت الالفة قد عادت الى جو المكافحة ، وتشجع بينو وتساءل :

– سيادة الرئيس ٠٠٠ والموضوع الاخر ٠٠٠ موضوع شركة قناة السويس؟
واراد جمال عبد الناصر أن يحسم ، فقال :
– لا اظنني استطيع مناقشته !

□

ونفذ كريستيان بينو ما تحدث به .

بعد اربع وعشرين ساعة جاءت رسالة بقبول مبدأ الاتصال في القاهرة مع ممثلين لثوار الجزائر ٠٠٠ وموعد الاجتماع خلال عشرة ايام .
وحدث الاجتماع فعلا في القاهرة .

جلسة واحدة ، ثم اختفى الوفد الفرنسي من القاهرة ، وقالت السفارة الفرنسية فيها إن الوفد عاد على عجل الى باريس ليتلقى تعليمات محددة .

ثم جاءت رسالة من كريستيان بينو مفادها : ان رئيس الوزارة الفرنسية يخشى ان يتسرب نبا الاجتماعات الى المعارضة او الى الصحافة في فرنسا ، ولكن مما يشجعه على اعادة النظر في قراره بسحب الوفد ان توقف مصر مساعداتها للثورة الجزائرية ،

واعتبرت القاهرة ان الموضوع منتهيا من وجهة نظرها ، ولكنه لم يكن منتهيا من وجهة نظر فرنسا .

زادت شحنات الاسلحة الفرنسية الى اسرائيل .

وزاد تمساعات مصر للثورة الجزائرية .

ويبدو بشكل ما ان فرنسا اتصلت ببيوجوسلافيا ، وكتب تيتو الى عبد الناصر ، ورد عبد الناصر على تيتو يقول له :

« ان تدفق الاسلحة الفرنسية على اسرائيل مستمر بدون توقف »

وصحيح ان مصر تساعد الثورة الجزائرية من منطلق قومي ، ولكننا الان الى جانب المنطلق القومي نساعد الثورة الجزائرية دفاعا عن مسر .

اننا نريد ان نجعل فرنسا تحتاج الى كل قطعة سلاح ترسلها الى اسرائيل، وهم الذين يتحملون المسؤولية، خصوصا واننا عرضنا عليهم وساطتنا لاحلال السلام في الجزائر على اساس حق تقرير المصير ، »

□

ويقول شيمون بيريز في مذكراته :

— في ربيع سنة ١٩٥٦ كانت المشاعر معبأة بشدة ضد جمال عبد الناصر في باريس ، وذات يوم اخرج لي جي موليه من درج مكتبه نسخة من كتاب عيسد الناصر الذي صدر بعنوان فلسفة الثورة ، وقال لي : نحن وانتم امام هتلر جديد في العالم العربي والاسلامي ، ولا بد ان نضرب مخططاته ، والا فانتنا الفرصة ، كما فانتنا من قبل حين لم نفهم مقاصد هتلر في كتابه كفاحي ، »

ويستطرد شيمون بيريز فيقول :

— وكان تعبير بورجيس مانوري ، الذي اصبح وزيرا للدفاع في فرنسا اكثر صراحة ، اذ يادرنى وانا ادخل الى مكتبه صباح احد الايام قائلا :

— ماذا تنتظرون للزحف على مصر واسقاط عبد الناصر ؟

وقلت له :

— ننتظر حتى تكون لدينا اسلحة توازن ما حصل عليه عبد الناصر من صفقة مع الروس .

وقال بورجيس مانوري وهو يشد مجموعة اوراق بيضاء من على مكتبه :

— ما هي طلباتكم ٠٠٠ نحن على استعداد لتقديمها بغير حدود ٠٠٠ ليست هناك حدود .

ان القيادة العسكرية الفرنسية في الجزائر اصبحت مقتنعة بانه لا يوجد حل لتصفية الثورة الجزائرية ، الا بتصفية القيادة الثورية في القاهرة ، »

ويضيف شيمون بيريز :

— لم اكن اصدق انني ٠٠٠ كائنني كنت في حلم .

لقد تفتحت ابواب فرنسا ٠٠٠ كل ابواب فرنسا ٠



وبعد سنوات سمعت بنفسى من الجنرال بوفر ، وكانت الصداقة قد توطدت
بيننا بعد ان زالت عداوات السويس :

« كنت في ذلك الوقت قائدا للقوات الفرنسية البرية في الجزائر .
ويوما بعد يوم كان الجنرال شال ، القائد العام الفرنسي في الجزائر ، وكانت
قيادته كلها تحت اقتناع كامل بأن « ما نواجهه في الجزائر هو ذنب الافعى ، واما
رأس الافعى فكانت في القاهرة » ، ثم اصبحت قناعتنا كاملة باستراتيجية جديدة
هي : « الجزائر عن طريق القاهرة » .

.....

.....

هكذا وصلت فرنسا الى طريق السويس !

الحديث الرابع :

إيدن يقود بريطانيا الى طريق السويس
بتأثير كراهيته لعبد الناصر

كانت بريطانيا آخر من يجوز له الاقتراب من طريق السويس على النحو الذي اقتربت به سنة ١٩٥٦ .

كانت تلك خطيئة الخطايا ، و « الحرام » الذي يستوجب اللعنة الابدية في الماسي الاغريقية .

ولربما نستطيع القول ، دون تجاوز ، ان الازمات التي تعانها بريطانيا حتى اليوم ، وبرزها ازمة العجز الدائم في ميزان مدفوعاتها ومحنة الجنيه الاسترليني نتيجة لذلك ، انما هي مضاعفات ممتدة لخطيئة السويس سنة ١٩٥٦ .

ولو اننا سألنا انفسنا ببساطة :

— ما هي حقيقة الازمة الاقتصادية في بريطانيا اليوم ؟

... لكان الرد ببساطة ايضا :

— الازمة هي مشكلة بلد يستهلك اكثر مما ينتج ، وكان يعوض الفرق بين ما ينتجه من مواد اضافية تجيئه من الخارج ، واكثر هذه المواد الاضافية كانت تجيئه من الشرق الاوسط الذي كان جزءا كبيرا من بترولته تحت النفوذ البريطاني ، كما ان الاسترليني كان عملة الدفع في مقابل البترول في مناطق كانت كلها تقريبا ضمن كتلة الاسترليني . ولقد ادت حرب السويس واشتراك بريطانيا فيها بالتواطؤ مع اسرائيل الى ضياع النفوذ البريطاني في المنطقة ، فانسحبت الحاميات المسلحة منها وانسحب وراءها الجنيه الاسترليني .

هكذا اصبحت بريطانيا بلدا يستهلك اكثر مما ينتج ، ولا يستطيع ان يعوض الفارق بين الاثنتين : الاستهلاك والانتاج — بموارد اضافية تجيئه من الخارج ... وبدأت الازمة ، وتفاقت ، واستعصت — ولا زالت — على الحل الا بجراحة مؤلمة تبتتر وتستأصل لتجعل الاستهلاك البريطاني في مقياس الانتاج البريطاني ، .



كانت هناك اسباب للصدام بين بريطانيا وبين مصر في الخمسينات ، وكان محتملا ان تؤدي اسباب الصدام الى صراع مباشر بالقوة اذا اقتضى الامر بين الاثنتين ، ولكن التواطؤ البريطاني مع اسرائيل في استخدام القوة لم يجعل

الصراع مصريا/بريطانيا فحسب ، وانما حوله الى صراع عربي/بريطاني

واذا اردنا ان نستعرض اسباب - ومراحل - الصدام بين مصر وبريطانيا،
لوجدنا امامنا اربعة اسباب - ومراحل - بارزة نستطيع ترتيبها كما يلي :

اولا - الصدام بسبب الاحتلال البريطاني لمصر ، وكان هذا الاحتلال قد
استمر اكثر من سبعين عاما ، وكانت الثورة المصرية مصممة على انهاءه
وتحقيق جلاء قوات الاحتلال مهما كان الثمن .

وحين وضع « انتوني هيد » وزير الحرب البريطاني توقيعه الى جانب
توقيع جمال عبد الناصر يوم ١٩ اكتوبر ١٩٥٤ على اتفاقية تنظيم جلاء القوات
البريطانية عن مصر في ظرف ثمانية عشر شهرا ، فقد بدا على السطح ان
اية اسباب لاستمرار الصدام بين مصر وبريطانيا قد زالت وان العلاقات بين
البلدين مقبلة على ربيع طويل .

لكن ذلك كان على السطح واما تحت السطح فقد كان شيئا آخر .

كان « ونستون تشرشل » - رئيس وزراء بريطانيا وقتها - قد وافق على
الجلاء عن مصر « من تحت الضرس » كما يقولون ، ولكنه اضطر الى ذلك
بسبب المقاومة المسلحة المصرية في منطقة القناة ، وبسبب ما بدا من استعداد
جمال عبد الناصر لتحويل هذه المقاومة المسلحة الى حرب شعبية كاملة ضد
قوات الاحتلال ، ثم انصافا بسبب شيء من الضغط الامريكي كان منطقه ان
الاحتلال المباشر مضى وقته ، وان الجلاء البريطاني عن مصر يفتح الباب
امامها لكي تدخل في ترتيبات امن جماعي او دفاع مشترك عن الشرق الاوسط
يجعلها - بغير احتلال مباشر - دولة ملحقه بالنظام الغربي وكوكبا تابعا يدور
في فلكه .

وحاول تشرشل ان يؤخر وان يسوف مسرة وراء قوله « انني لم اتول
رئاسة حكومة جلالة الملكة لكي اشرف على تصفية الامبراطورية » ، ومرة
اخرى وراء معارضة قسم كبير من نواب المحافظين تزعمهم جوليان ايمري
واطلقوا على أنفسهم اسم « مجموعة السويس » - لكن تشرشل في النهاية
تجرع كأس المر تحت شعار انه لا بد مما ليس منه بد ، وتم توقيع اتفاق
الجلاء .

وعلى اية حال فان هذه المرحلة من الصدام بين مصر وبريطانيا ظلت
- مع كل صعوباتها - محصورة في نطاق محدود لان البعد العربي في سياسة
مصر لم يكن قد ظهر بعد ، ثم ان مصر كانت في عزلة كاملة عن الاتحاد

السوفيتي . ومن هنا فان الصدام بين مصر وبريطانيا في هذه المرحلة كان صداما داخل مصر بعيدا عن الامة العربية وبعيدا عن الساحة الدولية في الوقت نفسه

.
.

ثانيا - الصدام بسبب حلف بغداد ، ذلك ان بريطانيا وقعت اتفاقية الجلاء مع مصر لاسباب ، من بينها ان ذلك يفتح الباب امام ترتيبات امن جماعي في المنطقة ، لكن جمال عبد الناصر رفض ان يفتح بابا او يدخل من باب مفتوح ! وكانت وجهة نظره كما يلي :

« ان الامة العربية لديها مصلحة واحدة ولديها امن واحد ، وهي تتولى الدفاع عن نفسها بنفسها ضد اي اعتداء عليها مهما كان مصدره » .

وكانت اسئلته لكل من يحاوره في موضوع الاحلاف بغير نهاية :

« اي امن مشترك بيننا من ناحية وبين بريطانيا والولايات المتحدة من ناحية اخرى ؟ » .

« اي دور لنا غير دور التابع في نظام دفاعي يضم القوى الكبرى ؟ »

« التهديد الاساسي لامتنا يجيء من اسرائيل ، والغرب هو السند الرئيسي لاسرائيل - فكيف اتحالف عسكريا مع اقرب الاصدقاء لعدونا ؟ »

« اي امن مشترك بيننا وبين دول الحزام الشمالي في الشرق الاوسط ، وهي باكستان وايران وتركيا ، وهذه قد ترى الانضمام الى احلاف الغرب لاسباب لديها ليست قائمة بالنسبة لنا ؟ » .

« اي عداة مسبق بيننا وبين الاتحاد السوفيتي يجعلنا نسمح لارضينا بان تكون قواعد لتطويقه بالاسلحة النووية ؟ » .

« اي دخل لنا بحرب باردة بين العمالقة يمكن ان تتحول في اي لحظة الى حرب ساخنة بالاسلحة النووية التي لا نملكها ولا نستطيع السيطرة عليها على ارضنا اذا سمحنا بتواجدها فيها ؟ » .

وجاء انتوني ايدن نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية في بريطانيا السي مصر ، والتقى بجمال عبد الناصر إلى مائدة عشاء في دار السفارة

البريطانية في يوم ٢٠ فبراير ١٩٥٥ ، وقال ايدن في هذا اللقاء لجمال عبيد
الناصر بعد ان استمع الى كل اسئلته ما مضمونه :

« ليكن ٠٠٠ ان الحكومة البريطانية على استعداد لان تقبل هذه الحجج
لرفضه الدخول في حلف عسكري غربي ، ولكنها ليست على استعداد لان تقبل
حربه ضد حلف بغداد الذي انضمت اليه بريطانيا مع العراق وتركيا وايران
وباكستان » .

واستطرد ايدن يقول :

– ان حكومة العراق – حكومة نوري السعيد – قررت بمحض ارادتها
وممارسة لسيادتها ان تدخل في حلف عسكري دفاعي مع الغرب واصدقائه في
المنطقة ضد الاتحاد السوفيتي – وهذا امر لا دخل له بمصر او بأية حجج تراها
من وجهة نظرها مانعة لاشتراكها في مثل هذا الحلف ؟ » .

وقال جمال عبد الناصر :

– هناك اولا اعتبارات مبدئية .

منها انني كما قلت اعتقد بوجود مصلحة عربية واحدة وامن عربي
واحد .

ومن هنا فاني اتصور ان الدفاع عن العالم العربي لا بد ان يرتكز على
ميثاق الضمان الجماعي العربي ، وخروج دولة عربية من هذا الاطار يقطع منه
ويخل بتوازنه .

ثم ان هناك ثانيا اعتبارات عملية .

ذلك ان حكومة العراق سوف تحاول – وهي تحاول فعلا – ايجاد عمق
للحلف الذي انضمت اليه ، ومعنى ذلك انها سوف تدعو وسوف تضغط على
دول عربية اخرى للانضمام اليها فيما ذهبت اليه ، ومعنى ذلك انها سوف تحاول
ضم سوريا ولبنان والاردن الى حلف بغداد .

واذا حدث ذلك فمعناه ان المشرق العربي كله قد حول انظاره عن الخطر
المائل في وسط ارض الامة العربية وهو اسرائيل ، الى خطر موهوم في الشمال
موجه اليها من الاتحاد السوفيتي ٠٠٠ وهذا سوف يؤدي الى عزلة مصر وحدتها
امام اسرائيل ، هذا مع العلم انني لا ارى خطرا بالغزو يهددنا من ناحية الاتحاد
السوفياتي ، واذا كنت تريد ان نتحدث عن خطر الشيوعية فدعني اذكرك ان
هذا الخطر ، على فرض انه موجود ، لن يجيئنا بواسطة دبابات الجيش الاحمر
وانما سوف يجيئنا عن طريق تفكك الجبهات الداخلية في كل وطن عربي ، وحماية

الجبهات الداخلية للوطن العربي لا تتحقق عن طريق الاحلاف العسكرية مع الغرب او مع غيره ، وانما تتحقق عن طرق الاستقلال وتدعيم هذا الاستقلال بخطط طموحة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية .

وتساءل ايدن بعد حوار طويل :

– هل توقف مصر حملتها على حلف بغداد والمشاركين فيه اذا اعطيتك تعهدا بوقف الدعوة الى اشتراك دول عربية اخرى غير العراق فيه ؟ ،

وقال جمال عبد الناصر « انه يعتقد ان ذلك امرا ممكنا » .

وفي يوم ٥ ابريل سنة ١٩٥٥ ذهب السير رالف ستيفنسون السفير البريطاني في القاهرة الى مقابلة مع جمال عبد الناصر ليبلغه رسالة من السير انتوني ايدن نائب رئيس وزراء بريطانيا ووزير خارجيتها تقول بالنص : « ان بريطانيا قررت فرض «موراتوريوم» – اي فرض تجريد – على الدعوة لانضمام دول عربية اخرى غير العراق الى حلف بغداد ، وهي تنتظر – في مقابل ذلك – ان توقف مصر حملتها ضد حلف بغداد » .

وفي يوم ٦ ابريل سنة ١٩٥٥ – اي في اليوم التالي مباشرة لهذه الرسالة التي حملها السير رالف ستيفنسون من السير انتوني ايدن – اصبح ايدن رئيسا لوزراء بريطانيا بعد ان تنازل له ونستون تشرشل عن المقعد الذي طال انتظار ايدن له .

واعتبر جمال عبد الناصر انه تلقى التاكيد من اعلى مستوى في « هوايتهول » . . . مباشرة من البيت رقم ١٠ دوانج ستريت مقر رئيس الوزراء البريطاني .

لكن « ديناميكيا » الصراع في الشرق الاوسط لم تكن تسمح لمثل ذلك ان يحدث ، حتى على فرض ان انتوني ايدن كان جادا فيما وعد به ، فلم تكف تمضي اسابيع على هذا التاكيد حتى كان الضغط قد اشتد على سوريا بالذات لكي تنضم الى حلف بغداد .

.
.

ثالثا – الصدام على الشرق الاوسط ، فان الصراع بسبب حلف بغداد الذي لم يتجمد لم يلبث ان انفجر ليصبح صراعا على مستقبل الشرق الاوسط كله ، والعالم العربي بالذات .

وبدأت بريطانيا تلعب لعبة مزدوجة ، تساعد اسرائيل ضد مصر وفي

نفس الوقت تحاول الاحتفاظ بعلاقتها التقليدية مع بقية العالم العربي ، ويروي شيمون بيريز وزير الدفاع الاسرائيلي الحالي في مذكراته قصة تمثل أكثر من غيرها ازدواجية السياسة البريطانية في تلك الظروف .

يقول شيمون بيريز في صفحتي ٣٩ و ٤٠ من الجزء الاول من مذكراته :

« من الغريب ان مبيعات السلاح البريطاني لنا بدأت تزيد مع تناقص حجم القوات البريطانية في قاعدة قناة السويس نتيجة لاتفاقية الجلاء مع مصر .

في تلك الاوقات بدأ لنا ان بريطانيا قد راحت لأول مرة تأخذ طلباتنا من السلاح جدا ، وكانت ردودها علينا مرضية ، وان كنت اعترف انه كانت هناك مفارقات في تصرفاتها .

واتذكر اجتماعا مع سلوين لويد في سنة ١٩٥٥ ، وكان وقتها وزيراً للدفاع في الحكومة البريطانية ، وذهبت الى مقابله اطلب موافقته على ان تباع لنا بريطانيا صفة من الدبابات سنتورين وعددا من المدمرات .

وتصورت ان فرصتنا كبيرة في الحصول على الدبابات وانها ضئيلة في الحصول على المدمرات ، لان الدبابات يمكن اخفاؤها ، واما المدمرات فهي هناك امام الدنيا - وامام اعدائنا - لكي يروها بغير سبيل الى اخفائها والتستر على مصدرها .

ولفاجأتي فقد قال لي سلوين لويد « انه ليس لديهم اعتراض على المدمرات ، ولكنهم لن يسمحوا لنا بالحصول على الدبابات ! » . وسألته مندهشا : لماذا ؟ - وكانت اجابته الصريحة :

- ان الملكة الاردنية ليست لديها شواطئ تستطيعون امامها استعمال المدمرات ، ولكن الملكة الاردنية لديها معكم اتصال بري تستطيعون فيه استخدام الدبابات . »

وكان على شيمون بيريز ان يفهم ان بريطانيا تصرح لاسرائيل بشراء المدمرات لانها لا يمكن ان تستعمل الا ضد مصر ، وذلك مسموح به . . . او هو مطلوب في الصراع على الشرق الاوسط .

كان الصراع محتدما على اشده في تلك الفترة ، وكان هذا الصراع مفتوحا لتأثيرات واسعة على امتداد المنطقة كلها . . . وحتى المصادفات كان لها تأثيرها الكبير لان الظروف كانت بالغة الحساسية ، ولان الموازين كانت على استعداد لان تتأرجح امام نسمة هواء .

وقد لعبت المصادفات على سبيل المثال دورا خطرا في تسوية العلاقات بين مصر وبريطانيا ، وكان ذلك ابان محاولة اخيرة بذلها الطرفان لانقاذ ما يمكن انقاذه ، اذا كان ذلك ممكنا .

كان جمال عبد الناصر قد حدد موعدا لمقابلة سلوين لويد وزير الخارجية البريطاني في يوم اول مارس سنة ١٩٥٦ ، وكان سلوين لويد في طريقه الى كاراتشي لحضور اجتماع لمنظمة الدفاع عن جنوب شرق آسيا واقترحت لندن ان يمر سلوين لويد بالقاهرة في طريقه الى كاراتشي ، ووافق جمال عبد الناصر وحدد موعدا ٠٠٠ بل مواعدين .

موعد على العشاء بعد وصول سلوين لويد الى القاهرة .

وموعد اخر صباح اليوم التالي - ٢ مارس - قبل سفر سلوين لويد مباشرة الى البحرين ، ومنها الى كاراتشي .

وجاء سلوين لويد الى العشاء في قصر الطاهرة ومعه السير هارولد كاسيا الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية والسير همفري تريفلينان السفير البريطاني في القاهرة .

ومع جمال عبد الناصر جاء الدكتور محمود فوزي وزير الخارجية المصري وقتها .

كانت هناك محادثات قبل العشاء جرى فيها استعراض لعلاقات البلدين ، ولاوضاع الشرق الاوسط ، ولمفاوضات تمويل السد العالي ، وللموقف الدولي .

وكان جمال عبد الناصر يريد ان يشجع سلوين لويد على ان يوجه اليه اي سؤال يخطر في باله ، لانه كان حريصا على ان تنجح محاولة التفاهم التي تستهدفها الزيارة ، وتشجع سلوين لويد وسأل جمال عبد الناصر :

- انك تقول بعدم الانحياز ولكنك منحاز ضدنا ٠٠٠ لو اذنت لي ان اقول ، فاننا نرى ان « عدم انحيازك » يختلف عن « عدم انحياز » تيتو مثلا .

وقال جمال عبد الناصر :

- ان عدم الانحياز في مفهومه يعني استقلال الارادة ، والمسألة فيما يتعلق بنا وبكم انكم كنتم القوة المسيطرة في منطقتنا ، ومعنى ذلك اننا حين نؤكد استقلال ارادتنا ، فان هذا يبدو معاديا لكم ، وهذا منطقي لاننا نستخلص منكم ما كان واقعا تحت نفوذكم من ارادتنا ٠٠٠ وهكذا يبدو عدم انحيازنا معاديا لكم في بعض الاحيان .

والصورة عكس ذلك فيما يتعلق بتيتو ، فهو في منطقة من أوروبا الشرقية تقع تحت نفوذ السوفيت ، ولذلك فإنه حين يؤكد استقلال إرادته يستخلص من السوفيت ، وليس منكم بطبيعة الحال . »

وبدا على سلوين لويد أنه يفهم ما يسمع .

وانتقل الجميع إلى غرفة الطعام ، والحديث ما زال مستمرا ، وإن كان قد عاد إلى أوضاع وأحوال المنطقة العربية ، ثم توقف أمام الأردن وأمام الدور الذي يلعبه الجنرال جلوب القائد البريطاني للجيش العربي الأردني .

وقال جمال عبد الناصر :

– انني لا أفهم لماذا تحتفظون برجال من أمثال جلوب ٠٠٠ هؤلاء رموز عهد مضى ولا بد من تصفية آثاره ٠٠٠ ولو كنت مكانكم لبدأت عهدا جديدا من التفاهم مع العرب لا يقوم على نصائح من نوع ما يقدمه جلوب . »

وراح سلوين لويد يمتدح جلوب باشا ودوره في الأردن .

وفي هذه اللحظة حدث شيء لفت أنظار الجالسين حول المائدة ، فقد طلب سكرتير السفير البريطاني بالحاح أن يسمح له بدخول قاعة الطعام لأن لديه رسالة هامة يريد تسليمها فوراً للسفير همفري تريفلين ٠٠٠ ودخل فعلاً وناول رسالته إلى السفير الذي قرأها ثم وضعها في جيبه ، لكن الجالسين أحسوا أنه بعدها لم يعد كما كان قبلها ٠٠٠ فقد ظل ساهما طوال العشاء وكأن أفكاره كلها شاردة إلى بعيد .

وانتهى العشاء وخرج سلوين لويد مع السير همفري تريفلين والسير هارولد كاسيا ، وركبوا سيارة السفير في الطريق إلى السفارة ، والتفت سلوين لويد إلى السفير يسأله عما حدث ، وقال السير همفري تريفلين وهو يناوله الرسالة التي تلقاها على العشاء :

– شيء فظيع ٠٠٠ إن جلوب باشا قد طرد من الأردن وقد أمره الملك حسين أن يغادر عمان في ظرف ساعات .

وقرأ سلوين لويد الرسالة بتفاصيلها واحتقن وجهه ، والحت عليه أسئلة كأنها لسعات جمر تحرق أعصابه :

« هل كان جمال عبد الناصر يعرف بطرد جلوب وهو يتحدث عنه على العشاء ؟ »

« لا بد انه كان يعرف ٠٠٠ بل لا بد انه اشترك في تدبير الانقلاب ضد
جلوب ٠ فهل كان طول الوقت يسخر منه في سره ؟ »

« هل كان يعامله كالقط يداعب الفأر قبل ان ينقض عليه لافتراسه ؟ »

ولم ينم سلوين لويد طول الليل ، وانما ظل ساهرا في السفارة البريطانية
يتابع البرقيات المرسله من وزارة الخارجية الى سفارتها. في القاهرة عن تفاصيل
سقوط جلوب باشا في الاردن ٠

وفي الصباح كان سؤاله الاول الى السفير السير همفري تريفلين :

– هل ترى داعيا لان اذهب الان ، قبل سفري الى البحرين ، للقاء الرئيس
ناصر ٠٠٠ لست ارى فائدة من مقابلة ثانية مع رجل عاملني في المساء على هذه
الصورة الجارحة ٠

وكانت نصيحة السير همفري تريفلين ، وقد ايده فيها السير هارولد
كاسيا ، ان الموعد موعد ٠٠٠ وانه لا بد من احترامه لكي لا تزيد الامور سوءا
على سوء ٠

والحقيقة ان جمال عبد الناصر لم يكن يعرف نبا سقوط جلوب وهو يتحدث
عنه كرمز لعهد انقضى اثناء العشاء في قصر الطاهرة ٠ وان كان ذلك لا ينفي
بالطبع ان سقوط جلوب كان شيئا محتملا في اطار الحركة العامة التي قادها جمال
عبد الناصر والتي اثرت في الاردن كما اثرت في غيره ٠

ولعلي اقول ان جمال عبد الناصر لم يعرف بالنبا الا على نحو سريع ومبتسر،
وكنت انا مصدر معلوماته عن ذلك قبل مقابلته لسلوين لويد بخمس دقائق ، بل انني
كنت على التلفون معه حين دخلت سيارة سلوين لويد الى فناء بيته في الساعة
التاسعة صباحا بالضبط ٠

كان « توم ليتل » مدير وكالة الانباء العربية في ذلك الوقت هو مصدرني،
فقد اتصل بي في الصباح ليقول لي ان دور جلوب باشا في الاردن قد انتهى ،
وانه سوف يغادر عمان خلال ساعات ، ويسألني عما اذا كنت ارغب في التعليق
على القصة لوكالة الانباء العربية ٠

وقلت لتوم ليتل انني ساتصل به بعد دقائق لاعطه تعليقا ، ثم وجدت
مناسبا ان اسأل جمال عبد الناصر اذا كان يعرف شيئا عن الموضوع ٠

وادرت رقم تليفون جمال عبد الناصر اريد ان الحق به قبل مواعده المحدد
مع وزير الخارجية البريطانية ، واحسست على الفور ان جمال عبد الناصر ليست
لديه فكرة عن الموضوع ، فقد سألني :

– ما هي التفاصيل ؟

وقلت :

- ليست هناك تفاصيل بعد على وكالات الانباء ، ولكني عرفت النبا مسن
« توم ليتل » .

وقال جمال عبد الناصر ، ولم يكن يخطر بباله ان ما حدث في عمان
انقلاب قاده الملك حسين على اوضاع قديمة :

- غريبة ٠٠٠ لقد كنت اتحدث بالامس مع سلوين لويدي في هذا الموضوع .
واستطرد قائلاً :

- لو ان هذا التصرف كان من جانبهم فمعنى ذلك انهم بالفعل يريدون
قلب صفحة الماضي في المنطقة العربية ٠٠٠ وفي كل الاحوال فهي خطوة هامة
ونكبة .

ثم قال جمال عبد الناصر :

- لقد دخلت سيارة سلوين لويدي الان الى البيت ٠٠٠ وسوف اتصل بك
بعد ان تنتهي المقابلة ٠٠٠

ومضت ساعة ونصف الساعة ، ودق التليفون ، وكان جمال عبد الناصر
هو الذي يتكلم ، وكانت ضحكته المرحة تسبق كلامه وهو يقول :

- ان الرجل لا يصدق انني لم اخذعه .

هو يتصور انني كنت اعرف بخروج جلوب وانني كنت اسخر منه طوال
المساء .

لقد احسست عندما دخل ان وجهه محتقن ، وبادر فسألني :

- هل عرفت بما حدث في عمان ؟

وقلت له :

- انني عرفت ، وهي خطوة طيبة على اي حال .

واحسست ان الرجل فوجيء بكلامي ، لانه قال :

- اي خطوة طيبة هذه يا سيدي ٠٠٠ هذه خطوة مشرومة .

وقلت له :

- لقد تصورت انكم انتم الذين اخذتم القرار بذلك في محاولة منكم

لتحسين اوضاعكم في المنطقة العربية .

وفوجئت به يقول في عصبية :

– هل يمكن لنا ان نتخذ من جانبنا مثل هذا القرار ٠٠٠ ان ما حدث
انقلاب في الاردن ٠

وبدأت ادرك ان الامر ليس كما تصورت ، فقلت لسلوين لويد :

– انني اعتقد انها خطوة طيبة لان جلوب لم يكن ميزة لكم فسي الاردن
وانما كان وجوده عبئا عليكم ٠

وضحكت لان سوء التفاهم كان مثيرا ، ولكن سلوين لويد كان يزداد
احتقانا ، ووجدت من الضروري على ان افسر له ، فقلت :

– انني على العشاء امس لم اكن اعرف ٠٠٠ ولم اعرف الا الان قبيل
دخولك بخمس دقائق ٠٠٠ وما عرفته كان مختصرا ومبتسرا ٠

وقال لي سلوين :

– انني اصدقك يا سيدي ٠٠٠

ولكنني اكاد اقطع بانه لم يصدقني ٠

ان الرجل ينسب الي ما لا علم لي به ٠٠٠ واسوأ من ذلك فهو يتصور
انني قضيت ليلة باكملها اسلي نفسي بالسخرية منه ٠

وفي مساء نفس اليوم عاد جمال عبد الناصر الى الاتصال تليفونيا بي
يقول :

– هل عرفت بما حدث لسلوين لويد في البحرين ؟

الرجل سيء الحظ بغير شك ٠

قابلته في البحرين مظاهرات صاخبة ضد السياسة البريطانية وقذفت
المظاهرات بالحجارة ، واضطر الى الهرب ليحتمي في بيت من البيوت حتى
انقذته قوات الامن ٠

والمصيبة انه سوف يضيف الى حسابي ما حدث له في البحرين ٠

سوف يتصور انني دبرت له المظاهرات لكي اكمل في البحرين سخرיתי منه
في القاهرة عارفا بما حدث لهم في عمان ٠

وكان ما توقعه جمال عبد الناصر صحيحا الى ابعد حد ٠

اعتبر سلوين لويد ان جمال عبد الناصر سخر منه في موضوع جلوب ٠
وحشا الجرح بالملح في البحرين !

وكان انتوني ايدن يغلي في لندن ، فقد اعتبر ان ما حدث كله في عمان

والقاهرة والبحرين مؤامرة ضده في الشرق الاوسط رتبها ونفذها جمال عبد
الناصر .

.
.

رابعا - الصدام الشخصي بين انتوني ايدن وجمال عبد الناصر ، فقد
وصل ايدن الى رئاسة الوزارة البريطانية بعد انتظار طويل ، والموضوع
الاساسي امامه هو الشرق الاوسط .

وكانت مقابلته لجمال عبد الناصر في شهر فبراير سنة ١٩٥٥ ، رغم بعض
نتائج ايجابية اسفرت عنها ، مقابلة غير سعيدة ، فقد كان الرجلان نقيضين في
كل شيء .

الديبلوماسي الشهير الذي يريد ان يثبت نفسه كرجل دولة والثائر
القادم من تحت الارض يريد ان يغير الخريطة السياسية والاجتماعية للشرق
الاطلس .

كان ايدن خبيرا في الشؤون الشرقية منذ تخصص في الدراسات الفارسية
ودرس اللغة العربية وحفظ بعض عيون ادبها ، وتأثر اكثر ما تأثر في علاقاته
بالعالم العربي بالنظرة الرومانسية التي اشاعها لورانس وغيره عن « بدو
الصحراء الذين يعتمد عليهم في العالم العربي ، خلافا لسكان المدن الذين لا
يعتمد عليهم » .

وكان جمال عبد الناصر رجلا مشغولا بالانسان العربي المعاصر ، لم
يعش حياة الخيمة وانما كان تعبيرا صلبا عن الحركة الثورية للقوى الشعبية
الجديدة في العالم العربي .

وكان ايدن يحضر ذلك العشاء في السفارة البريطانية ببذلته السموكنج .
وكان جمال عبد الناصر بزي بكباشي في القوات المسلحة المصرية .
وكان ايدن يتحدث بالاشارات والايماءات .

وكان جمال عبد الناصر يقول كلمته يادب ولكن بحسم .

وكان ايدن يحاول على العشاء ان يبهر زوجته بامبلا تشرشل ، وكان قد
تزوجها قبل قليل وفارق السن بينهما خمس وثلاثون سنة .

ولم يكن جمال عبد الناصر يريد ان يبهر احدا ، وانما كان يتحدث برأيه
ولا يدخل في مباراة للتأثير على الجالسين حول مائدة العشاء .

ولقد قالت ليدي بامبلا فيما بعد انها وجدت جمال عبد الناصر رجلا فظلا
لا يفهم حضارة الغرب ولا اساليبها .

وحين سقط جلوب وثارث ثائرة ايدن ، كانت ليدي بامبلا عنصر تحريض عنيف يسكب النار فوق الزيت المشتعل ، تريد من زوجها ان يثبت لكل الذين يتهمونه في حزب المحافظين بانه نمر من ورق ، انه على العكس من ذلك قادر على قبول التحدي .

ويروي انتوني ناتنج ، وكان وزيرا للدولة في وزارة الخارجية ، في مذكراته ما يلي :

« كواحد قضى مع ايدن طول ليلة عملية طرد جلوب - فاني استطيع ان اشهد بانه وضع اللوم كله على ناصر ، وفي ذلك اليوم الحاسم قرر ايدن ان العالم لا يمكن ان يتسع له ولناصر » .

ويستطرد انتوني ناتنج ، فيروي ان بعض خبراء وزارة الخارجية اعدوا تقريرا رفعوه الى ايدن عن اكثر الوسائل فاعلية لعزل جمال عبد الناصر وحصر نفوذه ، وقرا ايدن التقرير واتصل بانتوني ناتنج ، وكان ليلتها يقيم مادبة تكريم للسياسي الامريكى هارولد ستاسن في فندق سافوي ، ويقول ناتنج ان ايدن صرخ فيه على التليفون قائلا له بالحرف :

- ما هذا الهراء عن عزل ناصر او حصر نفوذه كما تسمونه ، انني اريد تدميره .

وحاول ناتنج ، على حد قوله ، ان يهدىء من ثائرة ايدن فقال له انه قبل تدمير عبد الناصر فلا بد من العثور على رجل اكثر اعتدالا منه ، والا سادت الفوضى في مصر . واذا بايدن يصرخ فيه على التليفون :

- لا يهمني العثور على رجل اخر . . . ولا يهمني على الاطلاق ان تسود الفوضى في مصر .

ويروي ناتنج ايضا انه من يومها لم يعد ايدن يتصل بالخارجية وانما تحوالت اتصالاته كلها إلى وزارة الحربية وهيئة اركان الحرب والمخابرات البريطانية ، وكان تفكيره يتأرجح بين الغزو ، والتآمر لاحداث انقلاب في مصر ، او الاكتفاء بعملية اغتيال لجمال عبد الناصر الذي كان ظله قد راح يغلي الشرق الاوسط كله .

.....
.....

هكذا سارت بريطانيا على طريق السويس . . .

واندفع ايدن الى خطيئة الخطايا . . . الى الذنب الحرام الذي يستوجب اللعنة الابدية - كبطل مأساة اغريقية !

الحديث الخامس:

الفارس الرابع على طريق السويس
وحكاية الطويلة المعقدة !

كانت الولايات المتحدة الامريكية شريكا رابعا في العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦ ، ولكنها اختلفت مع فرسانه الثلاثة في اسلوب تنفيذه ، وفي التوقيت ، وفي الاعداد السياسي له ، وكان ذلك الخلاف ومضاعفاته هو ما قادها في النهاية - راضية او كارهة - الى دور غريب في حرب السويس ساعد على انتصار مصر وعلى هزيمة الفرسان الثلاثة ، وهم اقرب الحلفاء اليها واعز الاصدقاء !

ونستطيع القول ان الولايات المتحدة كان لها هدف ثابت لم تحد عنه ، ولا اظنها حادت عنه حتى الان ، وهذا الهدف هو : تحقيق صلح بين مصر واسرائيل وترتيب اوضاع المنطقة على هذا الاساس تحت مظلة النفوذ الامريكي بالطبع .

وتحقيق الصلح بين مصر واسرائيل يشمل ضمنا مطالب متعددة تمهد له وتفتح الطريق اليه ، كمطلب عزل مصر عن العالم العربي ، وبديهي ان مصر المعزولة عن العالم العربي هي مصر المستعدة للصلح مع اسرائيل ، ومطلب سلب العرب خيار الحرب ، وبديهي ان العالم العربي بغير مصر لا يستطيع ان يحارب ، ومطلب تأمين تدفق البترول العربي باسعار مناسبة وبغير انقطاع ، وبديهي ان هذا يتحقق اذا توقفت المقاومة الفعالة في العالم العربي وهي تتوقف اذا غابت مصر ، ومطلب تصفية القضية الفلسطينية ، وبديهي ان هذه القضية يسهل تصفيتها اذا كانت مصر خارج الصراع .

وكان هدف تحقيق صلح بين مصر واسرائيل وراء محاولة الولايات المتحدة ان تقترب من الثورة المصرية منذ اول يوم ، وان تحاول غوايتها واحتواءها .



وربما تكون هذه فرصة مناسبة لكي اتعرض لخرافة تقول بان الولايات المتحدة كانت على اتصال بقيادة ثورة ٢٣ يوليو قبل قيامها ، وانها كانت في سرها قبل اذاعته ، وبعض الذين يروجون لهذه الخرافة يعتمدون ، لسوء الحظ ، على رواية اوردها المستر مايلز كوبلاند في كتابه « لعبة الامم » دون ان يسألوا انفسهم سؤالا بسيطا ، هو :

— من هو مايلز كوبلاند ؟

ومايلز كوبلاند — وهو يعترف بذلك في كتابه — احد موظفي ادارة

المخابرات المركزية الامريكية الذين عملوا في مصر فترة من الزمن ، وشأنه شأن غيره من موظفي هذه الوكالة لا يستطيع ان يكتب وان ينشر بغير إذن ، ومعنى ذلك ان ما كتبه ونشره كان محل موافقة من وكالة المخابرات المركزية التي كان يهتما تلطيخ سمعة الثورة المصرية والاساءة الى قائدها جمال عبد الناصر .

اي ان الكتاب من اوله الى اخره جزء من حملة في « الدعاية السوداء » ، كما يسمونها ، ضد الثورة وقائدها .

وتضم ملفات الحكومة المصرية ، في رئاسة الجمهورية ومجلس الوزراء وادارة المخابرات العامة ، مجموعة وثائق تكفي لادانة مايلز كوبلاند ، ولست اعرف لماذا لا تنشر كلها او ينشر بعضها في مواجهة ما يكتبه وينشره مايلز كوبلاند ؟

في هذه الملفات خطابات بامضاء مايلز كوبلاند يطلب اموالا من الحكومة المصرية لينتشيء لحسابها ادارة مخابرات مقرها لندن او جنيف تقوم على خدمتها ، وتأشيرات على هذه الخطابات برفض العرض لاننا لا نستطيع ان نعهد لعميل للمخابرات الامريكية باثشاء مخابرات مصرية .

وبينها خطابات بتوقيع مايلز كوبلاند يبدي فيها استعداده لحذف وتغيير كل ما لا ترضى عنه مصر في كتابه « لعبة الامم » - وتأشيرات عليها بعدم الرد عليه ، لان مجرد الرد عليه يعطيه قيمة ليست له .

وبينها خطابات بتوقيع مايلز كوبلاند يشكو فيها من ان جميع المصريين المسؤولين لا يقابلونه ولا يردون عليه ، بينما هو يريد ان يخدم ، ولا يطلب من مصر الا ما يستطيع ان يعيش به ويحافظ على مستواه - وتأشيرات على هذه الخطابات بمنع دخوله الى مصر وبعدم حاجتها الى خدماته ، وبانها ليست مسؤولة لا عن معيشتة ولا عن مستوى معيشتة ، وانه مغامر على استعداد لان يبيع نفسه ، ومصر ليست مستعدة لان تشتري !



لم يكن هناك اتصال بين الثورة والولايات المتحدة قبل ليلة ٢٣ يوليو ، وبعد نجاح الثورة ، وحين كلف قائد الجناح - وقتها - علي صبري بان يتوجه الى السفارتين البريطانية والامريكية ، وان يبلغ اثنين من الملحقين سبقت له معرفتهما اجتماعيا « بان الثورة التي قامت ونجحت واستولت على السلطة في مصر هي عمل داخلي بحت ، وانه من الخير ان تعرف الدولتان مبكرا - وان يعرف العالم كله - ان النظام الجديد يحترم التزامات مصر الدولية ، وانه لا

يريد ان يبادر احدا بعداء ليس هناك ما يستوجبه الا الدفاع الشرعي عن النفس « .

وكانت الفكرة وراء هذا التبليغ المبكر للسفارتين ان يسبق اية محاولة استعداد يقوم بها القصر ضد الثورة ، ومخافة ان يكرر الملك فاروق ما فعله عمه الخديوي توفيق تجاه ثورة عرابي .

• كان ذلك هو الاتصال الاولي ، وكان ذلك هدفه .

ثم كان بعد ذلك ان حاولت السفارة الامريكية في القاهرة ان تفتح بابا للاتصال مع النظام الجديد ، واتخذت قيادة الثورة قرارا بقبول فتح الباب على اساس ان الولايات المتحدة الامريكية لها وضع يختلف عن بقية القوى الكبرى وقتها .

كانت صورة الولايات المتحدة في ذلك الوقت من سنة ١٩٥٢ ما زالت صورة مقبولة ، خصوصا اذا قورنت بغيرها .

لم يكن لها دور استعماري في المنطقة ، بينما كانت بريطانيا وفرنسا غارقتين في تاريخ استعماري طويل وقديم .

• وكان الاتحاد السوفيتي بعيدا وراء الستار الحديدي لعصر ستالين .

وفوق ذلك فان الولايات المتحدة كانت خارجة من الحرب العالمية ضد هتلر والعالم كله يلتفت بالاعجاب لطاقتها الهائلة التي كسبت الحرب ضد النازية ، ولاسلوب حياتها الذي كانت السينما الامريكية ترسم صورة جذابة له .

وكلف احد اعضاء مجلس الثورة - ولم تدم عضويته فيه اكثر من ثلاثة شهور او ربعة - وهو السيد عبد المنعم أمين ان يتولى عملية فتح الباب ، وفي بيته اجتمع جمال عبد الناصر لأول مرة مع السفير الامريكي جيفرسون كافري .

وفي هذا الاجتماع الاول تشجع جيفرسون كافري بما سمع :

قال له جمال عبد الناصر : « ان هدفه الاول ان يصل الى اتفاق مع بريطانيا يضمن جلاء قوات الاحتلال عن مصر - وهو يريد مساعدة الولايات المتحدة في اقناع بريطانيا بالجلاء » .

وقال له جمال عبد الناصر : « ان هدفه التالي لذلك هو اجراء تغييرات اساسية في حياة الشعب المصري اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا - وهو يرحب

بأية معونة تستطيع الولايات المتحدة ان تقدمها في عملية تطوير اقتصاد مصر .

وقال له جمال عبد الناصر : « ان هدفه الثالث هو تقوية الجيش المصري ، فقد كانت الاسلحة الفاسدة من اسباب قيام الثورة - وهو يسأل : هل تستطيع الولايات المتحدة ان تبيع مصر سلاحا حديثا يحمله جيشها للدفاع عن حدودها؟ »

وتساءل جيفرسون كافري في هذا الاجتماع الاول :

- واسرائيل ٠٠٠ كيف ترون اموركم معها ؟

ورد جمال عبد الناصر بان اسرائيل ليست شاغله الان ، ونظرتة اليها - على اي حال - انها ليست خطرا يهدد مصر ، لان المخطر ليس قوة اسرائيل ، وانما هو ضعف مصر اقتصاديا واجتماعيا .

وعندما قرأت واشنطن تقارير كافري الاولى من القاهرة بعد قيام الثورة ، قررت ارسال عدد من المندوبين يتحققون بأنفسهم من الوضع الجديد واتجاهاته ، وكان بين هؤلاء المندوبين كيرميت روزفلت المسئول الاول في ادارة المخابرات المركزية الامريكية عن الشرق الاوسط ، وقد وصل الى القاهرة تحت ستار انه مستشار خاص للبيت الابيض ، وقد عرف جمال عبد الناصر شخصيته الحقيقية قبل ان يقابله ، وتحدث اليه بمثل ما تحدث الى كافري ، وكان جمال عبد الناصر مستعدا لان يتحدث لكل من يريد ان يستمع اليه وينقل عنه ، فقد كان حتى تلك اللحظة - ولوقت طويل بعدها - ما زال على اعتقاده بان الولايات المتحدة الامريكية تختلف عن غيرها من القوى الكبرى !



كان اول لقاء بين جمال عبد الناصر وكيرميت روزفلت في الاسبوع الاول من شهر اكتوبر ١٩٥٢ ، وبعده بايام وصل الى القاهرة المستر ويليام فوستر وكيل وزارة الدفاع الامريكية ، واجتمع جمال عبد الناصر به مرتين اثناء وجوده في القاهرة ، وموضوع شراء السلاح من امريكا هو الموضوع الاساسي في الحديث .

في الجلسة الاولى مع ويليام فوستر ، قال فوستر لجمال عبسد الناصر ان الولايات المتحدة على استعداد لان تبيع له كميات « معقولة » من الاسلحة ، وتساءل فوستر عما اذا كانت لدى مصر قائمة بما تريد ، ووعده جمال عبد الناصر بان يقدم له القائمة عندما يلقاه على العشاء في اليوم التالي في بيت كافري . ووصل جمال عبد الناصر في اليوم التالي على العشاء في بيت السفير الامريكي وفي جيبه قائمة بمطالبه من السلاح ، وكانت القائمة متواضعة : تسليح فرقة مدرعة مسن

الدبابات ، وخمسة اسراب من الطائرات المقاتلة ، وعدد من بطاريات المدفعية (مائة مدفع تقريبا) واخيرا بعض القطع البحرية بينها مدمرتان اثنتان .

وقرأ ويليام فوستر القائمة وهز رأسه بالموافقة قائلا : انها قائمة معقولة ، ثم تطرق الحديث بعد ذلك الى تفاصيل كثيرة عن الصفقة : الانواع - الاسعار - طريقة السداد - ومواعيد التسليم ، ثم قال ويليام فوستر انه يقترح سفر بعثة مصرية الى امريكا لزيارة بعض القواعد العسكرية ومشاهدة انواع الاسلحة المطلوبة على الطبيعة ، ورؤية تجارب عملية لادائها على الطبيعة .

وسافر ويليام فوستر تاركا وراءه جوا من التفاؤل .

وتأكد جو التفاؤل حين اتصل كافري بعد عدة ايام بجمال عبد الناصر ليسأله عن موعد سفر البعثة العسكرية المصرية الى واشنطن ، وابلغت السفارة الامريكية بان بعثة برئاسة علي صبري سوف تكون على استعداد للسفر الى واشنطن في اي وقت ابتداء من الان !



كانت تلك هي الظروف التي دخلت فيها انا شخصيا للقيام بدور في مجال العلاقات المصرية الامريكية ، فقد كنت في الطريق الى الولايات المتحدة لتغطية انتخابات الرئاسة الامريكية في شهر نوفمبر ١٩٥٢ بين الجنرال دوايت ايزنهاور مرشحا عن الحزب الجمهوري ، والمستر ادلاي ستيفنسون مرشحا عن الحزب الديمقراطي .

واتذكر انني قابلت جمال عبد الناصر قبل سفري ، وكان قوله لي :

« وانت في واشنطن اريدك ان تتابع من الناحية السياسية عملية صفقة لاسلحة الموعودة لمصر ٥٠٠ ان علي صبري سوف يتولى الناحية العسكرية واريدك ان تتابع الناحية السياسية في المسألة .

انك سوف تقابل كثيرين بحكم عملك الصحفي ، كما ان كثيرين سوف يحاولون الاتصال بك بحكم معرفتهم بالصدقة بيننا ، ثم انك تعرف هناك كثيرين من الصحفيين والساسة .

ثم شرح لي جمال عبد الناصر كل التفاصيل مما جرى حتى وقتها ، وسافرت ، وكان علي صبري قد سبقني الى الولايات المتحدة بيوم واحد او يومين ، وحينما عدت من مهمتي هناك قابلت جمال عبد الناصر ، واتذكر انني قلت له ما ملخصه :

١ - انني لا اعتقد اننا سنحصل على اسلحة امريكية في وقت قريب .

٢ - انهم يريدوننا ان ننضم الى حلف من احلافهم الدفاعية قبل ان يطمئنوا ويعطونا اي سلاح .

٣ - اننا في كل الاحوال لنستطيع الحصول على ما نريد من السلاح قبل ان يتأكدوا من اننا لن نستعمل اي سلاح نحصل عليه ضد اسرائيل .

واهتم جمال عبدالناصر - كما اذكر - بمقابلة بيني وبين الجنرال اولستيد رئيس برامج المساعدة الامريكية العسكرية في البنقاجون ، وكانت مقابلة مثيرة كشف الجنرال فيها عن خريطة كبيرة للعالم مغطاة بالدبابيس الملونة وبالاعلام التي تشير الى مواقع القواعد الامريكية في العالم ، ثم قال لي:

- ان منطقة الشرق الاوسط - كما ترى على هذه الخريطة - خالية من الدبابيس الملونة والاعلام ... ونحن نريد ان نملاها .
ثم استطرد :

- ما رايتك في حلف اسلامي يرتكز على الباكستان - اكثر الدول الاسلامية تعدادا - وعلى تركيا - اقوى الدول الاسلامية عسكريا - وفي القلب على مصر - اقوى الدول الاسلامية تأثيرا ،

وعندما قلت للجنرال اولستيد :

- ان مثل ذلك ابعد ما يكون عن تفكير مصر الان ،
كان رده :

- لماذا تريدون اسلحة اذن ؟ هل تريدون استعمالها ضد اسرائيل ، ؟
وقلت له :

- اننا نريد ان نكون قادرين على الدفاع عن انفسنا ضد اي عدوان مهما كان مصدره ،
وكسان رده :

- ليس هناك مصدر محتمل للعدوان عليكم الا الشيوعية ، وليس هناك نظام تستطيعون مقاومتها به الا نظام حلف اسلامي .. ثم ان هذا الحلف اذا قام سوف يكون قوة جذب لسلمي الاتحاد السوفيتي ومسلمي الصين !! ،

ثم قلت لجمال عبدالناصر :

- باختصار فاني لست متفائلا .

وكان رده بسرعة :

- ولانا ، ! .



وفي ١١ مايو ١٩٥٣ جاء جون فوستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة الجديد ، مع الجنرال أيزنهاور الذي كان قد نجح في انتخابات الرئاسة ، الى القاهرة ، وكانت أهداف جون فوستر دالاس من رحلته ، كما كتب بنفسه في اوراقه الخاصة الموجودة الان في جامعة برنستون ، ثلاثة :

١ - ان الشرق الاوسط منطقة فراغ لان بريطانيا ليس امامها الا الرحيل ، والمنطقة مكشوفة وهي مفتوحة لمن يريد ان يعمل ويعيد ترتيب اوضاعها ، ولا بد للولايات المتحدة ان تسبق غيرها اليها .

٢ - انه يريد اقناع المنطقة - وجمال عبدالناصر في وسطها - باقامة حلف دفاعي يستكمل طوق القواعد الامريكية المحيطة بالاتحاد السوفيتي .

٣ - ان تحقيق صلح بين مصر واسرائيل يعني اعادة السلام للاراضي المقدسة ، وهو حلم كل سياسي مسيحي .

ومن الحق ان يقال انصافا لكل الاطراف ان جون فوستر دالاس غادر القاهرة حائرا .

كانت لديه قناعات ثابتة جاء بها معه ، ولكنه في القاهرة سمع من جمال عبدالناصر كلاما مقنعا لم يجد لديه ردا كافيا عليه .

قال له جمال عبد الناصر : ان الفراغ في المنطقة لا يملأه الا اهلها ، وان الوطنية والقومية العربية هي اهم القوى المحركة فيها والفاعلة .

وقال له جمال عبد الناصر : ان شعوب المنطقة لا يمكن ان تخرج من عهد الاحتلال المسافر الى عهد قواعد عسكريةتشترك فيها نفس الدول المحتلة السابقة ، والا بدأ الامر لشعوبها وكأنه مهزلة ليس بعدها مهزلة .

وقال له جمال عبدالناصر : ان السلام في الارض المقدسة لن يجيء الا باحترام حقوق مشروعة للشعب الفلسطيني .

ولقد كتبت من قبل تفاصيل ذلك اللقاء بين عبدالناصر ودالاس ، ولست اريد ان اكرر نفس الكلام ، ولهذا اکتفي بالقول بأن دالاس خرج حائرا من القاهرة بين قناعاته السابقة وبين كلام مقنع قيل له .

والمهم ان هذه الحيرة لم تصل بأصحابها الى قرار في موضوع السلاح .



وكانت الحوادث في الشرق الاوسط تتحرك بسرعة ، ولا تنتظر الحائرين حتى يستقر رأيهم ويصلوا الى قرار محدد .

قام حلف بغداد ٠٠٠ وان كانت الولايات المتحدة قد اثرت ان لا تنضم رسميا اليه ٠٠٠

ثم وقعت الفارة على غزة ، ووجد جمال عبدالناصر انه لا يستطيع البقاء اعزل امام اسرائيل .

ثم سافر عبد الناصر الى باندونج ، وبرزت سياسة عدم الانحياز ،

واعتبرها جون فوستر دالاس ظاهرة خطيرة في الشرق الاوسط تقضي على آماله في اعادة ترتيب اوضاع المنطقة ، والى جانب ذلك فلقد نذكر انه في رانجون - في الطريق الى باندونج - طرح جمال عبد الناصر على شواين لاي - رئيس وزراء الصين - امكانية حصول مصر على سلاح من الاتحاد السوفيتي .

وجاء الرد بالاجاب من الاتحاد السوفيتي بواسطة دانييل سولود السفير السوفيتي في القاهرة .

ولم يدر جمال عبدالناصر او يلف ، وانما قال بعدها للسفير الامريكاني في القاهرة هنري بايرود :

«إنه اذا لم يحصل من أمريكا على ما طلب من السلاح فسوف يحصل على ما يريد من الاتحاد السوفيتي .»

ورفض جون فوستر دالاس ان يصدق تقرير بايرود ، واعتبر ان جمال عبدالناصر يحاول التشهير والابتزاز ، وأن الاتحاد السوفيتي لن يبيع سلاحا لعبد الناصر لان الاتحاد السوفيتي مقيد بروح مؤتمر الاقطاب الاربعة في جنيف .

والغريب ان دالاس كان يرفض ان يصدق في الوقت الذي كانت المفاوضات فيه بين مصر والاتحاد السوفيتي قد بدأت بالفعل في القاهرة وفي براغ ، وكان الاتحاد السوفيتي هو الذي اقترح عقد الصفقة عن طريق تشيكوسلوفاكيا حرصا منه على انجاح مؤتمر جنيف ، ثم على روح مؤتمر جنيف ، وفي هذه النقطة كان مع دالاس بعض الحق ٠٠٠ بعض الحق وليس كل الحق !



ومع شهر سبتمبر سنة ١٩٥٥ كانت الحوادث تجري بسرعة مخيفة دون سيطرة لاحد على سياقها .

وطرات حادثة صغيرة أدت الى قطع العلاقات تماما بين جمال عبدالناصر وبين هنري بايرود السفير الامريكي في القاهرة رغم صداقة وثيقة واعجاب متبادل كان يربط ما بين الاثنين .

فقد أقام الدكتور أحمد حسين سفير مصر في واشنطن - وكان وقتها يقضي اجازة بالقاهرة - مادية عشاء في بيت ضهره الدكتور سيد شكري بالجيزة دعما اليها جمال عبدالناصر وعبد الحكيم عامر وعبد اللطيف بغدادى والسفير الامريكي في القاهرة هنري بايرود .

ووصل بايرود قبل جمال عبد الناصر الى بيت الدكتور سيد شكري وراح يحتسي الويسكي يفرق بها عصبية شديدة كانت بادية عليه .

ووصل جمال عبد الناصر الى بيت الدكتور سيد شكري متاخرا اكثر من ساعتين عن موعد العشاء لشواغل عطلته ، والتفت وهو يجلس الى هنري بايرود وسأله :

- كيف أحوالك ؟

وقال بايرود بعصبية :

- سيئة جدا يا سيادة الرئيس !

ودهش جمال عبدالناصر وقد لاحظ عصبية السفير الامريكي ، واستطرد بايرود :

- سيادة الرئيس ، ان أحد رجالي قد ضرب بوحشية اليوم في السويس ضرب الى درجة أنه الان بين الموت والحياة ،

وقال جمال عبدالناصر بهدوء :

- أظنك تقصد رجلا اسمه « فينش » ، ولا أظنه من رجالك ، وانما هو من رجال وكالة المخابرات الامريكية وقد ذهب الى السويس في وسط عمال البترول وقد حاول وسطهم ان يتكلم بلهجة معادية للنظام في مصر ولقد رفضوا سماعه وضربوه ، ولست أعرف لماذا يذهب رجال مخابراتكم الى وسط عمالنا ؟

وقال بايرود :

- ان المستر فينش ملحق عمالي بسفارتي وليس من رجال المخابرات ،

وأنا أسأل لماذا يضرب ٠٠٠ وأطلب ترضية كافية عن ذلك لان هذه مسؤوليتي
٠٠٠ أنا مسئول عن رجالي ، .

وقال جمال عبد الناصر بهدوء ، وان كان الجالسون من حوله ليلتها قد
أحسوا أنه الهدوء الذي يسبق العاصفة :

– أنت مسئول عن رجالك ، وأنا مسئول عن مصر ، ولا أستطيع ان
اسمح لرجالك أو لرجال غيرك بالعبث بين أهلها ، .
ولم يسكت بايرود وانما استطرد :

– ان فينش ضرب بوحشية ٠٠٠ وأنا لا أستطيع أن أقبل ذلك ، .

واطفأ جمال عبد الناصر سيجارة كانت في يده على مطفأة سجائر كانت
بجانبه وقال :

– تستطيع أن لا تقبل كما تشاء ، .

ثم نهض واقفا واتجه الى الباب ووراءه عبد الحكيم عامر وعبد اللطيف
بغدادى والدكتور أحمد حسين يجري وراءهم محاولا تدارك الموقف ومعتذرا بأن
« بايرود » شرب أكثر مما يستطيع تحمله قبل مجيء الرئيس ، وانه على كل
الاحوال في محنة ، فهو يشعر أنه مطحون بين واشنطن والقاهرة .

وكان ذلك صحيحا ، فان بايرود كان اختيارا لمنصب السفير في القاهرة
روعت فيه مواصفات كثيرة معينة وضعت كلها لكي تناسب امكانيات تفاهمه
مع جمال عبد الناصر ، فقد كان مساعدا لوزير الخارجية لشئون الشرق الاوسط
ومعنى ذلك أنه أكثر من سفير عادى ، ثم أن له خلفية عسكرية فقد كان
جنرالا سابقا في الجيش ، ولعبد الناصر مثل هذه الخلفية ، ثم أنه كان في
مقتبل العمر والفارق بين سنة وسن جمال عبد الناصر عشر سنوات فقط ،
وهو في هذا يختلف عن سلفه العجوز جيفرسون كافرري الذي كان سنة ضعف
سن جمال عبد الناصر ، ومن ثم كانوا يتصورون في البيت الابيض أن بينهما
فجوة اجيال تعوق تفاهمهما ، فضلا عن ذلك فلقد كانت لبايرود سمعة أنسه
قريب من وجهة النظر العربية ، وتلك اضافة الى رصيده ، وبالفعل فقد كان
كثيرون يتوقعون لبايرود أن ينجح نجاحا لم يسبق له مثيل ، ولكن حركة
التاريخ كانت تسير في اتجاه آخر ، فقد كانت تلك هي الفترة التي بدأ فيها
الاحتكاك بين مصر الثورة والولايات المتحدة الامريكية بسبب الاحلاف العسكرية،
وبسبب الاوضاع في الشرق الاوسط عامة ، وبالتحديد بسبب السلاح الذي
كان بايرود يحاول جاهدا اقناع واشنطن بأن تبدأ في شحن شيء منه الى
مصر ، ولو لجرد الرمز ولتهدئة الخواطر ولرد الشكوك ، وكان بايرود واثقا

من أن جمال عبد الناصر سوف يلجأ الى مصدر اخر للحصول على السلاح الذي يريده ، وكان بايسرود يعترف في نفس الوقت أن دالاس لا يصدق تقاريره ، وحتى اذا صدقها فانها سوف تعتبر لما فيها فشلا لقدرة « بايسرود » على اقناع جمال عبد الناصر !! » .

كانت تلك هي حقيقة محنة « بايسرود » التي دفعتها الى التصرف على النحو الذي تصرف به تلك الليلة على العشاء ، وكان جمال عبد الناصر يعرف ، وربما من هنا اقتصر رد فعله على ما كان منه ، ولم أراد لطلب من الخارجية اعتباره شخصا غير مرغوب فيه ، ولجري سحبه من القاهرة ، ولكن جمال عبد الناصر كان يقدر ويعذر ، مع اصراره على وضع الحدود حيث ينبغي لها أن تكون .

ولقد كانت هذه الواقعة - على العشاء - مهمة حينما انفجرت أزمة صفقة الاسلحة السوفيتية ، لانها كما قلت أدت الى قطع العلاقات بين « هنري بايسرود » وجمال عبدالناصر .

كانت أزمة صفقة الاسلحة السوفيتية على وشك أن تنفجر ، وقد انفجرت فعلا بعد أيام قليلة ، وبالتحديد يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٥٥ .

الحديث السادس:

يوميات أزمة
في سلسلة أزمات مع الولايات المتحدة

كان يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٥٥ والايام القليلة التي تلتها فترة غريبة ومثيرة في القصة المعقدة للعلاقات المصرية الامريكية .
في ذلك اليوم ٢٦ سبتمبر كانت عناصر الصورة كما يلي :

● « جون فوستر دالاس » في حالة هياج في واشنطن ، فقد تاكد لديه ما رفض لزمه طويل تصديقه من ان جمال عبد الناصر سوف يلجأ الى السوقيت ليحصل منهم على ما عز الحصول عليه من الولايات المتحدة : سلاح يدافع به عن مصر وعن الامة العربية ضد غارات اسرائيل المستمرة على مواقع الحدود المصرية ، وعلى مواقع على خطوط الجبهة الاردنية .

في ذلك اليوم جاءه شقيقه الان دالاس ، مدير وكالة المخابرات المركزية الامريكية ، يقدم له تقريراً موثقاً حصلت عليه ادارته من براغ - عاصمة تشيكوسلوفاكيا - يفيد ان صفقة سلاح قد عقدت بالفعل بين مصر والاتحاد السوفيتي .

● « جون فوستر دالاس » يقرر بدون تشاور مع الرئيس دوايت ايزنهاور - الذي كان راقداً في المستشفى مصاباً بنوبة قلبية فاجأته قبل ثلاثة ايام ، يوم ٢٤ سبتمبر - ان يوجه الى جمال عبد الناصر انذاراً لموقف صفقة السلاح و«ال» .

ويرى « دالاس » ان يطير الى القاهرة مبعوث سري خاص باسم رئيس الولايات المتحدة يوجه هذا الانذار ، ويقع اختياره على « كيرميست روزفلت » الذي سبق للقاهرة ان عرفته بوصفه مستشاراً للمبيت الابيض ، وهو في الحقيقة مسئول المخابرات المركزية الامريكية عن الشرق الاوسط .

● « جون فوستر دالاس » يخطر السفارة الامريكية في القاهرة بأن مبعوثاً يمثل الرئيس الامريكي هو الان في طريقه الى القاهرة ، ويصلها مساء يوم ٢٧ سبتمبر ، وعلى السفارة ان تطلب موعداً مع الرئيس جمال عبدالناصر ، وان يتولى هنري بايرود بنفسه عملية ترتيب هذا الموعد .

ولم يكن « دالاس » يعرف بطبيعة الحال ان العلاقات بين « هنري بايرود وجمال عبد الناصر مقطوعة منذ ايام بسبب حادثة المستر فينش الملحق العمالي في السفارة ، والطريقة التي عرض بها بايرود هذه الحادثة في العشاء الذي

اقامه الدكتور احمد حسين قبل ذلك بايام .

وهكذا وجدت نفسي في خضم الحوادث الغربية والمثيرة لهذه الفترة
ولهذا فاني اؤثر ان انقلها من دفتر مذكراتي عن تلك الايام .

صباح الثلاثاء ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥

في الساعة الواحدة والثلاث صباحا رن التليفون بجوار فراشي ، ومددت
يدي نصف نائم ارد عليه .

كان المتكلم هو « ايكلبرجر » الوزير المفوض في السفارة الامريكية ، وكان
صوته غريبا ، فلم يكن فقط في حالة انفعال ، وانما اظنه ايضا كان في حالة
زاد معها العيار ثلاثة كؤوس او اربعة .

قلت له :

— « ايك » — كما نسميه اختصارا لاسم ايكلبرجر — ماذا حدث لتوقظني
في هذه الساعة ؟

وقال :

— شيء خطير جدا . . . هل عقدتم صفقة اسلحة مع الاتحاد السوفيتي ؟

قلت :

— ماذا تقول ؟ وما الذي يدخلني في مثل هذا الموضوع ، وهو امر يخص
العسكريين بالدرجة الاولى ؟ ثم اما كان بمقدورك الانتظار حتى الصباح ؟

وقال ايكلبرجر :

— محمد . . . الموضوع جد . . . الموضوع خطير . . . هو بالغ الخطورة ،
وهو لا يتصل بالعسكريين كما تقول ، ولكنه قرار سياسي ، وقد وقع فعلا ،
وقد تلقت واشنطن معلومات عنه من براغ ، ثم اننا هنا حصلنا على تأكيد له
من صحفي يراسل مجلة امريكية ، وكان في هذا المساء مع مصدر مصري
كبير ، وتحقق له مما سمع ان الصفقة عقدت فعلا .

وقلت :

— ذلك امر لا علم لي به .

وقال وانفعاله يشتد ، والكلمات يزداد اعوجاجها على لسانه :

— ارجوك . . . ارجوك ان تتصل بالرئيس الان فورا . . . ارجوك ان
تنصحه بالانتظار لان هناك رسولا موقدا اليه من الرئيس الامريكي .

من الاهمية بمكان ان تنتظروا ٠٠٠ ارجوك ان تلح على الرئيس ناصر
ان لا يحرق جسوره .

وقلت :

– « ايك » ، انني لا اعرف ما تتحدث عنه ، ولكنني على اي حال سوف
اتصل بالرئيس في الصباح واروي له ما سمعت منك .

وقال ايكليبرجر :

– بل الان اتصل به ارجوك ٠٠٠ لا تنتظر الى الصباح ٠٠٠ كل دقيقة
لها قيمتها .

وقلت :

– سوف اري ما استطيع عمله .

وضعت سماعة التليفون مكانها ورحت افكر .

بعد عشر دقائق اتصلت بالضابط النوبتجي في بيت جمال عبد الناصر
وسالته عما اذا كان الرئيس نائما ، او هو بعد ساهر مع بعض عمله او بعض
زواره .

قال لي الضابط النوبتجي بعد ان غاب عن التليفون دقيقة او اقل انه نظر
من نافذة غرفته الى نافذة غرفة نوم الرئيس ووجد انوارها مطفأة ولا بد ان
الرئيس نائم .

وترددت ثم قلت :

– هناك مسألة هامة ولكنها تستطيع – فيما اظن – ان تنتظر حتى
الصباح .

• • • • •
• • • • •

صباح الثلاثاء ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥

في الساعة الثامنة والثلث صباحا اتصلت مرة اخرى بالضابط النوبتجي
في بيت جمال عبد الناصر اسال اذا كان الرئيس قد استيقظ من نومه .

قال لي الضابط النوبتجي ان الرئيس قد استيقظ مبكرا ، وانه طلب
صحف الصباح في غرفة نومه في الساعة السابعة والرابع ، وسألني الضابط
النوبتجي عما اذا كنت اريد ان يحول مكالمتي على غرفة نوم الرئيس ، وقلت
له انني سوف اطلبه على التليفون المباشر في غرفة النوم .

• وفعلت

سألت جمال عبد الناصر عما اذا كنت استطيع مقابلته ، وقال : تعال الان •

ذهبت اليه • وجدته بانتظاري في غرفة المكتب يرتدي بنطلونا رماديا وقميصا ابيض • رويت له حديث « ايكلبرجر » • كان ينصت باهتمام • كان اول تعليق له هو قوله :

– لا يدهشني انهم عرفوا الان ••• وانما يدهشني انهم لم يعرفوا قبل الان !

واستطرد وكأنه يتحدث مع نفسه ، وفي الحقيقة فانه – فيما بسدا لي – كان يفكر بصوت عال :

– نحن امام مشكلة •

ليست المشكلة اننا عقدنا صفقة سلاح مع الاتحاد السوفيتي ، فذلك امر يخصنا ولا نسمح لهم او لغيرهم بالتدخل فيه ، وعلى اي حال فحين اتخذنا قرارنا كنا نعرف ان القرار سيضعنا في موقف صدام مع امريكا •

المشكلة التي نحن امامها الان هي هذا الرسول الموفد من ايزنهاور •

اذا جاء وسألني ، فسوف اقول له : نعم ، لقد غقدنا صفقة سلاح مع الاتحاد السوفيتي ، وهذا قرار يخصنا وحدنا ولا يخص غيرنا •

ولكن المسألة هي : لماذا اعطيهم هم حق سؤالي « بلا » او « بنعم » ولماذا يكونون هم اول من اقول لهم ما حدث ، في حين ان الشعب في مصر لا يعرف ، وكذلك لا تعرف بقية الشعوب العربية ، وهم جميعا سئدنا في الصدام القادم بسبب صفقة السلاح مع الاتحاد السوفيتي •

واستطرد جمال عبد الناصر :

– الحل الوحيد لهذه المشكلة هو ان نعلن اليوم نبأ الصفقة وان يجيء الاعلان بطريقة تبدو وكأنها طبيعية ، فلا يظهر لهم اننا قفزنا الى اصدار بيان رسمي – مثلاً – فور سماعنا منهم بأنهم عرفوا نبأ الصفقة •

توقف جمال عبد الناصر عن الكلام • مد يده الى سماعة التليفون على المكتب فرقعها يتصل بمكتبه • الرئيس يسأل سكرتيه عما اذا كانت هناك مناسبات عامة دعي الرئيس لحضورها • سكرتيه يقول له انه ليس امامه شيء

يشير الى مناسبة عامة دعي الرئيس لحضورها • الرئيس يقول له : «ابحث» ،
ويضع سماعة التليفون ، ويستطرد في حديثه معي :

– سوف اجد مناسبة اعلن فيها نبا صفقة السلاح اليوم ، لأنني لا اريد
لمبعوث ايزنهاور ان يجيء ليسألني : «حدث ام لم يحدث ؟ » وانما اريده حين
يجيء ان يجد نفسه امام امر واقع ، ويكون سؤاله لي : « ثم ماذا بعد الان ؟ » •

تحدثنا في احتمالات « ماذا بعد الان ؟ » ، وما هي فحوى الرسالة
التي يحملها مبعوث ايزنهاور ؟ اي تأثير للاعلان قبل وصوله وقبل تسليم
الرسالة ؟ تركت جمال عبد الناصر لبرنامج عمله اليومي وعدت الى مكنتي •

اتصل بي جمال عبد الناصر في الساعة الثانية عشرة واربعين دقيقة بعد
الظهر • جاءني صوته على التليفون يقول بمرح :

– الا تريد ان تحضر حفلة افتتاح معرض صور تقيمه ادارة الشؤون العامة
بالقوات المسلحة في مبنى المعرض في الساعة الخامسة بعد ظهر اليوم ؟
واستطرد :

– لم اجد مناسبة عامة يمكن ان اعلن فيها اليوم ما اريد اعلانه غير
هذه المناسبة •

لقد وجدت الخبر في احدى الصحف ، واتصلت بمدير الشؤون العامة
بالقوات المسلحة اسأله : الا تريد ان احضر لافتتاح المعرض مساء اليوم ؟
وذهل الرجل ، واظنه ما زال حتى هذه اللحظة مذهولا يضرب أخماسا في
أسداس • !

وكان جمال عبد الناصر يضحك من قلبه •

مساء الثلاثاء ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥

ذهبت الى معرض الصور الذي اقامته ادارة الشؤون العامة للقوات المسلحة
في سراي الجزيرة • جاء جمال عبد الناصر بعد الخامسة بدقائق • طاف بلوحات
الصور المعروضة ، ثم توجه الى قاعة صغيرة يلتقي فيها المدعوين لحضور
حفلة افتتاح المعرض ، وبينهم عدد كبير من المصورين الذين اشتركوا فيه •
سألت وجيه اباطة مدير الشؤون العامة في القوات المسلحة :

– كم تقدر عدد المدعوين الى هذا الحفل ؟

قال :

– حوالي مائة ٠٠٠ لقد فاجأنا الرئيس بحضوره . ولو كان أحد يعرف أنه قادم ل جاء الاف ، .

دخل جمال عبد الناصر الى القاعة . بدأ يتكلم . فجر قنبلة السياسية الكبرى ٠٠٠ اكبر قنبلة أمام اصغر جمهور وقف خطيبا امامه ، ومع ذلك فهم لا يعرفون أنهم بالنسبة اليه كانوا فرصة نزلت عليه من السماء . علينا الان أن نستعد للسؤال الكبير « ثم ماذا بعد الان ؟ » .

عدت الى مكتبي وبقيت فيه حتى العاشرة والنصف .

اتصل بي ايكلمبرجر قبل أن اغادره . كان صوته هادئا ، وان كنت قد أحسست أن هناك شحنات مكبوتة مضغوطة فيه . قال لي ايكلمبرجر أنه سوف يذهب الى المطار ليستقبل مبعوث أيزنهاور ، وهو كيرميت روزفلت . قال لي أن كيرميت سوف ينزل عنده في شقته بعمارة البدرابي بالزمالك حرصا على سرية اتصالاته . سألني اذا كنت أستطيع أن اتناول طعام الافطار غدا في بيته مع كيرميت روزفلت ، لان الامور بعد اعلان جمال عبد الناصر عن صفقة السلاح مع الاتحاد السوفيتي تقتضي اتصالات غير رسمية لاستكشاف المواقف وتحديدها قبل أن يجتمع كيرميت روزفلت مع الرئيس .

اتصلت بجمال عبد الناصر واتفقنا أن اذهب اليه في الغد بعد ان أفرغ من لقاء كيرميت روزفلت . قال لي أنه سوف يكون في مكتبه برئاسة مجلس الوزراء في شارع القصر العيني ، لانه مرتبط هناك بسلسلة من المواعيد .

صباح الاربعاء ٢٨ سبتمبر ١٩٥٥

مشيت من بيتي الى بيت ايكلمبرجر في الساعة الثامنة صباحا . قبلها ومنذ الفجر كنت أفكر فيما عسى أن أسمعه من « كيرميت روزفلت » ، وفيما يمكن أن تتطور اليه الحوادث خلال الساعات القادمة . فتح لي « ايكلمبرجر » باب شقته بنفسه ، وقال لي على الفور :

– انني اليوم نفسي لاني حذرتك أمس . ربما لو أنني لم أحذرك لكننا الان في موقف أفضل ، ولما كان نبأ الصفقة قد اعلن ، وكان الرجوع عنهما امرا ممكنا ، اما الان فان الموقف في غاية الدقة .

قلت لـ «أيك»:

– لا تلم نفسك كثيرا ، ولا تتصور أن تليفونك بعد منتصف الليل هو الذي أدى الى اعلان الصفقة ، .

واقبل كيرميت روزفلت علينا من الصالون الكبير للبيت ، ودخلنا معها اليه ، وكانت بداية اللقاء عبارات مجاملة عادية ثم ملاحظات من كيرميت روزفلت عن مشاق الطيران مرة واحدة من واشنطن الى القاهرة وفقدان التوازن بسبب فارق التوقيت .

لم يكن هناك وقت كثير ليضيع في المجاملات ومشاق الطيران وفوارق التوقيت ، وهكذا فاني قلت لكيرميت :

– لندخل في الموضوع . . . أين نحن ؟

وراح كيرميت يتنحج ، وهي عادة تلازمه دواما قبل أن يشرع في الحديث ، ثم قال :

– نحن في موقف بالغ الخطورة ، ان الوزير – يقصد دالاس – حين جنونه مما فعلتموه ، وهو لا يستطيع قبوله ولا ينوي السكوت عليه ، ومع ذلك دعني اسالك لماذا عقدتم مثل هذه الصفقة مع السوفيت ؟

ورحت اشرح له اسبابنا . . .

ثم تلاحقت اسئلته :

● ألم تكن نعرف ان طلباتنا من السلاح كانت موضوع نظر جدي في واشنطن ؟

قلت : سمعنا ذلك كثيرا ، ومقتضيات الدفاع العربي لم تكن تستطيع ان تنتظر .

● ألم تكن نقدر ان مثل هذا العمل من جانبنا سوف يؤثر على علاقاتنا مع الولايات المتحدة ؟

قلت : لا ينبغي له ان يؤثر ، فما قمنا به يدخل في دائرة سيادتنا ويتصل بحقنا المشروع في الدفاع عن النفس ، وليس لهم ان يلوموا – اذا كان هناك موجب للسوم – غير انفسهم ، فقد تقدمنا اليهم قبل ان نتقدم للاتحاد السوفيتي .

● هل بحثنا رد فعل الولايات المتحدة المحتمل تجاه هذه الصفقة ؟

قلت : على حد علمي ، تم بحث الموضوع من كل جوانبه ، وعلى اي حال فلست اعرف لماذا يكون من واجبنا ان نتحسب لرد الفعل الامريكي ازاء صفقة عقدناها مع الاتحاد السوفيتي ، ولا يكون من حقنا ان نتأكد من قدرتنا على رد الفعل ازاء اعتداءات اسرائيلية متكررة علينا .

ثم وصل الى السؤال الذي كنت اتوقعه :

– كيف السبيل الان الى الغاء هذه الصفقة ، قبل ان تتداعى العواقب
الوخيمة بعدها ؟ ،

قلت :

– لا اظن هناك سبيلا الى الغاء الصفقة ، ولست ارى هناك داعيا
لعبارات يلوح وراءها شبح التهديد ، لانه فيما اتصور لن يجدي ،

وتتحنج كيرميت مرة اخرى وبدا عليه كأنه يحسب الفاظه حرفا حرفا :
– أرجوكم ان تأخذوا الموقف جدا . . . لقد قلت لك ان الوزير جن جنونه
من الصفقة ، والان فليس امامنا غير الغاء الصفقة ، او فان المستقبل امامنا
مظلم . . . ان الوزير مستعد بسلسلة من الاجراءات ضدكم .

هو على استعداد لوقف كل معونة تقدمها لمصر .

ثم هو على استعداد لوقف كل تعامل اقتصادي وثقافي بيننا وبينكم .

وهو – ثالثا – على استعداد لقطع العلاقات الدبلوماسية .

وهو – رابعا – لن يتورع عن فرض حصار بحري على الشواطئ
المصرية يمنع به البواخر الحاملة للسلاح من الوصول الى موانئكم ، مهما كان
العلم الذي ترفعه هذه البواخر ،

واستطرد كيرميت يقول :

– لا تستهينوا بما يمكن ان يفعله دالاس ،

وقلت لكيرميت :

– أرجوكم – من ناحية اخرى – ان لا تستهينوا بما يمكن ان يفعله
جمال عبد الناصر .

لقد بحث – فيما أعرف – الاجراءات الثلاثة الاولى التي تحدثت عنها
الان . . . توقعها وانتظرها ، وهو على استعداد لها ، ومضارها تلحق بكم
أكثر مما تلحق بنا .

واما الاجراء الرابع الخاص بفرض حصار على شواطئنا ومنع البواخر
الحاملة للسلاح – مهما كانت اعلامها – من الوصول الى موانئنا فهذا امر
يخرج من حدودنا ويدخل في حدودكم انتم مع الاتحاد السوفيتي الذي سيتولى

نقل الاسلحة على بواخره وتحت اعلامه ، .

طال الجدل ، وسألت كيرميت :

- هل تظن حقيقة أنك تستطيع ان تقابل جمال عبد الناصر وتقول له مثل ما قلت لسي ؟ ، .

واجاب كيرميت :

- هذه هي التعليمات التي تلقيتها . .

قلت

- خذها نصيحة مني ولا تفعل ، والا وصلتكم في دقيقة واحدة السى طريق مسدود ، .

ثم سألته :

- هل أبلغتك السفارة هنا برد الفعل الشعبي في العالم العربي كله لما أعلنه جمال عبد الناصر أمس ؟ اطلب تقارير وكالات الانباء العالمية واقراها لكي تكون في الصورة . . . ان العالم العربي كله واقف على اطراف اصابعه في انتظار كلمة من جمال عبد الناصر يقولها ويتحول الشرق الاوسط كله الى حريق ضدكم وضد مصالحكم فيه . ان العالم العربي اعتبر الصفقة قرارا بتحريير الارادة العربية ، .

وطال الجدل مرة اخرى . وكان كيرميت روزفلت قد بدأ يرى الخطر على مهمته ، خصوصا بعد ان قرأ تقارير وكالات الانباء عن صدى اعلان جمال عبد الناصر عن عقد صفقة الاسلحة الجديدة .

وقال لي : انني سوف ابعث بصورة الموقف كما اراها الان الى واشنطن ولكن يجب ان اقابل الرئيس ناصر ، .

قلت : لنفرض ان واشنطن ردت عليك بتعديل في موقفها ، فهل تذهب اليه لكي تبلغه بموقف يحتمل ان يتغير ؟

وقال : هل يمكن ان اجيء مبعوثا من الرئيس ايزنهاور ولا يقابلني ؟ ،

قلت ، وكان تفكيري يجري بسرعة : لدى حل .

ابعث انت الان الى واشنطن برؤيتك للموقف على الطبيعة ، وسوف اقترح على الرئيس ان تتناولوا طعام العشاء الليلة في بيتي للقاء غير رسمي ،

وغدا على ضوء التعليمات الجديدة من واشنطن تقابله رسميا وتنتقل اليه
آخر موافقكم ،

وقال كيرميت ان هذا الاقتراح حل معقول ، وهو ينقذ الموقف مؤقتا ،
وبهيات للخروج ، وسار معي الى الصعد ، وفجأة قال لي :

- لقد سمعت أمس فقط من «أيك» بما فعله «بايرود» ... لقد فقد
صوابه حتى يتصرف على النحو الذي تصرف به ... ومن سوء الحظ أن
تكون علاقته بالرئاسة متوترة في هذا الطرف .

لم اعلق بشيء .

ظهر يوم الاربعاء ٢٨ سبتمبر

ذهبت الى رئاسة مجلس الوزراء . قابلت الرئيس في غرفة الصالون
الملحقة بمكتبه . دخل علي يقول في مرح ظاهر :

- لعلك أنت الآخر لم يركبك عفريت اسمه جواتيمالا ؟ .

واستطرد :

- كان عندي قبلك أحمد حسين (سفيرنا في واشنطن) ، اقلقه اعلاني أمس
عن صفقة الاسلحة ، وقفزت الى ذهنه تجربة «جواتيمالا» التي عقدت صفقة
سلاح خفف مع الاتحاد السوفيتي فقامت الولايات المتحدة بغزوها .

دخل علي هذا الصباح منفعلًا يكرر عبارة «جواتيمالا يا سيادة الرئيس» .
كررها ثلاث مرات .

ثم بدأ الرئيس يسمع ما عندي . وافق على اقتراح العشاء في بيتي هذه
الليلة .

مساء يوم الاربعاء ٢٨ سبتمبر

وصل كيرميت في الساعة الثامنة مساء . جلسنا نتحدث بعض الوقت .
قال لي انه بحث بتقريره الاول من القاهرة الى واشنطن . لم يتلق حتى الان
ردا ، ولا يتوقع ردا قبل ظهر الغد . أبدت رأيي بأن نجعل اللقاء اجتماعيا
قدر ما نستطيع ، واذا اقترب من الموضوع فعليه أن يقترب بصذر ، وفي كل
الاحوال عليه أن يتجنب أي ذكر للاجراءات الاربعة المقترحة التي جاء بها
من واشنطن .

وصل الرئيس في الساعة الثامنة والنصف ، ومعه عبد الحكيم عامر .

لم يكن هناك سبيل خلال الحديث الى تجنب مسألة صفقة الاسلحة . تحدث جمال عبد الناصر عن محاولاته للحصول على سلاح من أمريكا دون جدوى . ركز على أن أمريكا على استعداد لبيعنا سلاحا للامن الداخلي وليس سلاحا لربد اسرائيل . كيرميت روزفلت لم يقترب من الاجراءات الاربعة التي جاء بها . ركز كيرميت حديثه كله على مخاطر التعاون مع السوفييت ، واستغرق طويلا في الحديث عن تجربة « جان مازاريك » في تشيكوسلوفاكيا ، الذي تعاون مع السوفييت وانتهى امره معهم بأن قتلوه في حادث غامض ، وحاولوا تصوير الامر على أنه انتحار (هكذا يقول كيرميت) . أبدى جمال عبد الناصر اهتماما بمرض ايزنهاور وهل هو خطير الى درجة تمنعه من دخول انتخابات الرئاسة في الفترة القادمة . حديث طويل عن الجو السياسي في الولايات المتحدة وعن شخصياتها . كانت اخر موضوعات الحديث هي مؤتمر الاقطاب الاربعة الذي عقد في جنيف ، والقيادة السياسية السوفيتية الجديدة التي ظهرت فيه : بولجانين وخروشوف .

بقي كيرميت روزفلت معي لعدة دقائق بعد ذهاب جمال عبد الناصر . رأيه ان اللقاء كان ممتعا ومفيدا . اتفقنا على موعد في الصباح اذهب اليه في بيت ايكلبرجر .

صباح الخميس ٢٩ سبتمبر

دخلت الى بيت ايكلبرجر فوجدت كيرميت روزفلت جالسا مع اريك جونستون (صاحب مشروع جونستون لتقسيم مياه نهر الاردن) . قال لي الاثنان انهما فرغا الان من كتابة برقية باسمهما معا الى جون فوستر دالاس . قرأ لي كيرميت روزفلت بداية البرقية . نصها : في رأينا المشترك انه لم يبق مجال لترك هنري بايرود في منصب سفيرنا في القاهرة لانه لم يعد في مقدوره ان يقابل جمال عبد الناصر

لم اعلق بشيء . . .

دار حديثنا حول لقاء الامس ، وقال اريك جونستون انه كان يتمنى لو حضره . قلت له ان ذلك لم يخطر على بالي ، وأن همي كان محصورا في تجنب الازمة التي كان يمكن ان تنفجر لو ان كيرميت نقل الى الرئيس رينميا ما حمله من واشنطن .

لم يكن هناك رد بعد من دالاس على التقرير الاول لكيرميت بعد وصوله للقاهرة .

عدت الى مكتبي .

اتصل بي كيرميت روزفلت تليفونيا في الساعة الواحدة وعشر دقائق

بعد الظهر ، يقول لسي باسى على التليفون :

- يظهر أنني لم أعد موضع ثقة في واشنطن ، لقد تلقيت الآن من الوزير انه قرر ارسال مبعوث اخر الى القاهرة ٠٠٠ يظنوني - فيما اتصور - ضعفت واصبحت لينا Soft بعد ان جئت الى هنا ٠٠٠ ان البرقية تقول أن جورج الآن مساعد وزير الخارجية طار فعلا الى القاهرة عن طريق باريس وسوف يصل غدا ، وسيتولى هو نقل رسالة من دالاس الى الرئيس ناصر .

اتصلت بجمال عبد الناصر . ذهبت لمقابلته بعد الظهر . رويت له ما عندي . توقف عبد الناصر عند برقية كيرميت روزفلت واريك جونستون المشتركة بطلب نقل بايرود من القاهرة . قال لي جمال عبد الناصر إنه لا يريد أن « يكسر » بايرود بسبب خطأ وقع فيه ، وكان وقوعه فيه بسبب حيرته بين وجهات نظر يسمعها في القاهرة وتعليمات يتلقاها من واشنطن .

طلب إلي أن اذهب لمقابلة بايرود، واقول له ان يتولى هو بنفسه طلب الموعد مع الرئيس لجورج الآن ، فما دام الرئيس سيقابل مساعد وزير الخارجية ، فانه من المنطقي أن يقابله معه السفير .

مساء الخميس ٢٩ سبتمبر

ذهبت للقاء « هنري بايرود » . حينما طلبته في التليفون واقترحت ان أمر عليه بدا وكأنه غريق لمح وسط الامواج قشة . من المؤكد أنه كان في وضع لا يحسد عليه . الحوادث تجري من حوله وهو معزول عنها تماما . حينما دخلت عليه بادرني قائلا :

- يا صديقي ٠٠٠ لقد وقعت في خطأ فادح لم يكن لي ان اقع فيه ، وأنت تعرف محبتي واحترامي للرئيس ، ولكني لا اعرف ماذا جرى لي هذه الايام ٠٠٠ انني متعب ومرهق ، وأرى أن كل ما حاولت أن اصنعه في مصر يضيع من بين يدي .

وقلت له :

- لا عليك ٠٠٠ ان الرئيس طلب الى أن أقول لك أنه يعتبر الموضوع منتهيا ، ولقد قبل اعتذارك فيه وانتهى الامر لا تتحدث فيه ، وعلى أي حال فسوف يقابلك مع « جورج الآن » اذا أنت طلبت الموعد رسميا من المسئولين في الرئاسة .

وفوجئت بالدموع تلمع في عيني بايرود ، ولكني أحسست أن ما نقلته اليه قد رفع معنوياته كلها من جديد .

صباح الجمعة ٣٠ سبتمبر

ايقظني جمال عبد الناصر بالتليفون في الساعة السادسة وخمس دقائق .
قال لي بغير مقدمات أنه كان يستمع الان الى نشرة أخبار الساعة السادسة من
هيئة الاذاعة البريطانية ، وكان بين انبائها رسالة نقلتها وكالة «الاسوشياتدبرس»
تقول « ان جورج الان ذاهب الى القاهرة ليوجه الى جمال عبد الناصر انذارا
بشان صفقة الاسلحة مع الاتحاد السوفيتي » .

ومضى جمال عبد الناصر يقول :

– اذهب الان الى كيرميت روزفلت والى بايرود وقل للاثنين إنني لست
مستعدا لتلقي انذارات . انني سوف اقابل جورج الان غدا . ولكنني فسي
اللمحظة التي يقدم لي فيها انذارا فسوف يكون أمامي تصرف واحد هو أن ادق
الجرس وأستدعي صلاح الشاهد (تشريفاتي الرئاسة وقتها) وأطلب اليه ان
يصحب جورج الان الى باب مكثبي .

هذه قضية مبدأ ، وأنا لا اساوّم فيها ،

ابلغت رسالة جمال عبد الناصر الى الاثنين .

كان كيرميت روزفلت قلقا ، واطنه في اعماقه لم يكن تعيسا وهو يجد
ان انذار « جورج الان » يواجه بنفس الحزم الذي ووجهت به اجراءاته .

وكان هنري بايرود هو الاخر قلقا ، واطنه في اعماق قلبه لم يكن تعيسا .
فقد وجد نفسه مرة أخرى وسط الحوادث وليس معزولا عنها .

□

وأترك دفتر مذكراتي الى رواية الوقائع كما حدثت بعد ذلك بسرعة .

هبطت طائرة جورج الان في مطار القاهرة ضحى يوم الجمعة ٣٠ سبتمبر،
وصعد اليها هنري بايرود يرجو جورج الان أن يكون حذرا لان الموقف خطير ،
ثم صعد احد مندوبي شركة الطيران الى الطائرة يحمل مظروفا مغلقا معنونا
باسم جورج الان ، وفيه كتب روزفلت بالحرف : ارجوك أن تلتزم منتهى الحيطة في
كل تصريح تدلي به » .

ونزل جورج الان من الطائرة ، ولم يقل شيئا .

ذهب الى دار السفارة الامريكية بالقاهرة يعقد اجتماعا مطولا مع هنري
بايرود وكيرميت روزفلت ، وكتب الثلاثة معا برقية الى دالاس يرسمون لسه
صورة الجو في القاهرة ، وجاءهم الرد فسي المساء يفوض جورج الان أن يتصرف

- على أي نحو يراه ملائماً •
 - لم يكن هناك انذار •
 - ولا كانت هناك اجراءات •
- وراجع دالاس نفسه، ثم خرج بقرارين لخصهما فيما بعد في مذكراته بقوله :
- لقد اردت أن أقول لجمال عبد الناصر أن موسكو تستطيع أن تعطيه أسلحة الحرب ، أما نحن فنستطيع أن نعطي السلام •
- ولكن دالاس كان يفكر في السلام على شروطه •
- وكان ما توصل اليه هو :
- أن يعرض على جمال عبد الناصر مساهمة أمريكا في بناء السد العالي، وهو يعلم أن ذلك حلمه الكبير •
 - أن يوفد الى القاهرة بعثة على مستوى عال لبحث احتمالات عقد صلح بين مصر واسرائيل •
- كان هدفه – وهدف السياسة الامريكية منذ البداية – هو عقد صلح بين مصر واسرائيل بما يمكن أن يعنيه مثل هذا الصلح مع العالم العربي •
- وكان السد العالي والعرض بالمساهمة في تمويله هو الطعم الجديد الذي وضعه دالاس في سنارة مبادرته بالسلام •
- السد العالي في مقابل الصلح مع اسرائيل •
- هذه هي الصفقة الجديدة واذا تمت ، ان فان صفقة الاسلحة التي قدمها الاتحاد السوفيتي لمصر تصبح – كما يقولون – غير ذات موضوع •
- هكذا كان تفكيره •
- وهكذا اقترب ٠٠٠ اقترب جدا دون أن يدري من طريق السويس •

أحدِيث السابِع :

دالاس يقول لجمال عبد الناصر :
« كَش ملك » !

مع ربيع سنة ١٩٥٦ كانوا كلهم ، الفرسان الثلاثة ، أو الاربعة فسي الحقيقة ، قد وصلوا الى قرب طريق السويس ٠٠٠ خطوة واحدة ويجدون انفسهم وتجدهم الدنيا على بدايته .

خطوة واحدة ، ولكن من يخطوها ، أو من يدفع اليها ، أو من يعطي الاشارة ويضيء النور الاخضر ؟ من ؟

● كانت اسرائيل - كما رأينا - قد قررت وحسمت ، واستدعى دافيد بن جوريون تلميذه وصفيه موسى ديان من اجازة في باريس وطلب اليه أن تتولى رئاسة اركان حرب الجيش الاسرائيلي وضع خطة للهجوم على سيناء بقصد احتلال شرم الشيخ وفتح خليج العقبة .

● وكانت فرنسا - كما رأينا - قد اقامت جسورها فسيحة وعريضة بين باريس وتل أبيب ، ونشأت العلاقة الخاصة بين الاثنتين ، وكانت الاجتماعات السياسية والعسكرية متصلة طول الوقت وبدون اعلان ، وتبنت فرنسا تماما سياسة أن الطريق الى الجزائر يبدأ من القاهرة .

● وكانت بريطانيا - كما رأينا - قد قررت أن جمال عبد الناصر هو الرمز الحي لتحديات تواجهها في منطقة الشرق الاوسط التي كانت دائما منطقة نفوذ تابعة وخاضعة ، ووصل ايدن الى حد أن طلب من المخابرات البريطانية أن نبصث عن وسيلة لانقلاب في مصر يطيح بجمال عبد الناصر ويجيء بغيره ، أو يطيح بجمال عبد الناصر حتى وان لم يكن هناك غيره .

وزادت من عجلة الثلاثة ولهفتهم على العمل عدة اعتبارات :

١ - استمرار تدفق الاسلحة السوفيتية على مصر ، مما يعني أن كل يوم يمر يرفع من تكاليف أي عملية تدبر ضدها .

٢ - اقتراب موعد جلاء القوات البريطانية عن قاعدة قناة السويس وفقا لاحكام اتفاقية الجلاء ، وفي الواقع فان معظم القوات كانت قد جلت عن القاعدة ولم يبق من جنودها في ربيع سنة ١٩٥٦ سوى لواء واحد .

٣ - ازدياد تاثير جمال عبد الناصر عبر كل الحدود العربية ، الامر

الذي كان يهدد بقيام قيادة عربية لها سلطة أدبية ومعنوية واسمة على أرض
الامة العربية كلها وعلى شعوبها -

وكان الثلاثة يعرفون ما يفكر فيه كل منهم ، فقد كانت العلاقات بينهم كمركبة
الاوراني المستطرفة : فرنسا تنسق مع اسرائيل ، وبريطانيا تعرف دائما ما تفكر
فيه فرنسا ، وعلى أي حال فان فرنسا لم يكن لديها ما تخفيه عن حليفها في
القارة الاوروبية .

ولم يكن الفارس الرابع - الولايات المتحدة - بعيدا عن هذا كله ، فقد كان
يعرف ما يدور في فكر اسرائيل وفي فكر فرنسا وفي فكر بريطانيا .

وربما كانت المشكلة في تلك الفترة ان الثلاثة لم يكونوا على بيئة كاملة بما
كان في فكر فارسهم الرابع الولايات المتحدة ، فقد كانوا يرون اتجاهاتها ، ولكن
تحركاتها كانت تفاجئهم من حيث عدم اتساقها مع الاتجاهات ، او هكذا بدا لهم .

كانت بريطانيا عاجزة في بعض الاحيان - من وجهة نظرها - عن فهم
السياسة الامريكية : الاحلاف كانت سياسة امريكية ومع ذلك ترددت امريكا في
الانضمام لحلف بغداد .

وكانت فرنسا نفس الشيء ، خصوصا فيما يتعلق بالتردد الامريكي ازاء
رغبة فرنسا في اعتبار معركتها في الجزائر معركة لحلف الاطلنطي كله ، مع ان
امريكا وقتها هي التي خرجت تنصدي لحركة الثورة الوطنية وتعتبرها امتدادا
لثورة الشيوعية !

وكانت اسرائيل لا تكاد تصدق نفسها وهي ترى الازمة التي نشأت عن
صفقة الاسلحة السوفيتية تنتهي بهدوء ، رغم ان امريكا ابرقت وارعدت فسي
بدايتها واعتبرتها استفزازا لها وتحديا ، وموقع قدم في الشرق الاوسط يكسبه
الاتحاد السوفيتي .

ثم ما لبث الجميع ان عرفوا بخطة دالاس . ورغم انهم جميعا تشكروا فيها
منذ البداية ، الا انه لم يكن في مقدورهم الا انتظار نتائجها .



كانت خطة دالاس - كما رأينا - شراء صلح بين مصر واسرائيل في مقابل
بناء السد العالي في اسوان .

كان يوجين بلاك رئيس مجلس ادارة البنك الدولي اول من تحمس لمشروع
السد العالي منذ ان بدأت مصر تفكر فيه وطرحته على البنك الدولي ليشارك في
تمويله ، وكان ذلك مبكرا جدا في سنة ١٩٥٣ .

والتقط الفكرة منه فيما بعد هيربرت هوفر الابن ، الذي اصبح مساعدا لوزير الخارجية الامريكية ، وكان هوفر قد سمع بهذا المشروع من يوجين بلاك .

وقال لي يوجين بلاك في واشنطن اخيرا ، وكنا جالسين نستعيد حوادث السويس :

— لقد تحمست لمشروع السد العالي كمشروع في حد ذاته ، ولم اجده تجسيدا لآمال مصر في التنمية وحسب ، ولكني رأيت فيه ايضا تجسيدا لمقدرة البنك الدولي امام دول العالم النامي .

وحيثما تكلمت عن المشروع مرة مع هوفر كان مبهورا بما سمع مني ان هوفر — كما تعرف — مهندس ، والمشروعات الكبرى تستثير خيال المهندسين دائما . لكن هوفر احترف الدبلوماسية بعد ان ترك الهندسة ، وتفكيره السياسي في السد العالي كان بعيدا عني ولم يكن لي دخل فيه .

والحقيقة ان هوفر كان اول من فكر في ربط السد العالي باتفاقية صلح بين مصر واسرائيل ، وحين عرضها على دالاس في اواخر سنة ١٩٥٥ كان تعبيره بالحرف لدالاس :

— اني اريد هذا السد العملاق كقطع في السنارة من اجل معاهدة صلح بين مصر واسرائيل .

ويقول دالاس في مجموعة اوراقه الخاصة انه عرض فكرة هوفر على ايزنهاور عندما اجتمع به يوم ٨ ديسمبر في استراحتة في كامب دافيد ، ويروي دالاس انه عرض الفكرة اثناء جولة على الاقدام استمرت نصف ساعة ، صاحب ايزنهاور خلالها في جولة وسط حدائق كامب دافيد . ويقول دالاس انه قال لاييزنهاور :

— ان مساعدتنا لمصر في بناء السد العالي سوف تشتري السلام في فلسطين .

وافق ايزنهاور على الفكرة ، واتفق الاثنان على ان محاولة « شراء السلام » يجب ان تسير جنبا الى جنب مع مفاوضات تمويل السد العالي ، ويجب ان تتم صفقة السلام اولا قبل ان تدفع الولايات المتحدة ثمنها .

ثم بحث الاثنان ترشيحاتهم لمن يشرف على عقد الصفقة ويقوم بالاتصالات السرية بين مصر واسرائيل ، واتفقا على ان يقوم روبرت أندرسون بها ، وكان ايزنهاور هو الذي اقترح اسمه ، فقد كان صديقا قديما له ، وقد عينه فيما بعد وزيرا للمالية في الولايات المتحدة .

وبلغت النظر ان جريدة « نيويورك تيمس » نشرت بعد ذلك بيومين ، اي يوم ١٠ ديسمبر ، تقريرا قالت فيه بالحرف :

« ان حكومة الولايات المتحدة تربط مساعدتها لمصر في بناء السد العالسي في اسوان بالتوصل الى تسوية سلمية بين مصر واسرائيل ٢٠٠٠ » .



كان روبرت اندرسون في القاهرة في عيد الميلاد - آخر ديسمبر - سنة ١٩٥٥ ، وكانت مهمته قد ابلغت الى جمال عبد الناصر على اساس انها « محاولة امريكية للبحث عن اساس للسلام في الشرق الاوسط » يقوم بها مبعوث خاص يمثل الرئيس ايزنهاور ، وكان قد اخطر ايضا بالرغبة في ابقاء هذه المهمة سرية ، حرصا على توفير فرص النجاح لها .

وكان اللقاء الاول بين الاثنيين في بيت جمال عبد الناصر الذي لم يكن يعرف بان « مهمة اندرسون » مرتبطة « بمفاوضات السد العالي » .

وتحدث جمال عبد الناصر بصراحة كاملة في اجتماعه الاول مع اندرسون .
قال ان له مطلبين اثنين :

● وطن للشعب الفلسطيني على ارضه ، ولكي يسهل الموضوع فانه يرى ان تكون حدود هذا الوطن هي نفسها خطوط التقسيم سنة ١٩٤٧ .

● انه لا بد من فتح الطريق بين مصر وبين بقية العالم العربي في المشرق ، لان الامة العربية لا يمكن ان تعيش بجدار فاصل يقطع امتداد ارضها بين المشرق والمغرب ، ولهذا فان المشروع الانسب هو مشروع برنادوت الذي يعطي النقيب للدولة العربية في فلسطين .

وطار اندرسون بعدها الى تل ابيب ، والتقى بن جوريون .

ثم عاد الى القاهرة ليقول ان بن جوريون بدا كمن بسعه عقرب بعد ان سمع اقتراحات جمال عبد الناصر ، وقال لاندرسون ان معنى ما يطلبه جمال عبد الناصر هو خنق اسرائيل تمهيدا لقتلها .

ورجع اندرسون الى تل ابيب .

وتكررت رحلاته ، ثم عاد يوما بمشروع للاتصال البري بين المشرق والمغرب في العالم العربي يقضي باعطاء طريق علوي قرب ايلات للمغرب يمر من فوقه من سيناء الى جنوب الاردن .

ونظر جمال عبد الناصر الى خريطة قدمها اندرسون وفيها رسم للطريق

العلوي الذي يستعمله العرب ، وتحتة الطريق العادي الذي تستعمله اسرائيل الى ايلات ، وهز رأسه وقال لاندرسون ان المشروع « لا ينفع » .

وراح جمال عبد الناصر يفند عمليا عدم جدوى ذلك الاقتراح ، ثم اضاف ضاحكا :

- لنفرض ان احد رجالنا احس بنداء الطبيعة وهو يمشي فوق الطريق العلوي ، ومن ثم فتح ازرار بنطلونه على حافة الطريق العلوي وترك الطبيعة تأخذ مجراها ، ثم نزل الرذاذ على سيارة عسكرية اسرائيلية تصادف مرورها على الطريق السفلي ، فماذا يحدث ٠٠٩ هل تقوم الحرب ؟

• وذهب اندرسون للمرة الاخيرة الى اسرائيل ، وعاد منها ليقول لجمال عبد الناصر :

- ان دافيد بن جوريون قال لي ان المسائل على هذا النحو لن تصل الى نتيجة ، وانني استطيع الانتقال بين القاهرة وتل ابيب الى اخر العمر دون نهاية، والحل الوحيد في رايه اجتماع مباشر بينكسا هنا في القاهرة او هناك في تل ابيب ، او في اي مكان محايد تختاره انت .

ورفض جمال عبد الناصر قطعيا فكرة الاجتماع المباشر ، وتوقفت مهمة اندرسون ، وانهارت صفقة شراء السلام في الارض المقدسة .

وفي شهر مارس ، ومع انهيار صفقة شراء السلام في الارض المقدسة استقر راي دالاس على سحب العرض الامريكي بالمساهمة في بناء السد العالي .



ويقول السناتور ويليام فولبرايت ، الذي كان رئيسا للجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الامريكي :

« لقد درست كل اوراق وزارة الخارجية الامريكية بعد اعلان قرار سحب المساهمة في تمويل السد العالي بحثا عن السبب الذي دعا دالاس الى هذا القرار .

كانت الاوراق امامي تقول إن وزارة الخارجية فتر حماسها مرة واحدة للمشروع دون سبب ظاهر .

لم يكن السبب كما قال دالاس هو تكاليف صفقة الاسلحة التي ترهق مصر بما يمنعها من اداء نصيبها في تمويل السد ، فقد كانت الارقام قاطعة تشير الى ان اعباء مصر نتيجة لصفقة الاسلحة لا تزيد سنويا عن عشرين مليون دولار ، وهذا مبلغ ليس كبيرا بالقياس الى موارد بلد مثل مصر .

ولم يكن السبب ان المشروع - فنيا - غير قابل للتنفيذ ، فقد كانت تقارير مهندسي البنك الدولي قاطعة في صلاحية المشروع واهميته .

ولم يكن السبب تردد البنك في التمويل ، فقد كان يوجين بلاك متحمسا له ، وكانت اسباب التمويل كلها في متناول يد البنك وفي حدود وسائله .

كنت في حيرة شديدة حول السبب الذي دعا « الادارة » الى اتخاذ هذا القرار ، ولم تكن امامي وثائق اتصالات أندرسون في القاهرة وتل ابيب ولم اكن اعلم بالربط بين مهمة أندرسون فيهما وبين عرضنا بتمويل السد العالي .

كان ذلك هو العامل المجهول الذي لم اكن اعرفه وقتها ، ولكنه كان العامل الحاسم في اتخاذ القرار .

وبعد فشل مهمة أندرسون كان سحب العرض الامريكي مسألة توقيت لا اكثر ولا اقل ، وكان دالاس قد ترك مفاوضات السد مستمرة لمجرد الحفاظ على الشكل ، وحتى تواتيه الفرصة لتوقيت يختاره لاعلان قراره .

□

ولقد تازمت الامور اكثر في تلك الظروف ، حينما اعلن جمال عبد الناصر في ١٦ مايو سنة ١٩٥٦ اعترافه بالصين الشعبية .

ولم يجيء ذلك الاعتراف من فراغ .

قبلها - في نهاية ابريل سنة ١٩٥٦ - كان خروشوف في زيارة رسمية للندن لمعادنات يجريها مع ايدن ، وكان موضوع الشرق الاوسط على رأس القائمة من موضوعات البحث ، وتلقت القاهرة معلومات مؤكدة تفيد انهم بحثوا اقتراحا يقضي بفرض حظر على توريد السلاح الى الشرق الاوسط تشرف عليه الامم المتحدة .

وكان جمال عبد الناصر يعرف من تجربة سنة ١٩٤٨ ان اي حظر على توريد الاسلحة الى المنطقة تحت اشراف الامم المتحدة لن يطبق على غير العرب ، واما اسرائيل فسوف تجد دائما وسيلة ما للحصول على ما تريد من سلاح .

وهكذا قرر الاعتراف بالصين الشعبية لانها - وهي خارج الامم المتحدة ، وقتها - تستطيع ان ترفض قرار الحظر .

وفقد دالاس صوابه ، ورد على قرار مصر بان صرح لفرنسا بان تعطى لاسرائيل ثلاثة اسراب من احدث طائرات « الميستير » التي كان انتاجها يتم في فرنسا لحساب حلف الاطلنطي ، وعلى نفقة الولايات المتحدة .

واكثر من هذا ، ادلى المتحدث باسم وزارة الخارجية الامريكية بتصريح
قال فيه : « ان الولايات المتحدة تعيد النظر في علاقاتها مع مصر ، » .

□

وفي تلك الظروف كان جمال عبد الناصر في القاهرة يشعر ان الولايات
المتحدة ليست جادة في عرض تمويل السد العالي ، وعلى فرض انها كانت جادة
وقتا من الاوقات فانها الان غيرت رأيها .

بدا يحس ان المفاوضات التي تجري في واشنطن مجرد مضيعة للوقت ،
وانه كلما قبل شرطا فوجيء بشرط جديد ، ولهذا فانه لا بد ان يتوقف عن قبول
الشروط ليختبر النوايا الحقيقية ويرغم اصحابها على الاعتراف بها علانية
وبغير مداراة .

وكان الشرط الاخير هو رغبة البنك الدولي - تحت طلب من الولايات المتحدة
- ان يكون له حق مراجعة حدود المديونية الخارجية لمصر ، وكانت الحجة ان بناء
السد يضع على مصر التزامات كبيرة ، ولو ذهبت مصر تستدين من الخارج بغير
حد ولا قيد فانها ستكون عاجزة عن الوفاء بالتزاماتها بمقتضى السد العالي .

وكان السفير المصري في واشنطن الدكتور احمد حسين في القاهرة وقتها
يلح في قبول هذا الشرط الاخير للبنك الدولي ، حرصا على اتمام المشروع .

واتذكر انني قابلت الدكتور احمد حسين في الاسكندرية في بداية شهر يوليو،
واستمعت اليه طويلا وهو يتحدث عن الظروف في واشنطن .

كان احمد حسين قد اتم اجازته في مصر وراح يتأهب للعودة الى واشنطن ،
وكان يريد ان يأخذ معه تعليمات قاطعة بشأن الشرط الاخير الباقي من شروط
البنك الدولي .

وكان جمال عبد الناصر وقتها في اجازة في استراحة برج العرب على بعد
خمسين كيلو مترا الى الغرب من الاسكندرية ، واتصلت به تليفونيا لامر مسن
الامور ، وخلال الحديث اشرت الى اجتماعي باحمد حسين ورغبته في لقاء الرئيس
قبل سفره الى واشنطن ، واقترح جمال عبد الناصر ان نجيء - الدكتور احمد
حسين وانا - لتناول الغداء معه في استراحة برج العرب في اليوم التالي .

وركبنا سيارتي وذهبنا الى برج العرب .

واستمع جمال عبد الناصر الى احمد حسين ، ثم قال :
- انني واثق ان هذا كله كسبا للوقت . انهم لن يساعدونا في تمويل السد

العالي ، وهذا قرار سياسي اتخذه فيما اشعر ، ومهما قبلنا من شروطهم فسان ذلك لن يغير قرارهم .

والح الدكتور احمد حسين ، وكان مشروع السد العالي ملء خياله ، ولعله كان يخشى - الى جانب ذلك - مزيدا من التدهور في العلاقات المصرية الامريكية اذا انهارت مساهمة الولايات المتحدة في المشروع .

وقال جمال عبد الناصر موجهها كلامه لاحمد حسين :
- هل انت واثق ان هذا شرطهم الاخير ؟

وقال احمد حسين انه واثق ، وهو في هذا يستند على تأكيدات اعلى المصادر في البنك الدولي وفي وزارة الخارجية الامريكية .

وقال جمال عبد الناصر :

- اذن اذهب وقل لهم انني موافق على هذا الشرط ، وسوف ترى ان ذلك لن يؤثر في موقفهم .

وانتهت مقابلتنا ، وبدانا نستعد - الدكتور احمد حسين وانا - للعودة الى الاسكندرية ، وبدانا نمشي نحو باب الاستراحة ، ولكن سؤالا كان يلح علي :

- لقد كنت اعرف تفكير جمال عبد الناصر في رفض اية شروط اخرى لتمويل السد العالي ، وكان رايه انه برفضه يرغمهم على الافصاح عن نواياهم الحقيقية فكيف غير رايه ؟ وما الذي دعاه الى ذلك ؟

وانتحيت به جانبا قرب الباب ووجهت السؤال اليه ، وكان رده :

- انني لم اغير رأبي ولكني غيرت اسلوبى . . . كنت مصرا على الرفض لكي اجعلهم يكشفون نواياهم . . . وانا الان على استعداد لقبول شرطهم الاخير لكي ارى رد فعلهم ازاءه ، واطنهم سوف يضطرون لكشف نواياهم .

وركبت السيارة وركب الى جانبي الدكتور احمد حسين ، وجمال عبدالناصر واقف في وداعنا ، ثم فوجئت به يقول للدكتور احمد حسين بالحرف :

- ماذا تقرأ هذه الايام ؟

واستطرد يقول :

- الا تستطيع ان تجد في مكاتب القاهرة قبل ان تغادرها كتابا عن قناة السويس ؟

ولوح جمال عبد الناصر بيده مودعا ، وانطلقت بالسيارة خارجا من
الاستراحة الى طريق الاسكندرية .



وفي يوم ١٢ يوليو كنت مع جمال عبد الناصر على طائرة متوجهة الى بلجراد
لزيارة رسمية للرئيس جوزيف بروز تيتو تمتد اسبوعا كاملا وتنتهي باجتماع
ثلاثي بين عبد الناصر وتيتو ونهرو ، الذي ينضم اليهما قادما من لندن - ويعقد
الثلاثة في جزيرة بريوني مؤتمر قمة للقادة الكبار المؤسسين لفكرة عدم الانحياز .

وفي ١٩ يوليو ذهب احمد حسين الى مقابلة دالاس ومعه قبول عبد الناصر
للشرط الاخير الذي تبقى لاتمام الاتفاق حول تمويل السد العالي ، ودخل
احمد حسين الى الاجتماع مليئا بالثقة .٠٠٠ ولكن صدمة كبرى كانت في انتظاره .

كان جون فوستر دالاس على مكتبه وامامه ثلاثة مقاعد ، اثنان منها جلس
فيهما مساعداه هربرت هوفر وجورج الان ، وكان المقعد الثالث في انتظار احمد
حسين .

ويقول احمد حسين في تقريره الى القاهرة عن هذه المقابلة :

« بعد ان تبادلنا حديثا عاديا ، دخلت في الموضوع وابلغت المستر دالاس
تحيات الرئيس جمال عبد الناصر .

ثم شرحت اهتمامنا بموضوع السد العالي ، وكون المشروع حيويا بالنسبة
إلينا ، واهمية اشتراك الولايات المتحدة في تمويله .

وقلت انني لا اريد ان ارى الاتحاد السوفيتي يمول هذا المشروع ، وانما
اريد ان اراه يتحقق بتمويل امريكي ، وانني لهذا سعيت بكل جهدي لكي توافق مصر على
الشرط الاخير الذي اعترض المفاوضات ، وهو حق البنك الدولي في مراجعة
الديونية الخارجية لمصر ، وقد جئت بهذه الموافقة معي .

وهنا بدأ المستر دالاس يتكلم ، وقال لي انهم فكروا بجديسة في المشروع ،
واعادوا التفكير ، وهم يرون المشروع هاما وحيويا ، ولكنهم بصراحة يعتبرون
الموقف الاقتصادي كله يجعله غير قابل للتنفيذ ، ولهذا فان الولايات المتحدة لن
تشارك فيه ، وقد سحب عرضها بالمساهمة في تمويله .

حاولت ان اشرح له واثنيه عن قراره ، ولكنه قال ان هذا قرار نهائي
توصلت اليه الحكومة بتوجيه الرئيس ، ولم يعد قابلا للمناقشة .

وخرج احمد حسين من مكتب دالاس ليجد ان قسم الصحافسة في وزارة الخارجية الامريكية قد وزع بياناً رسمياً للنشر بسحب العرض الامريكسي بالمساهمة في تمويل السد العالمي بسبب سوء موقف مصر الاقتصادي الذي لم يعد يمكنها من بناء هذا المشروع المضمخ بتكاليفه الهائلة !



كان الفرسان الثلاثة - اسرائيل وفرنسا وبريطانيا - في حالة ابتهاج شديد . لقد انتظروا الولايات المتحدة طويلا ، واثأوا الظن بها كثيرا ، ولكنها في النهاية جاءت اليهم ووضعت نفسها بينهم قرب طريق السويس .

وبعث دالاس الى دافيد بن جوريون يقول له :

- لقد رأيت صورة لجمال عبد الناصر يلعب الشطرنج ، وقررت مجاراته في اللعبة ، وقلت له اخيرا : كش ملك » .

وطارت الرسالة الى باريس ، ومنها الى لندن .

وكان الفرسان الثلاثة، الذين اصبحوا اربعة ، قرب طريق السويس لا يجدون امام جمال عبد الناصر خطوة او حركة .

عليه الان ان « يكش الملك » ويتراجع . . . ويسقط !

لقد جاءت النهاية ، واوشك الستار ان ينزل على قصة عصر جمال عبد الناصر وصعوده في الشرق الاوسط .

الحديث الثامن :

كيف وصل جمال عبد الناصر الى قراره
بتأميم قناة السويس؟!

اكاد اقطع بان جمال عبد الناصر لم يفاجأ بقرار الولايات المتحدة ان تسحب عرضها بالمساهمة في بناء السد العالي على النيل عند اسوان .

واكاد اقول ان جمال عبد الناصر كان قد اعد رده على القرار عندما يجيء - وان كان من الحق ان اقول ان الظروف والملابسات تدخلت في تحديد درجة الرد وتكييف اسلوبه !



ولقد اشرت من قبل في سياق هذه الاحاديث الى الحوار الذي حضرته بين جمال عبد الناصر والدكتور احمد حسين السفير المصري في واشنطن وقتها ، وقد جرى هذا الحوار في استراحة برج العرب ، وكان رأي جمال عبد الناصر على خلاف قاطع مع تفاؤل الدكتور احمد حسين الذي كان يعتقد بان استجابة مصر لآخر الشروط الامريكية في عملية التمويل سوف تفتح الباب نهائيا لعقد اتفاق السد العالي مع البنك الدولي ومع مجموعة الحكومات التي ايدت استعدادها للمساهمة ، وبينها الحكومة الامريكية ، والحكومة البريطانية التي كان عرضها بالمساهمة رمزيا ، في حدود خمسة ملايين جنيه استرليني .

وكان رأي جمال عبد الناصر ان قبولنا لآخر الشروط الامريكية سوف يخلق الباب تماما امام عقد الاتفاق ، لان القرار سياسي بالدرجة الاولى ، وهو يعتقد انه اتخذ فعلا ، وان تأخير اعلانه يعود الى الرغبة في اختيار لحظة مناسبة يكون اعلانه فيها كفيلا بتحقيق اكبر قدر ممكن من اهداف اصحاب القرار . ومن ثم فان قبول مصر لآخر الشروط الامريكية سوف يرغب كل الاطراف على الافصاح عن نواياها الحقيقية ، حتى لا تجد نفسها امام امر واقع فرضه عليها الآخرون !

واتذكر ان الموضوع جرى بحثه من جديد بين جمال عبد الناصر وبينني في جو غريب .

كان ذلك في رحلته التي بدأت يوم ١٢ يوليو الى يوجوسلافيا ، وكان مقررا ان تبدأ بمحادثات بينه وبين تيتو في بلجراد ، ثم جولة في انحاء يوجوسلافيا ، ثم الوصول في نهاية الجولة الى جزيرة بريوني لاجتماع ثلاثي لقمة الطلائع من الدول غير المنحازة ، يوجوسلافيا ، ومصر والهند .

وليلة ١٥-١٦ يوليو كنا جميعا - الوفد المصري كله وبعثة الشرف اليوجوسلافية المرافقة له وعشرات من الصحفيين والمصورين - على القطار

الخاص للرئيس تيتو في الطريق الى « لوبليانا » آخر محطة قبل « بولا » و « بريوني » .

وكانت عربة القطار المخصصة للرئيس عبد الناصر تضم مقصورة نسوم ومقصورة طعام ، وبينهما مقصورة صالون بها مكتب .

ورغم ان جمال عبد الناصر كان متعبا ليلتها من برنامج يوم طويل ، فانه دعا الى العشاء في مقصورته ثلاثة من اعضاء بعثة الشرف اليوجوسلافية وهم « كارديل » نائب رئيس الجمهورية ، و « فوكمانوفيتش » وزير التخطيط ، و « جيرجيا » وكيل وزارة الخارجية اليوجوسلافية وقتها ، ودعا معهم ثلاثة من المصريين كان حظي ان اكون واحدا منهم .

كان القطار يجري بسرعة على الطريق الى « لوبليانا » ، وكان موعدنا على العشاء في الساعة الثامنة مساء ، وكان جمال عبد الناصر مهتما بالمناقشة التي دارت حول المائدة ، والتي طرح هو موضوعها مع « كارديل » ، وكان الموضوع هو « مشاكل فترة الانتقال » من مجتمع متخلف الى مجتمع متطور ، وتشعبت المناقشة من « التخطيط » الى « اولويات التخطيط » الى « الموازنة بين الصناعات الثقيلة والصناعات الاستهلاكية » الى « قضايا الادارة » وغيرها .

وبعد العاشرة بقليل انفض الاجتماع ، وقال جمال عبد الناصر انه سيذهب لينام مبكرا ، وليكون جاهزا من الفجر لبرنامج يوم جديد . وتركناه جميعا ، وذهب كل منا الى المقصورة المخصصة لنومه يأخذ قسطا من الراحة استعدادا للغد . وذهبت بدوري الى مقصورتي وجلست - كالعادة - اسجل بعض الملاحظات ، وكنت اشعر على اي حال انها بالنسبة لي ستكون ليلة بيضاء ، اي بغير نوم ، لاني واحد من الذين لا يقدررون عليه في شيء متحرك ، فلا نوم بالنسبة لي في سيارة او طائرة او قطار او باخرة ، حتى اذا كان السفر اياما بعد ايام .

وفرغت من تدوين ما اريد تدوينه من ملاحظات ، ثم خرجت من مقصورتي اتسكع في القطار بحثا عن الساهرين المسهدين في مقصورات اخرى ، وبالذات مقصورة خصصت لوكالات الانباء العالمية التي تغطي أحداث زيارة عبد الناصر ليوجوسلافيا ومؤتمر بريوني القادم في ختامها .

واحسست ان القطار توقف عن السير ، وكنت اعرف انه سيتوقف لساعتين امام قرية صغيرة على الطريق لاستبدال قاطرة بقاطرة - فيما اظن - ثم سمعت اصوات جماهير تهتف لعبد الناصر ، وذهبت الى احد ابواب عربة القطار التي تصادف وجودي فيها ، واذا مئات من الناس جاؤوا عند منتصف الليل لتحية عبد الناصر زعيما وضييفا على تيتو .

واسأذنت ضابط الحراسة اليوجوسلافي على باب عربة القطار في النزول الى
رصيف المحطة التي وقفنا عندها اتمشى عليه لبعض الوقت واشاهد الجماهير
التي جاءت عند منتصف الليل في قزية يوجوسلافية لتحية زائر جاء من مصر .

وتساءلت في خواطري : « هل هو نائم ؟ هل ايقظته الضجة ؟ هل تتاح لهؤلاء
فرصة رؤيته ام انهم سوف يعودون الى بيوتهم عند الفجر دون ان يروا شيئا غير
القطار الحديدي وضباط الحرس اليوجوسلاف على ابواب عرباته ؟ »

ولم تطل تساؤلاتي ، ظهر الضوء من وراء ستائر صالون عربة القطار
الرئيسية ، ثم انزاحت الستائر ، ثم نزلت النافذة الزجاجية الكبيرة ، وظهر جمال
عبد الناصر يلوح بيده للجماهير التي اشتدت حماستها لظهوره امامها مرتديا
قميصا فتح ياقته مستغنيا عن ربطة العنق . وبعد قرابة ربع ساعة بدأ البوليس
اليوجوسلافي يرجو الجماهير في الانصراف حتى لا يقلقوا راحة كل ركاب القطار ،
وحتى يتركوا الزائر الكبير لنومه . ولحني وسط الناس اهم بالعودة الى القطار
وهو يلوح للمحتفين به بكلتا يديه مرة اخيرة ، وابتسم و اشار ، فصعدت السي
القطار متوجها الى عربته ، ودخلت مقصورة الصالون ، ودهشت فقد وجدته
تحت القميص المفتوحة ياقته ما زال مرتديا بنطلون بيجامته المخططة . . . حافسي
القدمين . ولاحظ دهشتي فقال :

— لقد استيقظت عندما تعالت اصواتهم ، ورأيت ان اخرج اليهم ارد تحيتهم ،
ولكني لم اجد بذلتي . . . اخذها محمد — تابعه الخاص — ليكويها على ما اظن ،
ولم اعرف اين حقائبي التي تحوى بقية ملابسي . . . وهكذا اخذت قميصا لبسته
فوق بنطلون البيجاما ، وظهرت امامهم في النافذة . ومن حسن الحظ انه لم يكن في
استطاعتهم غير ان يروا الجزء العلوي مني ، »

وضحك ، وضحكت . وسألني اذا كنت احس بالنعاس ، وقلت « انني لم اتم ،
ولا اظن انني سأنام لان النوم لا يزورني في حالة الحركة » ، وقال انه يشعر
بيقظة كاملة وانه يشعر بالجوع ايضا ، فقد كان اثناء العشاء مشغولا بالحديث
الدائر حول المائدة عن كل ما كان فوقها ، ومد يده الى طبق فاكهة على مائدة في
مقصورة الصالون وتناول « خوخة » راح يقضمها ، وسألني :

— هل هناك اخبار جديدة ؟

قلت :

— لا شيء . . . سوى تصريح للدكتور احمد حسين ادلى به في لندن وقرآته
قبل نصف ساعة عندما كنت في عربة المراسلين الاجانب ، وكان في برقية وزعتها
وكالة « تانيوج » ، ويقول الدكتور احمد حسين في تصريحه انه يحمل موافقة

مصر على آخر الشروط المعلقة في مشروع الاتفاق على بناء السد العالي ، وأنه يتوقع اتمام الاتفاق فور قيامه بإبلاغ ما لديه – موافقة مصر – الى جون فوستر دالاس وزير الخارجية الامريكية – الذي سيطلب مقابلته فور وصوله الى واشنطن ، .

وقال جمال عبد الناصر :

– مسكين احمد حسين ٠٠٠ ينفخ في قربة مقطوعة ٠٠٠ أو هو يفكر بأماله متجاهلا الواقع ، .

واستطرد :

– الواقع فيما ارى – وانا واثق – انهم لن يساعدونا في تمويل السد العالي ٠٠٠ ذلك قرار سياسي وليس مسألة شروط اقتصادية كما يقولون .

لن يساعدونا في بناء السد العالي – وسوف ترى – واذا كنا نريد بناء السد العالي فلا مفر من ان نعتمد على انفسنا ٠٠٠ وليس هناك حل آخر اذا لم نكن نريد قبول شروطهم السياسية ٠٠٠ شروطهم سياسية وليست اقتصادية ٠٠٠ ، .

طال حديثنا الى قرب الفجر في مقصورة صالون ، ضمن قطار يوجوسلافي ، يجري بسرعة وسط سهول « سلوفينيا » متجها نحو « لوبليانا » !



سمع الدكتور احمد حسين – والعالم كله معه في نفس الوقت – بقرار سحب العرض الامريكي بالمساهمة في تمويل السد العالي من جون فوستر دالاس شخصيا في مكتب وزير الخارجية الامريكية في واشنطن بمد ظهر يوم الخميس ١٩ يوليو ١٩٥٦ .

كان الوقت ساعتها منتصف الليل في بريوني تقريبا ، وعرف به جمال عبد الناصر قبل ان يذهب الى غرفة نومه في فيللا « بريونكا » ، قصر الضيافة الرسمي في بريوني ، عرف بالقرار ولم يكن قد وصله النص كاملا ، ولم تكن تلك مفاجأة له ، وتلقى النص اول شيء في الصباح الباكر من يوم الجمعة ٢٠ يوليو ، وكان النص مفاجأة له ، فقد كان في تقديره اهانة لا مبرر لها ، وتشكيكا في قوة الاقتصاد المصري لم يكن ضروريا ، وتحريضا للشعب المصري على قيادته غير مقبول .

وانشغل بعدها بالجلسة الختامية لمؤتمر بريوني ، وبالبيان المشترك الذي صدر باسمه وباسم زميليه في المؤتمر ، جوزيف بروز تيتو وجواهر لال نهرو . ولم يدر نقاش بين الثلاثة في الامر ، وان جرى ذكره في احاديث جانبية ، فقد قال تيتو موجها كلامه إلى عبد الناصر:

– هل كنت تتوقع شيئاً من ذلك ؟

ورد جمال عبد الناصر بان « القرار الامريكى لم يكن مفاجأة له ، ولكن « صيغة اعلان القرار هي المفاجأة » ، وكان تعليق تيتو « ان صيغة القرار تصعيد خطير ، فالصيغة اعلان بنية تصفية النظام الثوري في مصر ، وكان تعليق جمال عبد الناصر ان ذلك اتجاه تفكيره هو الاخر » . وسال تيتو عبد الناصر عن نواياه ، وكان تعليق عبد الناصر انه « لا يرى حلاً آخر غير الاعتماد على النفس في بناء السد العالي ، والتأهب لصدام طويل مع السياسة الامريكية » .

ولم يسأل نهرو في شيء . ولعل نهرو كان ينتظر المساء ليسال عبد الناصر في كل ما يريد سؤاله فيه ، فقد كان مقرراً ان يصحبه على نفس الطائرة الى القاهرة ، فيبقى فيها يومين لمحادثات عن العلاقات المصرية الهندية ، ثم يسافر يوم الاحد ٢٢ يوليو عائداً الى دلهي .



في الساعة الثالثة من بعد ظهر الجمعة ٢٠ يوليو صحب تيتو ضيفيه – عبد الناصر ونهرو – في يخت صغير عبروا به من جزيرة بريوني الى خليج « بولا » ، واتجه الثلاثة بالسيارة الى المطار ، وعلى سلم الطائرة المصرية قام تيتو بتوديعهما : صافح نهرو وعانقه ، وبدأ نهرو يصعد درجات السلم ، بينما تيتو يصافح عبد الناصر ويعانقه ويهمس في اذنه « انت مقبل على مرحلة صعبة ، ورجائي اليك ان تأخذ حذرك » ، وبدأ عبد الناصر يصعد سلم الطائرة .

واقلعت الطائرة في الساعة الرابعة بعد الظهر ، وكان موعد وصولها الى القاهرة هو التاسعة مساء : اربع ساعات طيران متواصل ، وساعة في فسارق التوقيت ، واحسست من مكاني في الطائرة انها ستكون ساعات طويلة طويلة .

وكان مؤتمر بريوني بكل ما جرى فيه ورائنا .

وكانت القاهرة بكل المنتظر فيها امامنا .

توارى موضوع عدم الانحياز وسياساته واتجاهاته ، وبرز موضوع سحب عرض السد العالي ، وعواقبه ومضاعفاته .

ولم ارفع بصري – من حيث كنت على مقعدي في الطائرة – عن عبد الناصر ونهرو وهما يجلسان متجاورين في الصف الاول من مقاعد الطائرة ٠٠٠ كان الحديث متصلًا بين الاثنين ٠٠٠ وطلب عبد الناصر حقيبة اوراقه واخرج منها ملفاً ناوله لنهرو . كان الملف يحوي مجموعة برقيات حملت نص القرار الامريكى ، ونص قرار بريطاني مشابه ، ونص قرار من يوجين بلاك رئيس مجلس ادارة البنك الدولي يعلن فيه « ان سحب العرض الامريكى غير تماما من الاساس الذي كان

البنك لدولي يعتمد عليه في عملية تمويل السد العالي ، ، ثم مجموعة برقيسات
اخرى عن ردود الفعل في عواصم العالم .

كان نهرو قد ثبت نظارته على عينيه . . . وكان يخلعها بين الوقت والاخر
ليبيدي ملاحظة لجمال عبد الناصر ثم يعود الى القراءة ، وكان يهز رأسه احيانا
وهو يقرأ ، ثم طوى الملف وتركه على حجره وخلص نظارته وهو يقسول :
No Limit To Their Arrogance اي ليست هناك حدود لحماقة القوة عندهم

وكررها نهرو مرتين !!

وانقطع حبل الحديث بينهما ، وبدا ان كلا منهما غرق في تفكير عميق وسط
بحر من الصمت لم يعد يسمع فيه حتى طنين محركات الطائرة التي كان ظلام
الليل قد بدا يلفها من كل ناحية .



وبعد فترة رأيت جمال عبد الناصر ينهض بهدوء من مقعده ويتجه نحوي ،
ثم وجدتني باشارة منه اذهب وراءه الى مؤخرة الطائرة حيث كان هناك مقعدان
خاليان ، وجلست الى جانبه ، وقال انه ترك نهرو مع غفوة نوم اخذته
من ارقاق العمل خلال الايام الماضية ، ثم سألني بعد هذه الملاحظة مباشرة :

– هل تابعت التطورات ؟

وقلت «نعم» – فأضاف ! «وما هو رأيك؟» وسألته ربما بغريزة الصحفي :
« ما هو رأي تيتو ونهرو » ، وقال ان الموضوع لم يبحث بينهم الا بشكل عارض ،
وأضاف :

– لم اكن اريد ان ابحث الموضوع بحثا مفصلا معهم ، لانني اشعر انه
يحتاج منا الى تفكير ذاتي عميق وطويل قبل ان نبحثه مع اصدقائنا ، ثم انه من
العدل لنا ولهم ان نتحمل وحدنا في هذه الظروف اية مسؤوليات تفرضها علينا
الحوادث » .

وتشعب الحديث بيننا طويلا . . . ثم توقف متسائلا :

– هل هذه اعضاء الاسكندرية ؟

وكانت اعضاء الاسكندرية فعلا امامنا تضوي من بعيد وسط الظلام .

وقال جمال عبد الناصر :

– سوف اعود الى مقعدي بجوار نهرو .

ثم سألني « اين ساكون في الصباح ؟ » وقلت « انني ساكون في مكنتي » ،

وقال « انه يريدني ان اتابع من خلال برقيات وكالات الانباء ردود الفعسل في العالم ، واتصل به في الصباح الباكر قبل ان يذهب الى جلسة محادثاته مع نهرو ، ثم أستدرك :

– في الحقيقة ان العلاقات المصرية الهندية ليست هي شاغلي الان ، ومع ذلك فلا نستطيع ان نكون مقصرين في حق نهرو الذي سيقضي معنا يومين ويسافر الى دلهي صباح الاحد .

كانه كان هناك نوع من الاتصال النفسي الخفي بين عبد الناصر ونهرو فما كاد جمال عبد الناصر يعود الى مقعده بجوار نهرو ويجلس فيه ، حتى التفت اليه نهرو يقول له :

– هل تعرف ٠٠٠؟ انني اريد ان استأذنك في تغيير برنامجي ٠٠٠ سأعود الى دلهي غدا اذا سمحت لي ٠٠٠ ان امامك كثير تفكر فيه ، وانا اشعر انه اولسى بوقتك ٠٠٠ دعنا نتقابل في الصباح ثم اودعك واسافر » .

وحاول جمال عبد الناصر ان يلح على نهرو ، ولكن الزعيم الهندي بشفافيه حسه كان قد اتخذ قراره .

وكان سفراء الدول الاجنبية المعتمدين في القاهرة صفا في المطار ينتظرون استقبال الزعيمين ، وكان بينهم السفير الامريكي هنري بايرود ، واذكر انني قلت له بسرعة ونحن في ساحة المطار : «ماذا فعلتم » ؟ وكان رده « انت لا تستطيع ان تتصور كيف اشعر ٠٠٠ انني اشعر ان كل ما اردت بناءه في مصر قد تهدم مرة واحدة فوق رأسي ، ومع ذلك فالهم الان هو ماذا ستفعلون انتم ؟ ولم اقل شيئا .



لا اعرف لماذا استيقظت صباح السبت ٢١ يوليو وقناة السويس في ذهني ، مرتبطة بقرار سحب العرض الامريكي بالمساهمة في بناء السد العالي .

كان شعوري ان جمال عبد الناصر سوف يتصرف ازاء هذا القرار بخطوة ما في اتجاه قناة السويس .

ولم يكن السبب مجرد اشارته العابرة يوم التقينا معه – الدكتور احمد حسين وانا – في برج العرب ، وسؤاله للدكتور احمد حسين عما اذا كان يستطيع شراء كتاب عن قناة السويس ، وعن نصيحته له بأن يقرأ عن القناة .

وانما كان السبب اكبر من ذلك ٠٠٠ السبب هو ان القناة كانت موضوعا يفكر فيه .

كان منذ سنة ١٩٥٥ يفكر في قناة السويس على اساس الاستعداد لتسلم القناة عند انتهاء عقد امتيازها ، وكان قد اشار بانشاء ادارة لشؤون القناة تلحق بوزارة التجارة والصناعة ، وكان شديد الاهتمام وقتها بتقرير قدمه اليه الدكتور مصطفى الحفناوي - استاذ في القانون الدولي نال شهادة الدكتوراه من باريس عن دراسة حول قناة السويس - وقد قرأ جمال عبد الناصر هذا التقرير اكثر من مرة ، و اضاف على هوامشه ذيو لا طويلة من التعليقات بخط يده .

وفي بداية سنة ١٩٥٦ - ومع الرغبة في بدء برنامج واسع للتصنيع - ومع احساسه بان البنوك المصرية الواقعة تحت سيطرة رأس المال الاجنبي تحجم عن تمويل المشروعات الاستثمارية - اقترح على وزارة التجارة والصناعة ان تفاوض شركة القناة في استثمار جزء من اموالها في مصر ، وتمت هذه المفاوضات فعلا رغم محاولات عنيدة من شركة القناة ان تتلکأ وتعرقسل .

ثم تبين ان الشركة استجابت لهدف سعى به الرسل الى مصر ، وهو ان تقوم مصر بمد امتياز شركة القناة حتى تستطيع الشركة ان تطمئن السى مستقبلها وتدخل في مشروعات ضخمة لتوسيع قناة السويس بتمويل من بنوك أمريكية .

وكان بين من حدثوه في موضوع مد امتياز الشركة وزير خارجية فرنسا في ذلك الوقت كريستيان بينو ، وكان رفضه قاطعا ، وعلى اي حال فقد لفت نظره قول بينو له في نهاية اجتماعه به في القاهرة « ان الحكومة الفرنسية سوف تأخذ من طريقه مصر في معاملة شركة قناة السويس مقياسا لحسن النية في العلاقات المصرية / الفرنسية .

ولقد دار حوار بينه وبين سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا وقتها اعتقد ان جمال عبد الناصر قد خرج منه بفكرة . . . بدأت كبذرة ، ثم راحت تختمر في ذهنه وتنمو يوما بعد يوم .

كان سلوين لويد يتحدث الى جمال عبد الناصر اثناء لقائهما في القاهرة عن أهمية منابع البترول العربي بالنسبة إلى بريطانيا، وان قناة السويس هي الشريان الذي يصل منه البترول العربي الى بريطانيا ، وقال سلوين لويد :

- ان الجلاء البريطاني عن قاعدة قناة السويس سوف يتم في موعده - ١٨ يونيو ١٩٥٦ - ولكن مصر عليها ان تدرك أهمية القناة بالنسبة إلى بريطانيا، وكونها فعلاً جزءاً من استراتيجية البترول».

ورد جمال عبد الناصر :

– اذا كانت القناة جزءا من استراتيجية البترول ، ولها نفس اهمية منابعه ، فلماذا لا يكون لمصر نصيب من دخل القناة ، كما ان لاصحاب منابع البترول نصيبا من قيمة بترولهم .

واتصل الحديث ، ولكني بعدها احسست من احاديثي مع جمال عبد الناصر ان الفكرة تتضح في ذهنه اكثر واكثر :

ان الدول المنتجة للبترول تأخذ خمسين في المائة من دخله ، ومصر وهي صاحبة قناة السويس – التي هي جزء من عملية البترول الشاملة في المنطقة – لا تأخذ من دخل قناة السويس الا حوالي مليون جنيه سنويا ، بينما دخل هذه القناة ستة وثلاثون مليونا .

وسمعتها من جمال عبد الناصر بوضوح اكثر :

– من العدل – ومن باب المساواة بالبترول – ان نأخذ نصف دخل القناة
وذلك كي نستطيع تمويل مشروعاتنا الصناعية دون ان نتوسل للبنوك كل سنة بان تقبل المساهمة في خططنا للتنمية .

ثم أحسست ان الفكرة تحولت الى خطة حينما جلست في يوم من ايام يونيو سنة ١٩٥٦ – وكان قد انتخب رئيسا للجمهورية – فاذا هو يقول وسقط حديث طويل عن احلام المستقبل وبرامجه :

– لا بد ان نجد فرصة مناسبة نطلب فيها مبدءا للمشاركة في دخل قناة السويس اسوة بالبترول ، ان الشركة سوف تقيم الدنيا وتقعدها وسوف تكتل نفوذها في العالم كله ضدنا ، ولكن لا بد لنا من المشاركة والمهم ان نجد فرصة مناسبة نطرح فيها مطلبنا ونصر عليه . «

□

لا اعرف لماذا تدافع ذلك كله الى خواطري صباح السبت ٢١ يوليو
لعلي ربطت بين سحب العرض الامريكي وبين طلب المشاركة في دخل قناة السويس .

كان يريد فرصة مناسبة فهل هذه هي الفرصة المناسبة ؟

وذهبت الى مكتبي فراجعت كل ردود الفعل في العالم للقسرار الامريكي واتصلت به تليفونيا في غرفة نومه ، وكانت الساعة الثامنة والرابع صباحا .
وتبادلنا حديثا عاديا مما يتبادلها الاصدقاء في الصباح ، ثم انتقلت الى ردود الفعل في العالم ، ثم وصلت اخيرا الى ما كان يلح على فكري .

قلت له :

– انني فكرت طويلا فيما نستطيع ان نفعله ازاء القرار الامريكي .
وقال :

– وهل توصلت الى شيء ؟
وقلت :

– هل تذكر ما كنت تقوله عن انتظار فرصة ملائمة نتقدم فيها بطلبنا للمشاركة
والحصول على نصف دخل

ولم اكمل كلامي ، فقد قاطعني بما يعتبر طلبه الى عدم الاستمرار في شرح
ما اريد بالتليفون ...

وسكت ... وجاءني صوته على التليفون يقول :

– انك اقتربت كثيرا مما افكر فيه ، ولكن السؤال الذي اطرحه عليك
لتفكر فيه حتى اراك في المساء هو : لماذا النصف ... لماذا لا تأخذ الكل ؟

ولم تطارعني الكلمات ، وصدر عني – فيما انكر – صوت هو مزيج من
الشهيق والزفير .

ثم سمعته يقول لي :

– لا تتحدث مع مخلوق حتى اراك هذا المساء .

ووضعت سماعة التليفون مكانها بحركة آلية ، كما لو انني كنت تحت تأثير
تنويم مغناطيسي ... ومضت دقائق ، وهمست لنفسي :

– اذن فهذا رده ... ان « تأخذ » شركة قناة السويس !

أحدث التاسع :

حسابات عبد الناصر
في قرارات أميم القنائة

لعلني لا اتجاوز اذا قلت انني كنت اول من سمع بعبارة « تأميم قناة السويس » تخرج من فم جمال عبد الناصر باعتبارها خطوته القادمة في لعبة الشطرنج الهائلة التي كانت تجري في ذلك الوقت من يوليو ١٩٥٦ على رقعة الشرق الاوسط .

كانت اللعبة السابقة لعبة دالاس ، سحب فيها عرض المساهمة الغربية في تمويل السد العالي ، واعتبر تلك اللعبة آيته الكبرى تدفع جمال عبد الناصر الى الحافة وتهوي به وراءها .

وكان الدور على جمال عبد الناصر في الصراع على اقدار الشرق الاوسط ومصائره .

ولا استطيع ان اعطع متى كان يريد ان يفضي الي بالسر الكبير - لو انني لم اكن بمحض المصادفة قد استنتجت نصفه بتأثير ما كان دائرا من حول قناة السويس خلال النصف الاول من سنة ١٩٥٦ ، مما شرحت بعضه في حديث سبق .

هل كان يفضي الي به قبل موعد اعلانه بستة ايام ٠٩٠ او هل كان يؤثر الانتظار يوما او يومين او ثلاثة ٠٩٠ او ماذا كان في ذهنه بالضبط بشأن ادخالي الى الصورة فيما يتعلق بالقرار الكبير الذي كان يدور ويتبلور في فكره؟

وعندما ذهبت الى لقاء جمال عبد الناصر بعد ظهر يوم السبت ٢١ يوليو ،
بادرني بقوله :

— اذن فقد استنتجت الخطوة التالية التي افكر فيها ؟

ولم ينتظر حتى اجيب ، بل استطرد يسأل :

— ما رأيك ؟

وقلت :

— مسألة كبيرة وخطيرة ٠٠٠ كبيرة جدا وخطيرة جدا .

وقال :

— كبيرة جدا وخطيرة جدا بالفعل ، ولا بد ان نحسب كل شيء فيهما

بدقة ، ولو فعلنا ذلك وتحملنا مسؤوليتها ومخاطرها فانها في اعتقادي تكون الحل الامثل من عدة نواحي .

• نستطيع بدخلها تمويل السد العالي .

• نسترد بتأميمها حقا مصريا يراود احلام كل المصريين .

• نؤكد بذلك استقلالنا الكامل واستقلال ارادتنا السياسية .

• نضيف قيمة القناة الى ارصدة مصر الاستراتيجية .

واستطرد :

– انني طول اليوم افكر في هذا الموضوع ، وقد عدت الى ايام عملي كضابط «اركان حرب» وكتبت تقديري لموقفنا على الورق ٠٠٠ وفوق ذلك كتبت تقديري لمواقف الاطراف الاخرى .

وراح يتطلع الى مجموعة اوراق امامه ملاحظا كتابه بخطه المشهور بزواياه الحادة ٠٠٠

سبع اوراق من حجم نصف فولسكاب بالطول ٠٠٠ والكتابة عليها بالقلم الرصاص ، واول صفحة فيها عنوانها : «موقفنا» ، وتحت العنوان خط .

ثم تداعت افكاره من خلال الحديث ، واحسست انه وهو يتحدث الي انما يفكر بصوت عال ، ويحاول مراجعة ما توصل اليه .

قال :

– لنترك تقدير موقفنا ٠٠٠ كل ما فيه تستطيع ان تتصوره .

اهم ما فيه انه لا بد لنا ان نبني السد العالي لاهميته في مستقبلنا ، ثم لان السد ، اصبح رمزا لقيم حيوية بالنسبة الينا ، اولها قيمة الاعتماد على النفس .

ولكي لا يكون تصميمنا على بناء السد العالي اعتمادا على انفسنا مجرد « انشاء » ، فانه لا بد لنا من تدبير موارد اضافية ، وقناة السويس مورد حقنا الشرعي فيه ثابت ، واستردادها علينا واجب ، فضلا عن ان دخلها كله بالنقد الاجنبي ، وهو ما نحتاج اليه تماما .

تأميم قناة السويس من الناحية العملية هو الحل النموذجي ٠٠٠ والآثار السياسية لمثل هذا الحل ظاهرة وواضحة .

• نترك هذا كله الى موقف الاخرين .

واستطرد جمال عبد الناصر :

- الخطر الذي يجب ان نحسب حسابه هو احتمال التدخل العسكري ،
وسوف يكون ذلك اول ما يفكرون فيه

• حاولت ان احصر الاطراف التي يمكن ان تفكر في التدخل العسكري .

نظريا ، كلهم يستطيعون التفكير في التدخل العسكري لاول وهلة ، ولكن
بعضهم سوف يتردد عندما يفكر في الموضوع مرة ثانية .

الولايات المتحدة لن تقدم - فيما اتصور - على تدخل عسكري لان ذلك
بالنسبة إليها افلاس سياسي امام دولة صغيرة كمصر .

فرنسا هي الاخرى لا تستطيع ان تتدخل بمفردها ، فهي مشغولة بحرب
الجزائر ، ووضعها العالمي كله - خصوصا بعد هزيمة الهند الصينية - لا يمكنها
من عمل مسلح ضد مصر .

اسرائيل ايضا قد تفكر في التدخل ولكنها لا تستطيع اتخاذ تاميننا اقناة
السويس ذريعة لشن الحرب ، ثم ان تدخل اسرائيل ضدنا سوف يجعل
معركتها ضد مصر حربا ضد الامة العربية كلها ، وهذا يفرض على امريكا
محاولة « فرملة » اسرائيل ، ثم ان اسرائيل من مصلحتها ان تنتظر لكي تسرى
صراعنا مع الغرب كله يشدد ويعنف .

الطرف الذي اخشى من تدخله هو بريطانيا ، واعتقد ان بريطانيا سوف
تفكر في التدخل لاول وهلة ، وعندما تفكر في الامر ثانية سوف يزداد اصرارها
على التدخل .

واستطرد جمال عبد الناصر :

• من هنا ، الموقف البريطاني . . . هو مفتاح الموضوع كله .

كيف تتصرف بريطانيا ، وكيف يتصرف ايدن ؟

• المشكلة ان ايدن في موقف ضعيف . . . ولانه ضعيف فانه قد يكون عنيفا .

كانت منطقة الشرق الاوسط هي المنطقة التي يريد ان يثبت فيها نفسه
باعتياره خبيراً في شؤونها كما يقول ؛ ثم باعتبارها المنطقة التي لم يتم ترتيب
امورها في وقت تشرشل . . . في وقت تشرشل رتبت الامور في اوربا بحلف
الاطلنطي ، ورتبت الامور في اسيا بحلف جنوب شرق اسيا .

الشرق الاوسط بقي وحده بغير ترتيب غربي ، وكان ايدن يعتبر ان هذه هي المنطقة التي تدعوه الى التدخل فيها لترتيب امورها ، لكنه حين بدأ يفعل ذلك شاءت الظروف ان نكون نحن المتصددين له .

منذ وقت خروج جلوب من الاردن ، بدأ يعتبرني عدوه الرئيسي في المنطقة، وقد فكروا في عمليات اغتيال ، وفي تدبير انقلاب ، ولم ينجحوا حتى الان، ولكنهم في حالة تعبئة نفسية ضدنا الى الحافة .

وخطوة مثل تأميم قناة السويس سوف تكون القشة التي تقصم ظهر البعير، ويصبح ايدن تحت ضغوط نفسية من داخله وضغوط سياسية من حزبه ومسن الرأي العام البريطاني ، تدفع كلها الى التدخل المسلح ضدنا ، خصوصا وان الجو الدولي العام الذي سيخلقونه بدعايتهم حول تأميم قناة السويس سوف يعطيه الارضية الصالحة للتدخل المسلح .

لكنه هنا لا بد ان يتصرف فورا ليستفيد من هذا الجو الدولي العام .

لا بد ان يتصرف فورا ، وفي ظرف اسبوع على الاقل ، والا بدأ الجو العام يبرد يوما بعد يوم .

تقديري ان التدخل العسكري ضدنا سيكون بنسبة ٨٠ في المائة خلال اسبوع من قرار التأميم .

اذا مضت هذه الفترة الحرجة فسوف تتناقص احتمالات الخطر .
في الاسبوع الثاني والثالث من اغسطس سوف يكون الخطر بنسبة ٦٠٪ .

في الاسبوع الرابع من اغسطس سوف يكون الخطر بنسبة ٤٠ ٪ .

خلال شهر سبتمبر سوف يكون الخطر بنسبة ٣٠ ٪ .

حتى نهاية اكتوبر سوف يكون الخطر بنسبة ٢٠٪ ، ثم يبدأ في التلاشي بعد ذلك لان الفرصة تكون قد اقلت تماما .

واستطرد جمال عبد الناصر ، وهو ينقل بصره ما بين اوراقه المكتوبة ، وما بين عيني يحاول ان يقرأ فيهما تأثيرا يقوله علي :

– على هذا الاساس امامنا سؤال يتقدم غيره من الاسئلة :

– ما هي القوات الجاهزة في منطقة الشرق الاوسط وحوض البحر الابيض
مما يستطيع ايدن ان يستعمله لعملية عسكرية فورية ضدنا ؟

إذا كانت لديه قوات جاهزة كافية ، فمعنى ذلك ان التدخل المسلح ضدنا
حتمي .

وإذا لم تكن لديه قوات جاهزة ، فما هو الوقت الذي سيمضي من الان
وحتى تجهز قواته ؟ ،

واستطرد :

– يجيء بعد ذلك سؤال آخر : ماذا نستطيع نحن ان نفعل في فترة الوقت
التي تمضي من الان وحتى يكون جاهزا للتدخل ، وهل نستطيع القيام بمبادرات
سياسية تطلق احتمال تدخله حينما تجهز قواته ؟ .

واستطرد :

– اذا فرغنا من ذلك ، فلنا ان نبحث ما هي اشكال التدخل المحتملة :
● هل يحاول بالاسطول مثلا اقتحام قناة السويس ٠٠٠ وماذا لو اننا
وضعنا باخرة بالعرض في قناة السويس تسد مجراها وتموق الدخول اليه ؟

● هل يحاول بالاسطول ايضا – كما فعل الاميرال سيمور ايام عرابي –
ان يضرب الاسكندرية او بور سعيد من البحر ٠٠٠ ذلك لا يكفي في رأيي ، فضلا
عن ان عرابي لم يكن يملك مقاتلات وقاذفات تستطيع الاغارة على قطع الاسطول
البريطاني المعتدية .

● هل يحاول القيام بعملية انزال في بور سعيد تمهيدا لاحتلال منطقة
القناة ؟ هل يحاول عملية اسقاط مظلات حول القاهرة ؟

مثل هذه العمليات – الانزال او الاسقاط – لا بد من تعزيزها خلال اربع
وعشرين ساعة بجيش كبير ، والا تعرضت قوات الانزال او الاسقاط لخطر
حصارها وابادتها .

ثم من اين يمكن ان يجيء جيش التعزيز ٠٠٠ من ليبيا مثلا ٠٠٠ او من
قبرص ؟

هذا كله يعود بنا الى السؤال الاصيل :

● ما هو حجم القوات البريطانية القريبة منا ، وما هي درجة استعدادها؟

إذا اجبنا على هذا السؤال ، استطعنا بدقة ان نحسب كل عوامل موقفنا
حسابا دقيقا نستطيع التصرف على اساسه .

□

صباح يوم الاحد ٢٢ يوليو كان جمال عبد الناصر يحاول ان يجد الاجابة على سؤاله الحيوي الذي يتوقف عليه كل شيء :

● ما هو حجم القوات البريطانية في الشرق الاوسط والبحر الابيض والبحر الاحمر ، وما هي درجة استعداد هذه القوات ؟

وكانت هناك عدة جهات كلفها جمال عبد الناصر البحث والتقصي .

وكانت هناك ميادين محددة لكل جهة من هذه الجهات تبحث فيها وتتقصي .

كانت المخابرات العسكرية المصرية تبحث وتتقصي ، والميدان الذي كلفت دراسته هو ليبيا والقوات البريطانية لمرابطة فيها ، ثم الاردن والقوات البريطانية المرابطة فيه .

ومن الغريب ان هدية معلومات جاءت في ذلك اليوم على غير انتظار وبغير طلب ، وكان مصدرها المكتب الثاني - المخابرات العسكرية - في الجيش السوري ، وكان عبد الحميد السراج وقتها هو رئيس المكتب الثاني ، وكانت مشاعره القومية كلها متجهة الى جمال عيد الناصر ، مضبوطة على نفس موجته .

كان للمكتب الثاني ضابط اتصال في قبرص ، ولقرب قبرص من سوريا ولدور بريطانيا في حلف بغداد - وهو حلف كانت ترفضه كل العناصر القومية في المنطقة - فان عبد الحميد السراج ترك باستمرار عيننا مفتوحة على قبرص وعلى النشاط البريطاني العسكري فيها .

وفي ذلك اليوم ، وطبقا لسياسة تبادل المعلومات ، اذا احد التقارير السورية يحوي تفاصيل عن القوات البريطانية في قبرص .

لكن الانصاف يقتضي ان اذكر اليوم ان الصورة الكاملة لاوضاع القوات البريطانية ودرجة استعدادها ، في قبرص بصفة خاصة وفي البحر الابيض بصفة عامة ، جاءت من الاسقف مكاريوس زعيم قبرص ، ومن الجنرال جريفاس قائده العسكري - في ذلك الوقت - والمسؤول امامه عن المقاومة المسلحة لمنظمة « ايوكا » .

كانت المقاومة الوطنية القبرصية قد اتصلت بمصر تطلب مساعدتها ، وجريا على سياسة مساعدة حركات التحرر الوطني - وهي سياسة مصر في ذلك الوقت - فان الثورة القبرصية ضد الاحتلال البريطاني تلقت من مصر ما كانت تحتاجه من مساعدات ، وارتبطت معها بملاقات وثيقة .

وفي ذلك اليوم سافر مندوب خاص الى قبرص واتصل بقيادة الثورة القبرصية ، ونقل للاسقف مكاريوس وللجنرال جريفاس رسائل من عبد الناصر مضمونها :

« ان علاقاتنا مع بريطانيا تسوء يوما بعد يوم بسبب تصدينا للاستعمار البريطاني ومخططاته في المنطقة ، وليس من المستبعد ان تفكر بريطانيا في عمل مسلح ضد مصر ، ولذلك فان مصر ترجو من كل اصدقائها ان يجمعوا لها ما يستطيعون جمعه من معلومات عن القوات البريطانية في البحر الابيض وعن درجة استعدادها . »

وعبأت « ايوكا » كل رجل وامرأة وطفل فيها لجمع المعلومات التي تطلبها القاهرة ، الى درجة ان الجنرال جريفاس طلب ان تكون المعلومات التي تقدم اليه معززة بصور فوتوغرافية من داخل القواعد البريطانية في قبرص .



كان جمال عبد الناصر يتصور ان بإمكانه اعلان تأميم قناة السويس يوم الاثنين ٢٣ يوليو في الاحتفال بالعيد الرابع للثورة ، ولكن صباح ٢٣ يوليو بدأ والمعلومات لم تصل بعد لتجيب على السؤال الحيوي الذي يتوقف عليه كل شيء .

ثم وجد جمال عبد الناصر نفسه - وهو يفكر في الاعلان عن قرار التأميم - يواجه سؤالاً اخر امامه :

- «على فرض ان المعلومات جاءت وكان قراره على اساسها اعلان تأميم قناة السويس ، فإين هو الجهاز المصري الذي يتولى مسؤولية العملية ؟ ومن الذي يقود مثل هذا الجهاز ؟ » .

وذهب جمال عبد الناصر الى احتفالات يوم ٢٣ يوليو ، وقد اقتصررت سنتها على حفل لافتتاح خط انابيب البترول بين السويس ومسطرد ، وكان مقررا ان يتحدث عبد الناصر في هذا الاحتفال ، ولكنه ذهب اليه بأسئلته كلها معلقة في الهواء دون جواب يطمئن اليه ويتصرف على اساسه ، وتصور ان يعتذر عن الحديث في ذلك الاحتفال على وعد بان يتحدث بعد ثلاثة ايام في احتفالات الاسكندرية بذكرى خروج الملك في ٢٦ يوليو ، ولكنه وجد ان اعتذاره عن الكلام قد يساء تأويله دوليا وعربيا ، وأبسط ما يمكن ان يستنتج من هذا الاعتذار هو انه ليس لدى مصر ما تردبه على التحدي الامريكي ، وما تنقذ به حلمها المستقبلي الكبير في السد العالي من حافة الهاوية .

وبدأت مراسم الحفل، وطاف جمال عبد الناصر بارحاء محطة نهاية خط الانابيب، ولا اظنه رأى كثيرا من معالمها، فقد كان ذهنه مشغولا تماما بأشياء اخرى، وجاءت

يستمتع الى خطاب المهندس محمود يونس الذي اشرف على بناء الخط ، وفجأة لم خاطر ٠٠٠ امامه الاجابة على سؤاله الثاني : جهاز تنفيذ عملية تأميم قناة السويس ، والرجل الذي يقود ذلك الجهاز .

وفرغ محمود يونس من خطابه ، ووقف جمال عبد الناصر على المنصة ، ولا اظنه كان قد فكر قبلها في تفاصيل ما يمكن ان يتحدث به الى الناس ٠٠٠ كان الخطاب فعلا من وحي اللحظة ، ولم يكن قادرا على ان يترك نفسه على سجيتها ويسترسل مع الحديث كما يجيء ، واظن انه لم يبق من خطابه في مسطرد الا عبارته الشهيرة موجهة الى انذين سحبوا عرض المساهمة في تمويل السد العالي جميعهم : « موتوا بغيظكم » ، وكانت هذه العبارة ترجمة لمزاجه ، منفصلة عما كان يدور في رأسه .

وحين انتهى من الاحتفال ، وعاد الى سيارته ، ومشى معه محمود يونس يودعه ، لم يزد جمال عبد الناصر على ان قال له :

– محمود ٠٠٠ افرغ من بقية ما لديك الان هنا ، واتبعني .
وتبعه محمود يونس .

وقضى معه بقية يوم الاثنين ٢٣ يوليو كله ، وعاد اليه يوم الثلاثاء ٢٤ يوليو بخطط التنفيذ وخريطة انشاء جهاز صغير يقود عملية تأميم قناة السويس ، وإدارة القناة بعد تأميمها ، وكانت لجمال عبد الناصر ملاحظات عليها ، واعيدت الدراسة ، ثم جاء محمود يونس صباح يوم الاربعاء ٢٥ يوليو بالصورة الكاملة .

ومع ذلك ، فقد كانت الصورة الكاملة حتى هذه اللحظة مجرد استعداد لقرار محتمل ، ذلك ان صدور قرار نهائي كان ما زال بعد معلقا بسؤال لم تتحدد الاجابة عليه ، حول حجم القوات البريطانية الموجودة في منطقة الشرق الاوسط ودرجة استعدادها .

وحين بدأ جمال عبد الناصر يعد الخطوط العريضة لخطابه يوم ٢٦ يوليو ، فانه اعد في الحقيقة مشروعين :

مشروع يؤدي سياقه الى اعلان قرار تأميم قناة السويس .

ومشروع اخر يتحدث عن الموقف وتفاصيله ، وينتهي بان مصر لن تسكت ، وانها ستبني السد العالي ولو حتى « بالمقطف » .

وكان جمال عبد الناصر يعرف ان امامه فرصة ثالثة للكلام امام الناس في احتفالات جامعة الاسكندرية ، وخطر له انه يستطيع تأجيل هذا الاجتماع لاي

سبب لمدة يومين او ثلاثة ، لو اقتضى الامر ، ويعلن فيه قرار تأميم قناة السويس
اذا جاءت الاجابة على سؤاله الحيوي .



مساء يوم الاربعاء ٢٥ يوليو اتخذ جمال عبد الناصر قراره العظيم .

في الساعة الرابعة من بعد ظهر ذلك اليوم جاءت تفاصيل ما كان يحاول ان
يسأل عنه ، واكتملت امامه صورة عن اوضاع القوات البريطانية في المنطقة
ودرجة استعدادها ٠٠٠ واثبتت الايام فيما بعد ان هذه الصورة كانت دقيقة الى
حد كبير ، وان الاستنتاجات التي قامت على اساسها كانت سليمة في معظم ما
توصلت اليه .

كانت الصورة كما يلي :

● القوة البحرية البريطانية في المنطقة : حاملة طائرات راسية الان في
مالطا .

ثم مدمرة واحدة في البحر الابيض تقوم باعمال الدورية احيانا في مثلث
يمتد بين قبرص والاسكندرية وحيفا .

ثم مدمرة واحدة في البحر الاحمر في طريقها الان من بور سودان الى
عدن .

● القوات البرية في المنطقة :

الفرقة العاشرة المدرعة في ليبيا .

فرقة الهوسار - مشاة - في الاردن .

مجموعة قوات في قبرص تتكون من : لواء الحرس الثالثة المشاة - لواء
الكوماندوز الثالث - لواء مظلات .

وكان تقدير الجنرال جريفاس عن القوات البريطانية في قبرص انها لا
تستطيع القيام بعمليات واسعة خارج الجزيرة لانشغال معظم القوات بالثورة
في الجزيرة ٠٠٠ بل ان قيادة هذه القوات طلبت مددا فوقها يساعدها على
مواجهة الموقف في قبرص .

وقرأ جمال عبد الناصر تقرير المعلومات المعروض عليه عن اوضاع القوات
البريطانية في المنطقة ودرجة استعدادها ، واعاد قراءته اكثر من ثلاث مرات ،
وقارن المصادر المتعددة للمعلومات ببعضها ، ثم كتب بخط يده تحت التقرير حاشية
تتضمن مجموعة ملاحظات نصها - كما نقلته فيما بعد من الوثيقة الاصلية حين

كنا نحاول تسجيل قصة السويس كاملة ، واطن ان الوثيقة الاصلية موجودة حتى اليوم في خزانة مكتب الرئيس جمال عبد الناصر في الدور الارضي من بيته - كما يلي :

● لا تستطيع الحكومة البريطانية ان تتدخل عسكريا ضدنا بالفرقة المدرعة الموجودة في ليبيا . صعب استعمال بلد عربي كقاعدة لغزو بلد عربي اخر .

● نفس الشيء ينطبق على فرقة المشاة الموجودة في الاردن .

● قوات قبرص غير كافية لاية عمليات .

● قوات الاسطول عاجزة عن الهجوم او المعاونة .

● يمكن للحكومة البريطانية ان تنسق مع الحكومة الفرنسية لعملية مشتركة ، ولكن القوات الفرنسية مشغولة بالجزائر ، وعملية نقلها وتعبئتها والاتفاق على عمليات مشتركة ، تحتاج ما بين شهرين الى ثلاثة شهور على الاقل .

● مستحيل ان تلجأ بريطانيا وحدها ، او بريطانيا بالتنسيق مع فرنسا ، الى الاستعانة باسرائيل في اي عملية ضد مصر لان ذلك « يقلب الدنيا » ففي العالم العربي ضدهما . بريطانيا لا يمكن ان تدخل في عملية من هذا النوع بالتنسيق مع اسرائيل . ولا يمكن لايدن ان يفعل ذلك بسبب المصالح البريطانية والعلاقات البريطانية مع الملوك والشيخ العرب .

.
.

وتلقى محمود يونس الاشارة النهائية بالماضي قدما في الخطة .

وأخرج جمال عبد الناصر قلما من جيبه وقع به مرسوم تأميم الشركة العالمية لقناة السويس ، وكان مشروع المرسوم قد اعد - تحسبا وانتظارا - بواسطة لجنة رأسها السيد محمد ابو نصير الوزير الاسبق - رحمه الله - وكان من اعضائها البارزين الدكتور الحفناوي الذي كان اكبر الخبراء المصريين في كل ما يتعلق بشركة قناة السويس فضلا عن حماسه الزائفة والدائمة لتأميمها .

□

وكان يوم الخميس ٢٦ يوليو ١٩٥٦ يوما من اروع الايام في تاريخ العرب الحديث ، وفي القصة الحافلة لحياة جمال عبد الناصر .

دعا الى اجتماع مشترك لمجلس الوزراء واعضاء مجلس قيادة الثورة ،

وعقد الاجتماع في بيت كان يستأجره تلك السنة في الاسكندرية ، وهو بيت مقام على ربوة مجاورة للعمارة الضخمة التي يملكها صندوق تأمين القوات المسلحة، قرب شاطئ سان استفانو .

وانعقد الاجتماع في الساعة الخامسة بعد الظهر ، واستمع حضوره الى القرار وموجباته واهدافه ، وكان معظمهم يسمع بموضوع تأميم قناة السويس لأول مرة ، بل لعلي اقول ان الذين كانوا يعرفون السر الكبير من بين المشتركين في هذا الاجتماع لم يكن عددهم يزيد على خمسة .

وجرت مناقشة كان الكل فيها مأخوذا بجرأة القرار وجسارته .

ثم جاء الوقت ليتحرك الموكب من بيت عبد الناصر الى ميدان المنشية ، حيث تنتظر جماهير ضخمة سماع خطاب جمال عبد الناصر .

وتحركت سيارته ووراءها سيارات بقية حضور الاجتماع والمشاركين فيه .

وكان الخطاب الذي حفظته الامة التعريية كلها عن ظهر قلب ، وكانت كلمة السر فيه ان ينطق جمال عبد الناصر باسم « فرديناند دليسييس » فيعرف محمود يونس ويعرف المشتركون معه في عملية الاستيلاء على شركة قناة السويس في مقرها الرسمي في القاهرة ، او في مقرها العملي الضخم في الاسماعيلية ، ان القرار نهائي لم يطرأ عليه اي تغيير ، ومن ثم يشقون طريقهم نحو التنفيذ .

ونطق جمال عبد الناصر باسم « دليسييس » .

وسمعها محمود يونس من جهاز راديو كان معه وهو يقود قافلة صغيرة من السيارات قرب مبنى شركة قناة السويس في الاسماعيلية . . وتحرك .

وكرر جمال عبد لناصر اسم « دليسييس » اكثر من مرة ٠٠٠ كرهه سبع عشر مرة - بلا ضرورة في بعض الاحيان - ليتأكد ان محمود يونس تلقى الاشارة المتفق عليها ٠٠٠ وفي الحقيقة فان محمود يونس تلقى الاشارة من اول مرة ورد فيها اسم « دليسييس » على لسان جمال عبد الناصر . . تلقاها وتصرف ، وكان داخل مبنى شركة قناة السويس فعلا حين بدأ جمال عبد الناصر يتلو «قرار من رئيس الجمهورية بتأميم الشركة العالمية لقناة السويس . »

□

وقامت الدنيا كلها ٠٠٠

قامت ولم تقعد !

الحديث العاشر:

عاصفة

على بيت رئيس وزراء بريطانيا

تلقى السير انتوني ايدن رئيس وزراء بريطانيا نبا تأميم قناة السويس
حوالي الساعة العاشرة مساء بتوقيت لندن . وكان ايدن في قاعة الطعام
الرئيسية بمقره الرسمي رقم ١٠ دواننج ستريت . وكان يكرم على العشاء خفيفين
من العالم العربي هما الملك فيصل ملك العراق وقتها، والسيد نوري السعيد رئيس
وزرائه .

وكان من حول مائدة العشاء عدد من الضيوف الاخرين ، بينهم بعض
السياسة البريطانيين والوزراء ورؤساء هيئات اركان الحرب البريطانية .

وجاء احد موظفي وزارة الخارجية البريطانية عبر الشارع الذي يفصل
بينها وبين المقر الرسمي لرئيس الوزراء يحمل البرقية العاجلة في يده ، وصعد
الى الدور العلوي ، وتوقف عند باب قاعة الطعام حيث خرج اليه « ويليام كلارك،
سكرتير ايدن الذي اخذ منه البرقية العاجلة ، فألقى نظرة عليها وامتقع وجهه ،
وادرك انها لا تستطيع الانتظار الى ما بعد انتهاء العشاء ، وان رئيس الوزراء
يجب ان يراها فوراً .

ودخل سكرتير رئيس الوزراء الى حيث كان يجلس رئيسه فسي وسط
المائدة ، ثم همس في اذنه وناوله البرقية ، وراح السير انتوني ايدن يجري
بعينيه على سطورها ووجهه يحتقن ويزداد احتقاناً ، والكل من حول المائدة
تطلع اليه مدركا ان شيئاً خطيراً قد حدث ، مما يستدعي مقاطعة رئيس الوزراء
البريطاني بينما هو في وسط عشاء يقيمه تكريماً لواحد من ملوك البتسرو
العربي .

(ولعلي اضيف على الفور هنا ان اعتمادي في وصف هذا المشهد وما تلاه
ليلتها في لندن يرتكز على عدة مصادر بينها مذكرات اللورد كيلموير عضو
مجلس الوزراء البريطاني الذي كان يحضر عشاء تلك الليلة ، الى جانب مذكرات
ايدن نفسه التي نشرها بعنوان « دائرة كاملة » ، فضلا عن رواية شاهد عيان
سجلها المؤرخ البريطاني الشهير الاستاذ هيو توماس في دراسته الهامة عن
وقائع السويس) .

فرغ ايدن من قراءة البرقية ، ورفع رأسه ، فوجد الكل ينظرون اليه عبس
المائدة ، واحس انه مطالب بايضاح امامهم ، فقال بصوت تبدو فيه محاولة
السيطرة على الانفعال :

- ان ناصر اعلن تأميم شركة قناة السويس !
وتعالت همسات من حول المائدة ، بعضها يقول : « شيء غريب » ، وبعضها
يقول : « غير معقول » .
وتطلع ايدن ناحية نوري السعيد وسأله :
- هل كان لديكم من المعلومات ما يشير الى ان شيئا من هذا النسوع
محتمل الوقوع ؟

وقال رئيس وزراء العراق :

- اطلاقا . . .

واستطرد نوري السعيد :

- لقد كان يجب ان يستشيرنا في مثل هذا القرار ، لانه يؤثر على الدول
العربية كلها ، خصوصا الدول المنتجة للبتروول .
وقال ايدن :

- لقد ذهب بعيدا . . . لقد فقد صوابه . . . ولا بد ان نعيد اليه الصواب .
وقال نوري السعيد :

- لا بد لك ان تضربه . . . وتضربه بشدة . . . وتضربه الان .

وقد اشتهرت هذه العبارة ضمن وقائع ذلك العشاء المثير ، فقد نقلها بالنص
اكثر من مصدر ، ابرزهم اللورد كيلموير .



يقول ايدن في مذكراته « دائرة كاملة » :

- لقد كان يجب بعد ذلك ان ينتهي حفل العشاء ، فقد استنفد اغراضه
الاجتماعية ، ثم ان نبأ تأميم شركة قناة السويس نقل افكارنا جميعا الى مكان
آخر ، واحس ضيوفنا اننا في حاجة الى ان نفكر ، فاستأذنوا في الانصراف ،
وكذلك انصرف معهم اصداقنا من البريطانيين الذين لم تكن لنا حاجة بهم ،
وبينهم هيو جيتسكيل زعيم حزب العمال ، وشو كروس الوزير العمالي السابق ،
وكانا بين الضيوف .

ويقول اللورد كيلموير في مذكراته :

- بعد انصراف الضيوف طلب منا ايدن ان نتوجه الى قاعة اجتماع
مجلس الوزراء في الدور الاول ، وكان منظرنا غريبا ونحن ندخل القاعة .

كنت « انا » و « ايدن » و « سالسبورى » و « سلوين لويدي » بملابس السهرة التي حضرنا بها العشاء ، وكان « ايدن » و « سالسبورى » الى جانب ذلك مزينين بكل اوشحة فرسان ربطة الساق ، وجاء رؤساء اركان حرب الامبراطورية ، وبينهم من كان بملابس الميس الموشاة للسهرة ، ومعنا فان ايدن قرر دعوة السفير الفرنسي المسيو « شوفيل » ، والقائم بالاعمال الامريكى « اندرو فوستر » .

وفكر السفير الفرنسي في دعوة « جورج بيكو » المدير العام لشركة قناة السويس ، وقد تصادف وجوده في لندن ليلتها ، فاتصل به « شوفيل » في فندق « ريتز » ، وقدم « بيكو » بسرعة الى رقم ١٠ داوننج ستريت ، ولكن ايدن لم يجد مناسبا ان يدعوه مدير شركة الى قاعة اجتماع مجلس الوزراء ، ومن ثم فانه رأى تعويضا له ان يشد على يده مشجعا في بهو الانتظار خارج قاعة اجتماعات المجلس .

وحين اكتمل عددنا في قاعة اجتماعات المجلس كان ايدن هو الذي افتتح الكلام قائلا :-

— ايها السادة ، انكم علمتم بما حدث في مصر ٠٠٠ ان المصري قد وضع اصبعه على قصبتنا الهوائية » .

ثم استطرد ايدن يقول ما معناه : ليس يكفيننا ان نرفع اصبعه عن رقبتنا ، ولكن يتعين علينا ان نقطع يده » .

وهكذا ، من اللحظة الاولى كان واضحا اننا نتحدث عن عمل عسكري ضد عبد الناصر » .



ولعلنا نستطيع معرفة اتجاهات تفكير انتوني ايدن في ذلك الوقت من نص برقية ارسلها صباح اليوم التالي ، الجمعة ٢٧ يوليو ، الى الرئيس الامريكى وقتها دوايت ايزنهاور ، وقد اوردها ايزنهاور في مذكراته التي اصدرها بعنوان « تفويض بالتغيير » ، وكان نصها كما يلي :

« عزيزي الرئيس

لقد تداولت طويلا مع زملائي خلال الساعات الاخيرة في التطورات التي جرت في مصر باعلان تامين شركة قناة السويس . ونحن متفقون جميعا على اننا لا نستطيع ان نسمح لناصر بان يحكم سيطرته على قناة السويس ، وخصوصا بهذه الطريقة التي اتبعها . واعتقادنا اننا اذا اخذنا الان موقفا حازما ، فاننا سوف نحصل على تأييد كل القوى البحرية . واذا لم نفعل فان نفوذنا ونفوذكم في الشرق الاوسط سوف يجري تدميره نهائيا .

ونحن نتصور انه لا بد لنا في البداية ان نبذل اقصى قدر من الضغط
المحسوس على مصر ، ولكن زملائي جميعا وانا على يقين باننا يجب ان نكون
مستعدين عند اللزوم لاستخدام القوة المسلحة بهدف اعادة ناصر الى وعيه
ونحن على استعداد لذلك من ناحيتنا . وفي هذا الصباح فانني اصدرت توجيهها
الى رؤساء اركان الحرب باعداد خطة عسكرية لتحقيق اهدافنا .

وفي نفس الوقت ، فاننا نحبذ اجراء مشاورات عاجلة بين الحكومة
الامريكية والحكومة الفرنسية وحكومة صاحبة الجلالة ، ونقترح ان يكون ذلك
في لندن ، وان يتم في اسرع وقت ، وكلني ثقة انكم سوف توافقون على ارسال
دالاس ليشارك في هذه المحادثات باسمكم ليكون اي موقف نتفق عليه معبرا
عن الحليقات الغربية الكبرى ،

انتوني



واما ما جرى في اجتماع مجلس الوزراء البريطاني نفسه - بصرف النظر
عن اتجاهات تفكير ايدن - فانه لا حاجة بنا الى استنتاجه ، لان القائم بالاعمال
الامريكي اندرو فوستر سجله في برقية بعث بها الى وزير الخارجية الامريكي
دالاس ، وهناك صورة منها في اوراق دالاس في جامعة برنستون ، ونصها
كما يلي :

« السفارة الامريكية

لندن

٢٧ يوليو ١٩٥٦

الى وزير الخارجية

استدعاني ايدن في الساعة الحادية عشرة مساء ، وبعد دقائق من وصول
انباء القاهرة ، وقد وجدت نفسي لمدة ساعتين احضر اجتماعا طارئاً لمجلس
الوزراء دعني لحضوره ايضا رؤساء اركان الحرب البريطانيين ، الى جانب
السفير الفرنسي ، وذلك لمناقشة اقدام ناصر على تأميم قناة السويس .

ان مجلس الوزراء كان يعتبر الموقف بالغ الخطورة ، وكانت هناك مشاعر
عنيفة تجتاح الاجتماع ، وخصوصا من جانب ايدن الذي كرر اكثر من مرة ان
ناصر يجب ان يفلت من العقاب او يسمح له بأن ينفذ بجله من تبعات
تصرفه .

وفيما يتعلق بالنواحي القانونية ، فقد كان اجماع الآراء خلال مناقشات

المجلس انه ، وان كان ناصر بالتاكيد قد خرق امتياز شركة قناة السويس ، فانه ليس واضحا ان تصرفه في حد ذاته يشكل خرقا لاتفاقية القسطنطينية ١٨٨٨ ، وان كان مثل هذا الخرق سوف يحدث على الاغلب اذا كان من شأن اجراءات التأميم ان تعطل الملاحة في قناة السويس او اعمال الصيانة اللازمة لها .

وكان المجلس على اتفاق بان الالتجاء الى مجلس الامن سوف يواجه مخاطر التعميل الذي يدعو الى اليأس . وبصرف النظر عن وجهات نظر القانون الدولي في الامر فان الحكومات الغربية المعنية بالامر يجب ان تبحث في شأن اجراءات اقتصادية وسياسية وعسكرية ضد مصر بهدف تأكيد سلامة القناة وصيانتها وحدود الرسوم على المرور منها . وقد كان السؤال الذي واجه المجلس بطبيعة الحال هو المدى الذي تستطيع الحكومة الامريكية ان تصل اليه بشأن التأييد والاشترار في موقف حازم تجاه ناصر ، خصوصا بشأن العقوبات الاقتصادية والعمل العسكري ، اذا كان ذلك لازما . ولقد قلت من جانبي ان الولايات المتحدة بالتاكيد تعتبر الموقف بالغ الخطورة ، وانني سوف احاول باقصى قدر ممكن من السرعة ان احصل على المؤشرات الاولية للموقف الامريكي . ولقد تم الاتفاق على ان اقابل ايدن وسلوين لويد في الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم . برجاء ان يكون لدي في هذا الوقت تعليمات من الوزارة بشأن ما استطع ان انقله اليهم .

ومؤقتا فاني اعربت عن رأيي بان الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا يجب ان تواصل مشاوراتها ، كما ان هذه المشاورات يمكن ان تتسع في مرحلة لاحقة لتتضمن حكومات صديقة اخرى ، كأعضاء الكومنولث وكالدول التي تستخدم القناة اكثر من غيرها كالنرويج مثلا . وكان الرأي ان قائمة الدول الموقعة على اتفاقية القسطنطينية قد لا تكون الان ذات نفع كبير في صدد ما يجري بحثه الان . وقد قال لي ايدن انه متحمس لمشاورات عاجلة بين الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا . وبدا لي انه يفكر في اجتماع بين هذه القوى الثلاث على مستوى وزاري ، وانه يرى دعوة هذا الاجتماع بأسرع ما يمكن .

وقد عرضت على مجلس الوزراء البريطاني في حضوري برقية عاجلة من السفير البريطاني في القاهرة يسأل فيها : كيف يرد على شركة قناة السويس ؟ التي طلبت نصيحة قبل قليل بشأن موقفها من قرار التأميم ، خصوصا فيما يتعلق بموظفيها الذين طلبت اليهم السلطات المصرية ان يواصلوا اعمالهم كالعادة او يتعرضوا للعقاب وهل يواصل هؤلاء اعمالهم ؟ وماذا يحدث اذا امتنعوا عن العمل ؟

وكان ايدن يرى بشدة ان حكومة صاحبة الجلالة لا تستطيع ان تنصح

هؤلاء الموظفين بمواصلة العمل في ظل قوانين التأميم ، حتى وان ادى ذلك الى دخولهم السجن ، او حتى اذا ادى ذلك الى توقف الملاحة في القناة . وكان رأي ايدن ان نصيحتهم بمواصلة العمل تعني الازعان لسلطة ناصر والقبول بتشهيره . وقد رؤي تأجيل القرار في هذا الصدد الى اليوم .

وقد قرر مجلس الوزراء ايضا تخويل رؤساء اركان الحرب رفع درجة الانذار بين القوات البريطانية في البحر الابيض ، كذلك اصدر التعليمات لهم باعداد دراسة لاحتمالات التدخل بالقوة المسلحة اذا تبين ان ذلك ضروري ، على ان يتم ذلك بسرعة .

ثم انتقل المجلس بعد ذلك الى دراسة بيان يصدر عن اجتماع مجلس الوزراء في اطار الخطوط العريضة التالية :

« ان القرار الذي اصدرته مصر من جانب واحد بتأميم شركة قناة السويس ، وبدون اخطار سابق ، وخرقا لعقد امتياز الشركة - انما هو قرار يمس حقوق ومصالح امم عديدة . ان حكومة صاحبة الجلالة تجري مشاورات مع عدد من الحكومات المعنية بالامر مباشرة بقصد مواجهة الموقف الخطير الناجم عن الاجراء المصري ، وتأثيراته على عمليات قناة السويس ، وما يتصل بذلك من امور يثيرها هذا العمل التعسفي من جانب مصر ، »

وقد اعرب لي ايدن عن امله القوي في ان تتمكن حكومتا الولايات المتحدة وفرنسا من اصدار تصريحات مشابهة للتصريح البريطاني اليوم . وقد استأذن السفير الفرنسي لمغادرة قاعة الاجتماع ، واتصل تليفونيا بباريس ، وعاد ليقول ان باريس قد وافقت على اصدار تصريح مشابه للتصريح البريطاني .

وبينما كان الاجتماع ينفذ اقترب مني سلوين لويد وقال لي إنه الان يعتاد ان الحل الوحيد هو تأليف « كونسورسيوم دولي » يأخذ قناة السويس ويشرف على تشغيلها ، ويؤكد سيطرته عليها ولو بالقوة المسلحة .

انني ارجوكم الابراق على وجه السرعة بشأن امكانية اصدار تصريح امريكي مماثل للتصريح البريطاني ، وفي نفس الوقت تزويدي بتعليمات مفصلة بشأن ما يمكن ان اقوله لايدن ولويد عن موقف الولايات المتحدة عند اجتماعي بهما اليوم .

القائم بالاعمال ،



كانت الحوادث تجري بسرعة يوم الجمعة ٢٧ يوليو ، وكانت في جريانها

تجيب على اسئلة كثيرة مما كان مطروحا في اجتماع مجلس الوزراء .

● اجتمع رؤساء اركان الحرب البريطانيين في الصباح وبحثوا احتمالات العمل العسكري الفوري ، ثم وجدوا ان اوضاع القوات البريطانية في البحر الابيض لا تسمح لهم بأي عمل عسكري ضد حصر الا بعد فترة لا تقل عن ستة اسابيع ، وكان رأيهم ان اي عملية تستهدف احتلال منطقة قناة السويس لا تفي بالفرض لان المطلوب هو احتلال القاهرة ، والا فليست هناك فائدة من العملية ، لان استمرار «بقاء ناصر في القاهرة» سوف يمكنه من شن حرب تقليدية وشعبية ضد قوات احتلال قناة السويس - وهو نفس الوضع الذي كان قائما قبل الجلاء عن المنطقة باتفاق مصري بريطاني - وفي هذه الحالة فان قوات الاحتلال سوف تجد نفسها مشغولة بحماية نفسها قبل حماية قناة السويس .

وتم اخطار ايدن بقرار رؤساء اركان الحرب في الساعة الواحدة بعد الظهر .

● اتصل ايدن برئيس وزراء فرنسا وجرى بحث مشاركة فرنسا في عملية عسكرية ، وعاد جي موليه يتصل بايدن ليقول له ان القوات الفرنسية غير جاهزة لعملية فورية ، لان الاسطول الفرنسي في البحر الابيض « دخل عمرة الصيف » ، واكبر بوارجه وهي « دوجراس » غير مستعدة ، والبارجة « جورج لبيج » في الحوض الجاف ، والبارجة « روانس » في التصليح ، وليس جاهزا للعمل غير البارجة « جان بار » وهي اضعف هذه البوارج .

ثم اضاف « موليه » ان وزير حربيته بورجيس مانوري يحتاج إلى عدة اسابيع ليكون جاهزا للعمل ، وعلى اي حال فانه « اذا كانت بريطانيا مستعدة ، فان فرنسا تستطيع ان تقدم فرقة المظلات العاشرة بقيادة الجنرال « ماسو » ، المسمى جانب الفرقة الميكانيكية الخفيفة السابعة « كمشاركة رمزية في العملية » .

● اكتشفت الادارات المعنية ان مخزون بريطانيا من البترول يكفيها ستة اسابيع في وقت السلم ، ولكن هذا المخزون لا يكفي لاكثر من بضعة ايام في حالة عمليات عسكرية ، وهكذا فانه من المهم ان يستمر مرور الناقلات المحملة بالبترول في قناة السويس حتى تستطيع القوات البريطانية تكويد مخزون من الوقود يستطيع مواجهة حالة الحرب .

وعلى مضي طلب ايدن الى سلوين لويد ان يخطر السفير البريطاني الذي في القاهرة بان ينصح ادارة شركة قناة السويس بان تتعاون لكي تظل القنصلية مفتوحة لمرور البترول الضروري لعملية عسكرية ضد مصر .

ولما كان ايدن راغبا في اجراءات سريعة يظهر بها غضبه على التصرف

المصري وتلحق اكبر ضرر ممكن بمصر ، فقد قدمت اليه توصيات وافق عليها فوراً بتجميد أرصدة مصر من الجنيه الاسترليني وبتعطيل سفر مدمرة مصرية كانت راسية في ميناء « بورتسماوث » للتصليح .

وبدا ايدن يستعجل اجتماع وزراء خارجية أمريكا وفرنسا وبريطانيا .

ولم يكن دالاس في واشنطن اثناء ذلك كله ، وقرر ايزنهاور ارسال روبرت مورفي مساعد وزير الخارجية الى لندن ليحل محل دالاس ، وكانت تعليماته اليه ان « يحمي القلعة » حتى يتمكن دالاس من اللحاق به اذا كان ذلك ضروريا .

ووصل مورفي الى لندن ليجد طبول الحرب تدق ، وقال له ايدن في اجتماع معه :

« نحن وفرنسا سوف نتكفل بناصر ، وفي نفس الوقت نريدكم ان تتكفلوا انتم » بالدب « (يقصد الاتحاد السوفيتي) » .

وأبرق مورفي الى ايزنهاور بهذه الملاحظة ، وأحس ايزنهاور ان تداعسي الحوادث على هذا النحو قد يقود الى مواجهة مع الاتحاد السوفيتي ، وكتب الى ايدن رسالة مطولة ، أورد عبارات منها في مذكراته ، وكانت هذه العبارات واضحة في الدلالة على اتجاه تفكيره بشأن ردود الفعل المتوقعة من الاتحاد السوفيتي ، فقد جاء فيها ما نصه :

« يجب أولاً وقبل كل شيء ان نظهر ان جميع الوسائل السلمية للضغط على ناصر قد استنفدت . »

ان الموضوع ليس بهذه البساطة ، ويمكن ان يؤدي الى ردود فعل تؤثر على شديونا ، وأنا لا أريد ان أبالغ ، ولكني اؤكد لك ان هذا الامر يمكن ان يتسع ويكبر لدرجة تكون له فيها عواقب بعيدة المدى . »

ثم طلب ايزنهاور الى دالاس ان يسرع بالذهاب الى لندن لان ايدن « قد يقودنا ، جميعاً الى مغبارة قد تؤدي الى مواجهة مع الاتحاد السوفيتي » .

اووصل دالاس الى لندن ، وكانت خطته « استنفاد جميع الوسائل السلمية للضغط على ناصر قبل استخدام القوة المسلحة » .

كان ايدن قد بدأ يقلق من الموقف الأمريكي ، ولكن دالاس في اول اجتماع به طمأنه حين قال له :

« انني لا اختلف معك في أنه لا بد لنا بكل الوسائل الممكنة أن نرغم ناصر على أن يفرغ من معدته كل ما حاول ابتلاعه فيها » .

وتسجل محاضر مجلس الوزراء البريطاني قرارا للمجلس بتاريخ ٢ اغسطس يقول بالنص :

« اتفق المجلس على استمرار الجهود السياسية لاستعادة قيادة السويس ، وذلك لتغطية الفترة اللازمة للاستعداد العسكري الذي يضمن استعادتها بالقوة المسلحة » .



كان ايدن في هذه الفترة في حالة « نشوة » تصور أنها تغطي كل ما كان يعانيه قبلها .

قبلها كانت أحواله غاية في السوء .

كان ونستون تشرشل قد تأخر في تسليم رئاسة الوزراء وزعامة حرب المحافظين له عن اعتقاد جازم لديه بأن « أنتوني » - خليفته الذي طال انتظاره للارث - لا يصلح لمواجهة الاجواء العاصفة التي تعيشها بريطانيا بعد الحرب وبعد ظهور القوة الامريكية والقوة السوفيتية ، وبعد بداية التهاوي في النظام الاستعماري .

ثم تنازل نشرشل اخيرا « لولي العهد » الذي كان قد قارب السبعين .

وكان هناك كثيرون من زعماء الحزب واقطابه يرون في ايدن نفس ما كان يراه تشرشل ، ويروي أنتوني ناتنج وزير الدولة البريطاني للشؤون الخارجية في كتابه « لا نهاية للدرس » أن بعض النواب البريطانيين من أعضاء حزب المحافظين كانوا يقولون أن ايدن « رجل من قش » وأنه « رجل بغير شارب حقيقي » ، وكانت هذه الملاحظات تصل الى ايدن .

وكان ايدن قد تزوج مرة أخرى على كبر ، فقد تزوج بعد الستين من شاببة أقل من الثلاثين وهي « يامبلا تشرشل » ، وكانت من أقارب ونستون تشرشل ، وكان أملها أن يثبت زوجها ايدن أنه ليس أقل صلابة من قريبها تشرشل ، وكان ايدن يعرض من فارق السن بينه وبين زوجته بالتظاهر أمامها ، ويروي بعض وزرائه أنهم كانوا يتجنبون الحديث معه أمامها لأنه في ذلك الوقت لا يرد عليهم بما يقولون ، وإنما يرد لتسمع زوجته .

وضاعف من مشكلة ايدن أنه اصيب بأمراض خطيرة في أمعائه ومعدته، وأجريت له في الولايات المتحدة عمليات جراحية نجا منها بما يشبه المعجزات،

ولكنها تركت اثارها عليه لان نفايات من امعائه كانت تتسرب الى دمه وتحدث له نوبات من العصبية والقلق .

وكان ايدن يشعر بذلك كله وتساوره الوسوس والشكوك أحيانا فيمسا يتعلق بقدرته .

ويقول أنتوني ناتنج :

« حين انفجرت أزمة السويس اكاد أقول أن ايدن وجدها فرصة ليثبتت نفسه أمام كل خصومه والمتشككين في قدرته .

كان يعيش على أقراص « البنزدرين » توقظ أعصابه وتنبها على الآخر .

أخيرا جاءت الفرصة . . . خصوصا وأنها أمام عدو بدا له سهلا .

وكانت أسعد اللحظات لديه حين يجلس في غرفة العمليات في مقسره الرسمي ، ويدخل جنرالات ويخرج جنرالات ، وتفتح خرائط وتقفل خرائط ، وتعرض خطط وتعديل خطط ، .

□

وانتهى اجتماع لندن الثلاثي بين دالاس وزير خارجية أمريكا ، وبين وزير خارجية فرنسا ، وسلوين لويد وزير خارجية بريطانيا ، الى قرار بدعوة مجموعة من الدول البحرية المستفيدة بقناة السويس الى مؤتمر في لندن يبحث تأميم قناة السويس وما لحقه من ضرر بمصالحها وأمنها .

واتذكر تماما ليلة صدر بيان الدول الثلاثة بالدعوة الى مؤتمر القسوى البحرية في لندن . . .

كان جمال عبد الناصر في الاسكندرية ، وكنت في القاهرة ، وطلب السى ان اكون على اتصال مباشر به طول الوقت لاخطره اولا بأول بأخبار لندن ، وكان يعتقد ان وكالات الانباء العالمية سوف تسبق بها كل المصادر الاخرى ما فيها سفارات مصر بالطبع .

وحتى الساعة السادسة بعد الظهر لم يكن بيان المجتمعين الثلاثة في لندن قد أذيع بعد ، وقال لي جمال عبد الناصر على التليفون من الاسكندرية « انه سوف يذهب الى السينما في حفلة ستة السى تسعة مساء ، وأنه بعد السينما سوف يتصل بي » ، واستغربت وسألته « كيف تطاوعه اعصابه على أن يكون في السينما بينما قرار الدول الثلاثة منتظر بين وقت وآخر ؟ وكان رده ببساطة « وماذا تريدني أن أفعل . . . اجلس لاقرض أظافري في انتظار صدور بيانهم ؟ » ،

ثم اضاف « انهم لن يملنوا الحرب علينا في هذا البيان ، وسيتخذون خطوه
سياسية ، ومن الخير ان اسمعها بدون عصبية على ان انتظرها متوترا حتى
تجيء » .

وحين اتصل بي في الساعة التاسعة والنصف كان البيان قد صدر بالدعوة
الى مؤتمر للدول البحرية في لندن ، وقرأت له نص البيان واستعرضت معه
الصورة كاملة كما نقلتها وكالات الانباء من لندن ، بما في ذلك التعليقات
ورود الفعل وتصريحات بعض المجتمعين بعد انتهاء اجتماعهم ، وكان
تعليقه :

« المهم كيف نستطيع الاستفادة من الوقت ٠٠٠ ان احتمال العمل
العسكري ضدنا ما زال قائما ، ولكن فرصته ستقل اسبوعا بعد اسبوع
خصوصا اذا استطعنا تعبئة الدنيا كلها معنا » .

ثم سألني : « هل ما زلت تتصل بمحمود يونس كل ساعة تطمئن إلى
حركة الملاحة في القناة » ؟

وقلت : « الحقيقة أنني أفعل » .

وقال : « اتركه الان لعمله ٠٠٠ أن القناة تسير على نحو مرض يشهد
به الجميع ، ومعركتنا الان لم تعد حركة سير الملاحة في قناة السويس ٠٠٠ وانما
اصبحت الان مرحلة حركة على اتساع العالم كله ٠٠٠ » .

احديث الحادي عشر :

قَرَّعَ عَبْدُ النَّاصِرِ ان يَسَافِرَ إِلَى لَنْدُنِ ...
ثُمَّ غَيَّرَ رَأْيَهُ

لم تتوقف عقارب الساعة في انتظار مؤتمر لندن الذي دعت اليه الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ، والذي تحدد زمانه ومكانه : ١٦ اغسطس - لندن .

كان الاعداد للمؤتمر يجري على قدم وساق ٠٠٠ الدعوات توجه الى ٢٤ دولة بينها مصر ٠٠٠ خبراء وزارة الخارجية البريطانية ، بالتشاور مع باريس وواشنطن ، يضعون مشروع لائحة بالاجراءات ٠٠٠ الاتصالات مع عواصم الدول البحرية متصلة لتوجيه المؤتمر في الاتجاه المطلوب منه ٠٠٠ الضغوط تمارس على الدول التي يتحسب اصحاب الدعوة مقدما لاحتمال تعاطفهم مع مصر .

ولكن المؤتمر لم يكن الساحة الوحيدة التي تنتصب فيها ساعة الحوادث الجارية مع الدقائق والثواني ، وانما كانت هناك ساحات اخرى وساعات اخرى ، وايقاع مع الدقائق والثواني لا يكف عن الدق .



كان مجلس الوزراء البريطاني - كما رأينا - قد اتخذ قرارا سريا نقله الاستاذ هيو توماس فيما بعد عن محاضر هذا المجلس بتاريخ ٢ اغسطس يقول « بمواصلة العمل السياسي الى الوقت الذي يتم فيه الاستعداد العسكري » وفي نفس هذا اليوم ، وبعد جلسة مجلس الوزراء ، طلب ايدن رؤساء هيئة اركان الحرب واصدر اليهم توجيه العمليات العسكرية ضد مصر محددًا بهدفين :

● السيطرة على قناة السويس .

● واسقاط نظام ناصر .

وفي هذا الاجتماع بين ايدن وبين رؤساء الاركان وقع الاختيار على الجنرال « ستوكويل » ليتولى قيادة الحملة والاعداد لها ، واختير الاسم الرمزي للعملية، وهو « موسكتيرز » اي « الفرسان » !

وكان لا بد من تعبئة سياسية للشعب البريطاني بعد ان طلب رؤساء الاركان ان يسمح لهم باستدعاء بعض طبقات الاحتياطي . وكانت قطاعات كبيرة مسن الشعب البريطاني معبأة بالفعل ضد مصر وناصر والعرب ، ولكن ايدن رأى ان يضيف نبرة جديدة الى التعبئة عن طريق تشبيه جما عبد الناصر بادولف هتلر ، والمقارنة بين كتاب عبد الناصر « فلسفة الثورة » ، وكتاب هتلر « كفاحي » ، ثم قامت اشباح ميونيخ تذكر الشعب البريطاني وشعوب أوروبا الغربية كلها بان التساهل مع جمال عبد الناصر سوف يجر عواقب وخيمة يمثل ما جره

التساهل امام هتلر حينما استسلم تشمبرلين امامه في ميونيخ . وفي ضباب هذه الاثارة بدأ استدعاء بعض طبقات الاحتياطي في بريطانيا ، وبدأت الصحف البريطانية تنشر صوراً للجنود بمعداتهم على سفن النقل في الطريق الى البحر الابيض .

.
.

وكان جمال عبد الناصر في القاهرة يرى ويسمع ويتابع كان يريد ان يكسب وقتاً بالعمل السياسي ، وكان يعتقد ان نجاح العمل السياسي سوف يساعد على ابطال مفعول كل تربص عسكري بمصر ، ولكن ذلك كله لا ينبغي ان يدفعه الى الاسترخاء العسكري كان عليه ان يحاول دفع المحذور قدر ما يستطيع ، ولكن كان عليه في نفس الوقت ان يكون مستعداً لملاقاة المحذور اذا وقع !

وهكذا في يوم ٨ اغسطس دعا جمال عبد الناصر الى اجتماع عسكري نوقشت فيه كل الاحتمالات ، وكان رأيه ان القوات المسلحة والمقاومة الشعبية يجب ان تكون مستعدة للحرب باعتبارها امراً واقعاً واذا امكن بالعمل السياسي تفادي القتال فذلك خير ، واذا تعذر تفادي القتال نكون مستعدين .

وفي هذا الاجتماع تم اتخاذ قرار بالغ الاهمية ، وهو القرار بسحب القوات المصرية من سيناء ، لان جبهة القتال المحتمل قد تغيرت .

كان جمال عبد الناصر لا يزال على اعتقاده بان بريطانيا لا يمكن ان تسمح لنفسها بالاشتراك في معركة عسكرية جنباً الى جنب مع اسرائيل ، لان ذلك مسن شأنه ان يدمر النفوذ البريطاني والمصالح البريطانية في العالم العربي .

كان الهجوم المنتظر في تقديره هجوماً بريطانياً - فرنسياً قادماً عبر البحر الابيض من قبرص ومالطة ، متجهاً الى الاسكندرية او بور سعيد ، وبور سعيد هي الأرجح لانها منطقة « موضوع الصراع » وهو قناة السويس . وكانت خشيقته انه اذا جاء الهجوم على بور سعيد وقوات الجيش المصري موزعة ما بين سيناء ووادي النيل - فان القوات البريطانية الفرنسية الغازية قد تتمكن من قطع الاتصال ما بين قوات سيناء وقوات الوادي ، وتصيب قوات سيناء معزولة تماماً عن قواعدما ويتعذر عليها الاشتراك في المعركة ، ثم انها تصبح هدفاً سهلاً للتطويق والابادة .

هكذا عادت من سيناء فرقتان من فرق الجيش المصري ، احدهما فرقة مدرعة ، وبقيت في سيناء سبع كتائب من المشاة فقطست منها موزعة على مثلث ابو عجيلة ورفح والعريش والسابعة في شرم الشيخ .

واحس ايدن في تلك الفترة ان هناك قلقا في واشنطن ، وان دالاس يعتبر ان قعقة السلاح التي تسمع في لندن وباريس تفسد جو العمل السياسي وتكشف اهدافه باعتباره مجرد غطاء للاستعداد العسكري ، وهو امر يمكن ان يستغله « الدب » - الاتحاد السوفيتي - لكي يكشف المناورة الغربية واهدافها ، كذلك كان دالاس - فيما سمعه ايدن - يرى ان تشبيه « ناصر » « بهتلر » هو تحميل للامور فوق ما تحتمل ، وان ايدن حول الصراع كله الى معركة بينه وبين « ناصر » !

وكان ايدن لا يثق بدالاس ، بل كان يكرهه ، وكان الشعور بين الاثنين متبادلا ، فان دالاس كان لا يثق في ايدن بل وكان يكرهه ، ويروي الجنرال ايزنهاور في مذكراته ان ايدن حينما التقى به في الولايات المتحدة بعد نجاحه في الانتخابات نصحه ان لا يختار دالاس وزيرا لخارجيته ، وقال له انه يتمنى لو ان الرئيس الامريكى اختار لموزارة الخارجية رجلا يستطيع ايدن ان يتعاون معه ، ولم يستمع ايزنهاور لهذه النصيحة ، واستقر رايه على دالاس .

ورأى ايدن في تلك الظروف ان لا يترك ايزنهاور لتأثيرات دالاس ، وهكذا كتب اليه في ٥ اغسطس خطابا شخصيا تركه ايزنهاور ضمن مجموعة اوراقه في جيتسبرج ، وكان نص الخطاب كما يلي :

« عزيزي الرئيس

دعني اقول لك انني لا اعتقد ان هناك خلافا بيننا على اهدافنا المبدئية ، وهي ان نسترد ما احذه ناصر ، وان ننشئ نظاما دوليا للقناة ، ولكن هذا ليس كل شيء

ان ناصر قد اقدم على سلوك طريق مألوف لدينا بما يبطري عليه من نذر السوء .

انني لم اعتقد اطلاقا ان ناصر هو هتلر آخر ، وربما كان الشبه بينه وبين موسوليني اقرب . وليس هناك بيننا نحن الاثنين من يستطيع ان ينسى ما تكلفناه من تضحيات وكنوز حتى استطعنا ان نتخلص منه .

ان ابعاد ناصر واقامة نظام في مصر اقل عداء للغرب يجب ان يكون ضمن اهدافنا ، ويجب ان نأمل - كما قلت في رسالتك - ان يستطيع المؤتمر القادم توجيه ضغط على ناصر حتى نحقق في المستقبل ضمانات كافية لحسن ادارة عمليات القناة . واذا حدث ذلك فاننا جميعا سوف نتنفس الصعداء ، ولن يكون هناك داع لاستعمال القوة ، وفوق ذلك فلو اننا استطعنا ارغام ناصر على ان يفرغ من معدته ما حاول ابتلاعه فيها ، فاني اشك في مقدرته على البقاء في مكانه طويلا ، لان موقفه الداخلي سوف ينهار ، وبذلك نكون قد حققنا هدفنا الثانسي

بعد السيطرة على القناة •

ان شعبنا هنا ليس متحمسا فوق العادة لاستعمال القوة المسلحة ، ولكنه مصمم بحزم على ان ناصر لن يفلت من ايدينا هذه المرة ، لان شعبنا مقتنع بان افلات ناصر يعني اننا سنكون تحت رحمته ٠٠٠ هذا هو اقتناع الشعب البريطاني ، وهو اقتناعي انا الاخر •

انتونسي »

وتشير اوراق ايزنهاور الى انه لم يكن هناك خلاف على ضرورة اسقاط ناصر ، وضمن هذه الاوراق تقرير من الاميرال آرل بيرك رئيس هيئة اركان حرب الاسطول الامريكي يتحمس فيه للعملية البريطانية الفرنسية ضد مصر ، وكذلك تقرير يتضمن ملاحظات من دالاس يوافق فيها على هدف اسقاط ناصر ، ولكن بغير الوسائل العسكرية وبغير التعاون السافر مع قوى استعمارية قديمة •

ويبدو ان ايزنهاور كان اقرب الى رأي دالاس ، فقد كتب الى ايدن ردا يقول فيه :

« ان وجهة نظري في التعليق على رسالتك كما يلي :

من الخطأ ان نترك شعوبنا وشعوب العالم الحر لكي يراودها الشك في اننا نحاول استخدام ازمة القناة كعذر لاسقاط ناصر • »

ولم يكن ايدن على استعداد لان يسمع او يرى ، فقد كانت الاشارات امامه واضحة ، لخصها جوليان ايمني رئيس مجموعة النواب المحافظين في مجلس العموم في عبارة واحدة قال فيها « اما ان يذهب ناصر ، او يذهب ايدن » •

□

والغريب انه في هذا الوقت كان جمال عبد الناصر يفكر جديا في ان تقبل مصر الدعوة الى مؤتمر لندن ، وان يذهب هو شخصيا الى العاصمة البريطانية على رأس وفد مصر •

كانت الدعوة قد وجهت الى مصر ، كما وجهت الى ٢٤ دولة غيرها مهمة بأمور القناة ومستقبلها • وكان توجيه الدعوة الى مصر مجرد ذر للرماد في العيون كما يقولون ، فلم يكن احد من الذين وجهوها يتصور ان مصر سوف تقبلها •

وكان تفكير جمال عبد الناصر : « ولم لا ؟ لماذا لا نحضر ؟ ولماذا لا نكشف ؟ ولماذا لا نشرح وجهة نظرنا ؟ وما الذي سنخسره لو حضرنا ؟! »

وفي صباح يوم ٨ اغسطس استيقظ عبد الناصر مبكرا وجلس امام مكتبه ، وراح يكتب بنفسه وبخط يده مذكرة يوضح فيها الاسباب التي تدعوه الى تقرير اشتراك مصر في مؤتمر لندن .

كان يكتب على بلوك نوت من مطبوعات مجلس الوزراء معنون كالتالي :
« رئاسة مجلس الوزراء
مكتب الرئيس »

وتحت ذلك ، وفي وسط الصفحة كتب جمال عبد الناصر بخط يده عبارة :
« مذكرة من الحكومة المصرية » ، ووضع تحتها خطا ، ثم بدأ يكتب واسترسل في الكتابة حتى وصل ما كتبه الى ثلاث عشرة صفحة بالضبط .
بدأها على النحو التالي :

« في السادس والعشرين من يوليو اعلنت الحكومة المصرية تأميم شركة قناة السويس ، وقد صدر قانون بذلك نص على تعويض المساهمين . وقد تسلمت ادارة القناة من هذا التاريخ هيئة مستقلة بميزانية مستقلة وكل السلطات بدون اتباع القواعد الحكومية .

وفي الثالث من اغسطس سلمت سفارة بريطانيا في القاهرة الى وزارة الخارجية مذكرة من الحكومة البريطانية تتضمن نص البيان الصادر من حكومات أمريكا وبريطانيا وفرنسا حول تأميم مصر لشركة قناة السويس . وبالإضافة الى هذا البيان قدمت دعوة الى الحكومة المصرية لحضور المؤتمر المنعقد في لندن في ١٦ اغسطس ١٩٥٦ (لبحث الخطوات التي يمكن اتخاذها لضمان استمرار ادارة القناة وفقا لما هو وارد من ضمانات في اتفاقية ١٨٨٨) .

ان الحكومة المصرية لا توافق على ما جاء في البيان الثلاثي خاصة بشركة قناة السويس ، فان هذا البيان حاول بكل الوسائل ان يعطي لشركة قناة السويس صفة غير صفتها الحقيقية حتى يخلق الاسباب التي تمكن من التدخل في شئون من صميم السيادة المصرية .

ومضى جمال عبد الناصر في المذكرة المكتوبة بخط يده يناقش بيان الدول الثلاثة جملة جملة ، ويقارن مع نصوص اتفاقية القسطنطينية واستغرق في ذلك ثماني صفحات من مذكرته يقطع كل سطر منها باستيعابه الكامل لقضيته من كل نواحيها السياسية والقانونية .

وفي ذيل الصفحة الثامنة من مذكرته وصل جمال عبد الناصر الى اقتراح الدول الثلاث باقامة ادارة دولية للقناة ، وكتب يقول :

« ان الحكومة المصرية تعتبر اقتراح اقامة لجنة دولية ليس الا كلمة مخففة

لاستعمار دولي ، »

وتعرض جمال عبد الناصر بعد ذلك للمظاهرات بالقوة المسلحة ضد مصر ،
وباجراءات الحصار الاقتصادي ، ثم وصل في صفحة ١١ من مذكرته الى موضوع
الدعوة الى حضور مؤتمر لندن ، وكتب بخطه يقول بالحرف :

« اما عن الدعوة نفسها ، فان الحكومة المصرية تتعجب اشد العجب لان
بريطانيا قررت الدعوة لمؤتمر يبحث الامور الخاصة بقناة السويس التي هي جزء
لا يتجزأ من مصر ، بدون اي تشاور مع مصر صاحبة الشأن ، كما ان حكومة
المملكة المتحدة قررت الدول التي تحضر هذا المؤتمر ، وهي ٢٤ دولة ، علما بان
الدول التي استخدمت القناة سنة ١٩٥٥ هي ٤٥ دولة .

ونظرا لما تقدم ، فان الحكومة المصرية ترى ان المؤتمر المشار اليه والظروف
التي يجتمع فيها لا يمكن ان يعتبر باي حال من الاحوال اجتماعا دوليا يصدر
قرارات ، كما ان هذا المؤتمر ليس من حقه باي حال من الاحوال ان يبحث في اي
امر يتعلق بسيادة مصر او يمس سيادة جزء من اراضيها .

ولما كانت مصر تؤمن بالعمل بما في وسعها للمحافظة على السلام العالمي ،
وبميثاق الامم المتحدة ، وقرارات مؤتمر باندونج التي تدعو الى حل المشاكل
الدولية بالمسائل (هذا هو نص الكلمة ، واطلنه يقصد الوسائل) السلمية ، فانها
قررت الاشتراك في هذا المؤتمر ، علما بان هذا الاشتراك لا يلزم مصر باي حال
من الاحوال باي قيود او التزامات ناشئة عن البيان الثلاثي بتاريخ ٢ اغسطس ،
او الالتزام باي قرار يضر بكرامة مصر او يتعرض لسيادتها او حقوقها ، .

□

واتذكر انني ذهبت مساء يوم ٨ اغسطس لتقابلة جمال عبد الناصر ، وكان
معه حين دخلت عليه مدير مكتبه في ذلك الوقت السيد علي صبري ، وكان الحديث
بينهما يدور حول المذكرة التي كتبها جمال عبد الناصر بخط يده ، وناولني
الرئيس مذكرته لاقراها وابدي رأيي في موضوعها ، خصوصا فيما يتعلق بقبول
الدعوة الى حضور مؤتمر لندن .

وقرأت المذكرة ، وادعشني قبوله للدعوة ، وادعشني اكثر حين قال :

— انني افكر في الذهاب شخصيا . . .

واستطرد :

— انني لن اذهب الى لندن كمتهم يحاول الدفاع عن نفسه ، ولكنني ساذهب

كوكيل نيابة يوجه الاتهام للاستعمار .

واقترح السيد علي صبري اضافة هذا المعنى الى المذكرة ، وكان ذلك في رايه يعطيها ختاماً قويا ، ووافق عبد الناصر ، وجلس علي صبري على المكتب يضيف بخط يده فقرة تحوي المعنى الذي سمعناه من جمال عبد الناصر .

ومضينا نتحدث عن الاحتمالات وعن ردود الفعل ، وطال حديثنا .
لكن الصورة تغيرت بالكامل في الصباح .

كان مقررا ان يلقي ايدن امام التلفزيون مساء يوم ٨ اغسطس خطابا مرجها الى الشعب البريطاني عن الازمة ، وكان الاسلوب الذي اتبعه ايدن في هذا الخطاب مفاجئا في كلماته وفي اسلوبه وفي المؤثرات « السينمائية » التي استعملها رئيس الوزراء البريطاني لخلق ما يريد من انطباعات على جماهير الشعب البريطاني التي جلست تسمع وترى .

كان المشهد الذي ظهر امام الناس على شاشة التلفزيون كما يلي :

ظهر ايدن جالسا وراء مكتبه ، وبدأ حديثه بعرض عام للازمة من وجهة نظره ، ثم وصل الى القول :

« لقد سئلت كثيرا لماذا لا نثق بالكولونيل ناصر ؟

الرد بسيط ..

انظروا الى سجله .

وفتح ايدن امام الملايين من ابناء الشعب البريطاني الذين يتابعون خطابه ورقة كبيرة ملطخة كلها باللون الاسود .

ثم عاد الى حديثه يقول :

« انظروا الى سجله الاسود .. ان معركتنا ليست مع مصر ، ثم انها ليست اطلاقا مع العالم العربي ، وانما هي مع الكولونيل ناصر .

ان الكولونيل ناصر شن حملة دعائية شديدة ضد بلادنا ، وقد اظهر انه رجل لا يمكن الوثوق له للمحافظة على اي اتفاق ، ولقد نكث الان بوعود بلاده لشركة قناة السويس ، وهذا نموذج نعرفه جيدا ايها الاصدقاء . اننا نعرف ان هذا هو تصرف الحكومات الفاشستية ، ونحن نذكر ذلك ، ونذكر جيدا ، ونعرف كم يكلفنا التسامح مع « الفاشيست » ! .

واتذكر انني يوم ٩ اغسطس ، وبعد ان جاءت نصوص خطاب ايدن بالكامل الى القاهرة ، لقيت جمال عبد الناصر مرة اخرى . وكان خطاب ايدن قد غير صورة الامس كلها ، ولم يعد اشترك مصر في مؤتمر لندن مطروحا ، ولا اصبح ممكنا ذهاب عبد الناصر بنفسه الى هناك .

واتذكر ان جمال عبد الناصر كان مصابا يومها بنوع غريب من الدهشة، وكانت حكاية الورقة الملطخة بالسواد التي عرضها ايدن امام مشاهدي التليفزيون البريطاني على انها سجل عبد الناصر هي الذروة في بواعث الدهشة التي اعترته .

واتذكره وهو يقول :

— هو يكذب على شعبه ، وهذا شأنه ولكن هل ينزل من مستوى سياسي يرأس وزارة دولة كبرى الى مستوى ممثل رخيص يحاول التأثير على الناس بورقة سوداء . . . هل هذا معقول . . . واي نفع من الكلام مع مثل هذا الرجل ! ،



وتحول اتجاه تفكير جمال عبد الناصر من احتمالات مواجهة مؤتمر لندن هناك في لندن ، الى احتمالات مواجهة هذا المؤتمر من القاهرة .

وبدا جمال عبد الناصر يرسم خطته تجاه هذا المؤتمر الذي امتنعت مصر عن حضوره .

كانت خطته كما يلي :

● بدأ يقسم الدول التي ستحضره الى مجموعات طبقا لدرجة قربها من السياسة المصرية في ذلك الوقت ، فوضع الهند والاتحاد السوفيتي في قائمة وحدهما (كلاهما يستطيع تبني وجهة النظر المصرية كاملة) .

● بعد ذلك مجموعة من الدول الصديقة جدا ، كسيلان واندونيسيا (ودول هذه المجموعة يمكن الاعتماد عليها في ادخال تعديلات تكون بمثابة حلول وسط تستطيع مصر ان لا ترفضها) .

● مجموعة من الدول تربطها بمصر علاقات تقليدية ، رغم اذتمامها للمعسكر الغربي او لنفوذ ، مثل اثيوبيا وباكستان واسبانيا (ودول هذه المجموعة يمكن اقناعها بأن تمتنع عن قبول ما يسيء الى مصر) .

وبدأت الاتصالات بهذه المجموعات من الدول على اساس المطلوب منها .

ثم قرر جمال عبد الناصر ارسال السيد علي صبري الى لندن . ومهمته قاصرة على التواجد في السفارة المصرية في العاصمة البريطانية ليكون همزة وصل بين عبد الناصر في القاهرة وبين الوفد الهندي والوفد السوفيتي فسي المؤتمر ، واولهما تقرر ان يرأسه كريشنا مينون ، وثانيهما تقرر ان يرأسه شبيلوف وزير خارجية الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت .

ولم يكن في استطاعة احد ان يرسم سياسته تجاه المؤتمر قبل انعقاده ، فقد كان المؤتمر تجربة جديدة ، ثم ان الحكومة البريطانية حاولت عن طريق لائحة اجراءاته المقترحة ان توجهه في ناحية معينة ، خصوصا وان لائحة الاجراءات سوف تكون اداة في يد رئيس المؤتمر الذي كان من الطبيعي ان يصبح رئيسه هو رئيس الوفد البريطاني ، باعتبار ان بريطانيا هي الدولة المضيفة له . . . اي ان لائحة الاجراءات سوف تكون في يد سلوين لويد .



وبدا المؤتمر ، وكانت هناك معركة حول الاجراءات ، ثم بدأ المؤتمر يناقش صميم الموضوع في جلسات علنية وسرية .

وكان كريشنا مينون وشبيلوف على رأس القيادة في المعركة الدائرة فيه ، وهل تكون نتيجتها مع مصر او ضدها ؟

وكان علي صبري يحتل مكتبا من مكاتب السفارة في شارع « سوث اودلي » .

وكانت البرقيات من لندن الى القاهرة ملء الجو طول الوقت .

ومن القاهرة كانت هناك برقية اساسية واحدة توضح اتجاه مصر وما تطلبه من المؤتمر ، وكان نصها كما يلي :

«من الرئيس

الى علي صبري

من الواضح امامي من خلال مناقشات المؤتمر ان قيادة العملية كلها قد انتقلت من يد ايدن الى يد دالاس الذي يدير المؤتمر كله بخبث وذكاء .

رايي كما يلي :

١ - لا نتوقع بالطبع ان تصدر عن المؤتمر اية قرارات لصالحنا .

٢ - من الواضح ان دالاس يريد ان يخرج من المؤتمر بقرار بادارة دولية

لقناة السويس • ومع اننا لن نعترف بمثل هذا القرار ، الا ان صدوره يواجها بمشكلة ادبية تؤثر على موقفنا •

٣ - على هذا الاساس فلا بد ان نمنع صدور اي قرار يضر بمصالحنا •

٤ - الحل الوحيد في نظري هو ان لا تصدر عن المؤتمر اية قرارات ، ولا بد ان نكتل كل الجهود في هذا السبيل •

بلغ وجهة النظر هذه الى « مينون » و « شبيولوف » ، واكد على اهمية انتهاء المؤتمر بدون قرارات على الاطلاق ، لا معنا ولا ضدنا ، واذا تم ذلك فان المؤتمر يصبح ندوة للكلام اكثر منه مؤتمرا سياسيا •

تحياتي للجميع ، وبالتوفيق •

جمال عبد الناصر



وكانت المناقشات في المؤتمر مستمرة ، ولكن الانقسام في المؤتمر بدا واضحا ، فقد كانت هناك اغلبية واقلية ، واصرت الاقلية على انه اذا صدرت عن الاغلبية قرارات ، فان الاقلية لها الحق ان تختلف معها علنا ، وان تشرح وجهة نظرها ببيان •

وترددت بعض دول الاغلبية ، وبينها ايران واثيوبيا والبرتغال واسبانيا وغيرها ، واصبح المؤتمر مهددا بانفجار من داخله ، وطرح اقتراح وسط :

بدلا من قرارات تصدر عن الاغلبية ، فان هذه الاغلبية تصدر بيانا بوجهة نظرها ••• مجرد بيان ، ثم يتولى وفد خاص عن المؤتمر نقل وجهة نظر الاغلبية - ١٨ دولة - الى جمال عبد الناصر في القاهرة •

ووقع اختيار ايدن على « روبرت منزيس » رئيس وزراء استراليا لكي يرأس وفدا يطير الى القاهرة لشرح وجهة نظر الدول الثماني عشر امام جمال عبد الناصر •

ويقول ايدن في مذكراته « دائرة كاملة » انه سأل منزيس قبل سفره الى القاهرة عما اذا كان يتوقع قبول جمال عبد الناصر لوجهة نظر الدول الثماني عشرة ، وقال له منزيس : « نعم ، بنسبة واحد في المائة ! »

وفي نفس الوقت في القاهرة ، كان جمال عبد الناصر على استعداد لمقابلة منزيس والبعثة التي ترافقه ، واتذكر تعليق جمال عبد الناصر يومها ، وكان نصه تقريبا :

- انني لا امانع في استقبالهم وفي الاستماع اليهم وهم يتكلمون ••• وليس هناك ضرر من الكلام حتى ولو طال الكلام سنينا ••• كلما طال الكلام كان نك في مصلحتنا ! »

الحديث الثاني عشر :

صدام بين عبد الناصر
وبين رئيس وزراء أستراليا

لم يكن جمال عبد الناصر وحده هو الذي يريد « استمرار الكلام » بقبوله
مجىء « بعثة منزييس » الى مصر .

انتوني ايدن هو الآخر كان يريد « استمرار الكلام » ، ولذا اختار منزييس
ليراس بعثة الى مصر تقدم لها وجهة نظر الدول الثماني عشرة التي اتفقت في لندن .
وكان لكل واحد منهما غرض في « استمرار الكلام » يختلف عن غرض الآخر .

● جمال عبد الناصر كان يريد « استمرار الكلام » ، لان مضي الوقت كان
كفيلا - في تقديره او في تصوره - بتحويل الانظار المركزة عن موضوع تأميم
شركة قناة السويس، خصوصا مع انتظام الملاحة في القناة تحت الادارة المصرية،
الامر الذي سيسقط كل حجج اصحاب نظرية التدخل العسكري بالقوة ضد مصر .

● انتوني ايدن كان يريد « استمرار الكلام » ، ولكن الى حد معين ، الى
اللحظة التي يقول له فيها قواده العسكريون ، وبالذات الجنرال ستوكويل ، ان
خطتهم للاستيلاء على منطقة القناة ، وطرد (نص العبارة الواردة في التوجيه
المصادر من ايدن الى ستوكويل) جمال عبد الناصر من مصر .

وفي الوقت الذي جاءت فيه بعثة منزييس الى مصر ، وفي الوقت الذي كان
جمال عبد الناصر يستقبلها فيه ، فان العجلة كانت تدور ولا تكف عن الدوران .

في ذلك الوقت كانت لندن على سبيل المثال مشغولة بالمسائل التالية :

١ - بحث احتمال عملية « كوماندوز » محدودة يكون من اهدافها اغتيال
جمال عبد الناصر (ورات المخابرات البريطانية ان مثل هذه العملية محفوفة
بالصعاب) .

٢ - بحث احتمال تدبير انقلاب ضد جمال عبد الناصر (ورات المخابرات
البريطانية انه ليست هناك في مصر في الوقت الراهن عناصر يمكن دفعها الى مثل
هذا العمل ، او حتى يمكن الاتصال بها لبحث امكانياته) .

٣ - محاولة تدبير انقلاب عسكري في سوريا يتوافق في توقيته مع العمل
العسكري المقرر ضد مصر بمقتضى الخطة « موسكتيرز » - « الفرسان » (كلفت
لجنة الامن في حلف بغداد يبحث هذا الموضوع واجراء الاتصالات اللازمة لوضعه
موضع التنفيذ بالتنسيق مع حكومة العراق) .

٤ - جر الولايات المتحدة بكل الوسائل الى المشاركة في عملية غزو مصر ،
او الى المسكوت عن هذه العملية على الاقل .

٥ - بحث رمود الفعل المحتملة من الاتحاد السوفيتي ، وهل يمكن للولايات
المتحدة ان تتكفل « بالدب » في الوقت الذي تتكفل فيه خطية « موسكويز » ،
- الفرمان - بناصر .

٦ - ما هو رد فعل الشعب المصري ازاء عملية الغزو؟ وكيف يتصرف جمال
عبد الناصر؟ وهل يقاتل بالجيش الى النهاية؟ وهل يلجأ اذا اضطرته الظروف
الى حرب شعبية ، خصوصا في دلثا النيل ، وهي منطقة يصعب على الدبابات
ان تعمل فيها بسهولة بسبب نظام الري المعقد في مصر ، وما يمثله هذا النظام
بترعة ومصارفه من عوائق على حركة الدبابات .

وكانت هناك لعبة متعددة الاطراف تجري بين عواصم الدول الغربية
واصدقائها في المنطقة ، ولم تتضح تفاصيل هذه اللعبة الا فيما بعد حينما تكشف
كل الوثائق .

● كانت اسرائيل تحاول ان تجر فرنسا الى عملية عسكرية .

● وكانت فرنسا تحاول ان تجر بريطانيا من انفها (وكانت بريطانيا لا
تزال مترددة بسبب علاقاتها بالعالم العربي ، وبسبب عدم ثقنها بالموقف
الامريكي) .

● وكانت بريطانيا بدورها تحاول ان تجر الولايات المتحدة وتقنعها ، ولو
حتى باغماض عينها عن عملية « موسكويز » ، وفتحها اذا ما تحرك « الدب »
وكشتر عن انيابسه .

□

وفي هذا الجو وصلت بعثة منزيس الى مصر ، وكانت تضم وزراء خارجية
ايران واثيوبيا والسويد ، ومساعد وزير الخارجية الامريكي ، وكان قد روعي
في اختيار اعضائها ان لا تكون لدولهم مواقف حادة في ازمة قناة السويس ، كما
روعي ايضا تمثيلهم للعالم كله جغرافيا ، فقد كانت ايران تمثل آسيا ، واثيوبيا
تمثل افريقيا ، والسويد تمثل أوروبا ، والولايات المتحدة تمثل نصف الكرة
الغربية كله .

والتقت البعثة لأول مرة بجمال عبد الناصر ظهر يوم ٣ سبتمبر ١٩٥٦ ،
وكان الاجتماع هادئا ، انصب في معظمه على اجراءات المفاوضات ، فقد اقتترح
منزيس - طبقا لمخبر اجتماع الجلسة الاولى بين البعثة وبين جمال عبد الناصر
- « ان تكون الاجراءات على ثلاث مراحل :

في المرحلة الاولى تتقدم البيعة باقتراحاتها - مشروع الدول الثماني عشرة
- وتشرح وجهة نظرها بشأن هذه الاقتراحات .

وفي المرحلة الثانية يدرس الجانب المصري هذه المقترحات ويرد عليها .
وفي المرحلة الثالثة تدور المفاوضات ،

واقترح منزيس « حجب تفاصيل الاجتماعات كلها عن الصحافة ، والاكتفاء
بتصريح عام بعد كل اجتماع يشير الى الروح العامة السائدة فيه ، ويحدد موعد
الجلسة التالية » .

واقترح جمال عبد الناصر اتباع اسلوب مرن في الاجتماعات وعقد جلسة
واحدة مساء كل يوم ، لان « مشاغله الناشئة عن مظاهرات القوة العسكرية
وفرض الحصار الاقتصادي على مصر تقطع جزءا كبيرا من وقته » .

ثم اقام جمال عبد الناصر في مساء ذلك اليوم حفل عشاء للبيعة في قصر
النيل ، وجاء منزيس - رئيس وزراء استراليا ورئيس البيعة - فجلس بجواره
على العشاء وحاول كل جهده ان يكسر الثلج مع جمال عبد الناصر ، فقال له :

- هل تعرف انني مشهور بمقدرتي الفائقة على تقليد أصوات ولهجات بعض
كبار الشخصيات ؟

وقال له جمال عبد الناصر ضاحكا انه « لا يستطيع ان يحكم حتى
يرى ويسمع » .

وسأله منزيس :

من تريد ان اقلدك ؟

وقال له جمال عبد الناصر :

- لا اعرف قائمة من تستطيع تقليدهم ،

وقال منزيس :

- سوف ابدأ بتقليد تشرشل ،

ومال منزيس برأسه قرب اذن جمال عبد الناصر وراح يقلد تشرشل فسي
خطبته المشهورة التي قال فيها للشعب البريطاني وقت الحرب « ليس عندي ما
اقدمه لكم سوى العرق والدم والدموع » .

وكان جمال عبد الناصر مندهشا ، ولكن رئيس وزراء استراليا كان منهمكا
بشدة فيما يفعل . . . وفرغ من تقليد تشرشل ليبدأ بتقليد الكاتب الايرلندي
المشهور « جورج برنارد شو » . . . وفرغ من « جورج برنارد شو » فراح يقلد
« الجنرال سمطس رئيس وزراء جنوب افريقيا وواحد من ابرز الساسة في صراع

• الحرب العالمية الثانية •

وفرغ منزيس ليسال جمال عبد الناصر :

– هل تراني قلدتهم بكفاءة ؟

وقال له جمال عبد الناصر ببساطة :

– مشكلتي انني لم اسمع احدا من هؤلاء ، وهكذا فليس امامي الا ان اقبل شهادتك انت في تقليدك لهم •

وقال منزيس :

– ان ليدي تشرشل سمعني مرة اقلد زوجها ، واقسمت انها لم تجد فرقا بين الاصل والتقليد ! •



وجاءت الجلسة الثانية بين جمال عبد الناصر وبعثة منزيس ، وقدم منزيس مقترحات الدول الثماني عشرة ، واهم ما فيها « عزل قناة السويس عن سيااسة اي دولة بمفردها » ، ثم انشاء ادارة دولية لقناة السويس تحقق هذا الغرض ، وتختص بكل امور القناة بما فيها الاشراف على الملاحة وتحديد الرسوم وتحصيلها الى آخره • ومع مقترحات الدول الثماني عشرة قدم منزيس مذكرة اضافية مسن البعثة تشرح اهدافها ومهمتها في مصر •

وفي هذه الجلسة الثانية اتخذ جمال عبد الناصر موقف المستمع ولم يفتح فمه بكلمة ، غير انه ضحك مرة واحدة حينما راح منزيس يقرأ مشروع الدول الثمانية عشرة ، ثم راح يكر بسرعة بعض النصوص الخاصة بقضايا التعويض والتحكيم والجزاءات ، ثم توقف مرة ليقول كأنه يتحدث الى نفسه :

– الحقيقة أنني لا أفهم ما هو المقصود بكل هذه التفاصيل ••• وهي في رأيي هراء فارغ ! •

وهنا ضحك جمال عبد الناصر •

ثم جاءت الجلسة الثالثة ، وكانت الجلسة الحاسمة •

كان الدور في الكلام على جمال عبد الناصر، فقد استمع في الجلسة السابقة الى عرض وشرح مقترحات الدول الثماني عشرة ، وكان عليه في هذه الجلسة الثالثة ان يعرض وجهة نظر مصر •

ولان هذه الجلسة كانت الجلسة الحاسمة ، كما قلت فاني اوشر ان اتسرك

محضرها الرسمي يتحدث عن وقائعها ٠٠ وهذا هو نص المحضر الرسمي :

الاجتماع الثالث - الساعة السابعة مساء يوم ٤ سبتمبر

الرئيس : اني أريد أن أسأل كيف يمكن فصل القناة عن السياسة ٠٠ كيف يمكن الفصل بين السياسة وجزء من أرض مصر؟ وهل لم يكن مؤتمر لندن خطوة سياسية خاصة بالقناة؟ وهذه التحركات العسكرية ، والمعقوبات الاقتصادية ، ليست اجراءات سياسية؟ ٠٠ حتى وجودكم هنا ٠٠ هذه اللجنة ، ليس هذا خلطا للعناة بالسياسة؟

وتتحدثون عن التعاون الدولي ، والثقة الدولية .

اما التعاون الدولي ، فنحن نرحب به ، ولكننا لا نقبل السيطرة الدولية التي نعتبرها استعمارا مشتركا .

واما عن الثقة ، فانها يجب ان تأتي من الجهتين ، فبعض الدول تدعي انها لا تثق بمصر ولا بجمال عبد الناصر ٠٠٠ وانا بدوري اقول انني لا اثق في هذه الدول ولا في اللجنة المقترحة لادارة قناة السويس . اذن الثقة يجب ان تتوفر في الطرفين .

وفي بداية مقترحاتكم تذكرون ان هناك حالة خطيرة ، فما هي هذه الحالة ؟ وما هو التغيير الذي حدث ؟

ما حدث هو ان الحكومة المصرية سحبت امتياز شركة قناة السويس، وتولت هي ادارة القناة ، وهذا كان سيتم سنة ١٩٦٨ ، وكل ما في الامر ان التاريخ قد قدم ، فهل لو استلمت الحكومة القناة في نهاية الامتياز كانت ستوجد حالسة خطيرة؟ ثم من الذي خلق الحالة الخطيرة؟ هل هي مصر؟ ام الدول التي حركت قواتها وخلقوا جووا من التوتر ، واتخذت اجراءات اقتصادية ضد مصر؟

ثم في الفقرة التالية تذكرون انكم تريدون الوصول الى حل سلمي يتفق مع مبادئ الامم المتحدة ٠٠٠ فهل من مبادئ الامم المتحدة التهديد بالقوة؟

ثم تقولون انكم لا تريدون معالجة الموضوع بروح عدائية ، فهل الموجود الان جو ودي مع هذه التحركات العسكرية والمعقوبات الاقتصادية؟

ثم بعد ذلك تذكرون انه يجب الوصول الى حل يكفل سيادة مصر ، ويتضمن تعويضا عادلا لاستعمال القناة ٠٠ فما هي السيادة؟

بالنسبة لنا فان السيادة تعني ارادة مستقلة تمام الاستقلال ، قادرة على

الدفاع عن نفسها ضد اي فرض من الخارج .

ثم تتحدثون عن اتفاق يتم بالمفاوضات الحرة ، فهل الجو الموجود الان يمكن ان يوصف بأنه جو يساعد على المفاوضات الحرة ؟ ام ان التهديد بالقوة والمقاطعة الاقتصادية هو عبارة عن ضغط لفرض رأي معين على مصر ؟ وهل هذا يتمشى مع السيادة ؟

ثم تذكرون ان في مقدمة اتفاقية ١٨٨٨ ان الفرض منها هو وضع نظام محدد يكفل حرية استعمال القناة لمرور سفن جميع الدول في حالة السلم او الحرب والاحظ انكم اقتبستم فقرة من هذه المقدمة وتركتم الباقي ، اذ ان بقية معاهدة ١٨٨٨ هي التي تضمنت هذا النظام ، وقد اعلنت مصر احترامها لهذه المعاهدة .

وقد اثرت خلال المؤتمر في لندن نقط اخرى ، فقد ادعت بعض الدول ان مصر خرقت اتفاقيات دولية ، فما هي هذه الاتفاقية التي خرقتها مصر ؟

ان الاتفاقية الوحيدة التي وقعتها مصر خاصة بقناة السويس هي اتفاقية ١٨٨٨ ، وقد احترمتها واكدت انها لن تخرقها والملاحه مستمرة اربعين يوما منذ تامين قناة السويس ، رغم محاولات فرنسا لتعطيلها .

ونذكرتم انه يجب وجود ترتيبات تنظيمية للتعاون بين مصر وبين السدول المهمة بالقناة ، فهل يمكن ان تكون هناك ادارة دولية تخدم الغرض الذي اوردتم الوصول اليه ، وهو حرية الملاحة والتعاون مع مصر ، خصوصا ان الشعب المصري - وانا - سوف ننظر الى هذه الادارة الدولية على انها استعمار مشترك؟

هل هذه الادارة الدولية ستحل المشاكل ، ام انها ستخلق المشاكل ، وتكون بداية سلسلة متاعب لن تخدم احد الطرفين ولن تكفل حرية الملاحة ؟ ولي ان اتساءل كيف يمكن ان تتعاون هذه الادارة الدولية مع الشعب المصري السذي يعيش ويعمل على ضفاف القناة ، والذي سينظر الى هذه الادارة الدولية وكأنها استولت على شيء يملكه ؟ وكيف تتعاون هذه الادارة الدولية مع العمسال في ظل وضع سيفسر على انه سيطرة اجنبية ؟

ثم من الذي كان مسؤولا عن حرية الملاحة من يوم انشاء القناة ؟ ان الحكومة المصرية وحدها كانت المسئولة عن حرية الملاحة اما هيئة التحكيم والجزاءات على الطرف المخالف ، وغير ذلك مما تحدثتم عنه ، فلن اتكلم فيه الان ، لانه من قبيل التفاصيل .

اخلص من ذلك الى نقطتين هامتين : الاولى ، فصل القناة عن السياسة ، وهذا لا يمكن تحقيقه الا اذا فصلت القناة عن مصر واذا كانت هذه النقطة تشغل بالكم ، فلماذا تشغل بالكم الان ؟ ولماذا لم تثر في الماضي ؟

هل تأميم شركة قناة السويس غير من الوضع شيئاً حتى تبحث هذه النقطة
الآن ؟

ان القناة تمر في ارض مصر ، وملك لها ، ولن يمكن فصلها عن السياسة
المصرية الا اذا اعتبرت ارضا حراما واجلي عنها السكان المصريون .
فهل هذا ممكن ؟

الثانية ، وهي الادارة الدولية ، فانا اعتقد ان هذه الادارة لن تخدم اي
غرض ، بل ستعقد المشكلة ، وستكون بداية المشاكل ، لان كل مصري سوف يعمل
على التخلص من هذه الادارة الدولية التي يعتبرها استولت على شيء يملكه ،
وبذلك نكون قد ادخلنا القناة في صميم معارك السياسة بدلا من فصلها عن
السياسة .

مفزييس : اريد ان ادرس هذه النقط كلها ، ولكن قبل ان ينقض الاجتماع
احب ان اوضح نقطتين :

١ - اننا لم نأت لغرض فرض اي سيطرة ، واعتقد ان اللجنة لم تكن لتتقترح
في هذا الغرض ، وانما كل غرضنا من الحضور هو ايجاد حل يرضي الطرفين
ويزيل التوتر الدولي القائم .

٢ - اما عن فصل القناة عن السياسة ، فالغرض من هذا اريد ان اوضحه ،
وهو تشكيل هيئة تمثل افرادا غير سياسيين تطمئن مستعملي القناة إلى ان
المقرارات السياسية لن تؤثر في حرية الملاحة .

الرئيس : اريد ان اوضح من جديد رأيي في موضوع فصل القناة عن
السياسة . ان فصل القناة عن السياسة غير ممكن ، لان القناة في ارض مصر
وخاضعة للسيادة المصرية منذ انشائها ، ولا يمكن ان نفصلها عن سياسة الدولة
الا اذا فصلناها عن سيادة الدولة . وان القناة كانت خاضعة منذ انشائها لحكومة
دولة واحدة هي الدولة المصرية ، فكيف يمكن فصلها الآن ؟ ولماذا اثير هذا
الموضوع الآن ، ولم يثر اثناء وجود شركة قناة السويس ، مع ان القناة لم تكن
خاضعة لسيادة هذه الشركة ؟

مفزييس : ان الغرض هو ازالة التوتر الحادث فعلا ، وان هذا الموضوع
اثير فعلا ، وهذه حقيقة واقعة ، ولذلك يجب ايجاد حل .

الرئيس : ان ايجاد حل رغم ارادة الشعب المصري غير عملي ، ولن يفي
بالغرض الذي نسعى اليه ، وان السؤال الذي سيسأله كل مصري هو :

لماذا اثير هذا الامر الآن ولم يثر في الماضي ؟ ولذلك فان المتاعب والمشاكل

سوف تبدأ فعلا اذا فرض مثل هذا الحل - بادارة بولاية لقناة السويس - على الشعب المصري .

مقرئيس : اذا كنت تعتقد ان هذا الحل سيكون بداية المشاكل ، فانا اعتقد ان عدم الوصول الى اتفاق بشأنه هو الذي سيكون بداية المشاكل .

الرئيس : انا اقول ان فرض الادارة الدولية علينا سيكون بداية المشاكل ، وانت تقول ان رفضنا للادارة الدولية هو الذي سيكون بداية للمشاكل ، ومعنى ذلك ان المشاكل ستقوم في كلتا الحالتين ، وانن فلنواجه المشاكل من الان ، ونحن مستعدون لمواجهتها ، ولا داعي لذكر ان الحل يجب ان يكون على اساس مفاوضات حرة .

اني احس في كلامك نبرة تهديد ، والمفاوضات الحرة معناها انني في حل من ان اقبل مقترحاتكم او ارفضها بما يتمشى مع السيادة .

مقرئيس : ارجو الا تأخذوا كلامي على انه تهديد ، فلم اقصد به اي تهديد ، ولكني كنت اقصد ان نصل الى حل على الاساس المقترح . فاذا كان في نظركم سيكون بداية المشاكل فمن الممكن بما لديكم من نفوذ لدى الشعب المصري ان يقبل هذا الحل لانه يثق بكم .

الرئيس : اني اتحدث كمصري لا كرئيس حكومة ، وحين اعبر عن آرائي اعبر عن آراء اي فرد في مصر كما يشعر بها ذلك الفرد ، وحينما اتكلم اتكلم بصراحة دون لف ، ولا اتخير الكلمات ، وهذه هي طريقتي ، ولذلك اعتقد انني حينما اقول ان هذا الحل لن يقبله الشعب المصري فاني اعني ذلك تماما .

مفتوب ايران : ارجو ان اوضح للرئيس ان ايران باشتراكها في هذه اللجنة لا تقصد ، ولا يمكن ان تقصد ، انها تريد فرض اقتراح على مصر ، وان اي شيء ينتقص من سيادة مصر لا توافق عليه ايران .

مفتوب اثيوبيا : كان الغرض من اشتراكنا في مؤتمر لندن هو تهدئة الحال واستبعاد التهديدات العسكرية ، واشتراكنا كان على اساس واضح اعلنا فيه اعترافنا بحق مصر في السيادة وتأميم القناة . وان اشتراكنا في اللجنة كان لتكملة تحقيق هذا الغرض . وقد اشتركت بنفسي في هذه اللجنة بغرض استطلاع رأيكم الشخصي . وان اي اعتراض من جهنكم على هذه الاقتراحات ، او على جزء منها تعتبرونه انتقاصا من سيادة مصر نحن لا نوافق عليه . وكل ما في الامر اننا نريد التوفيق بين سيادة مصر التي نعترف بها على القناة ، وضمان حرية الملاحة .

الرئيس : وانا لذلك قبلت الاجتماع بالجنة .

مندوب أمريكا : اريد ان اوضح ان أمريكا ليست دولة استعمارية ، وهذه هي سياستها المعلنة منذ مدة ، ولن نقبل الاشتراك في اي خطة استعمارية ، واني متأكد انه لو شعرت الحكومة الأمريكية ان هذا الحل الغرض منه فرض حل معين على مصر لما اشتركت في هذه اللجنة ، وكل ما في الامر اننا نريد حلا سلمياً بالمفاوضة يتمشى مع السيادة المصرية .

مندوب السويد : لسنا دولة استعمارية ، والمقصود من حضوري هو ايجاد حل للتوتر الدولي ، وان الغرض من المقترحات ليس فرض اي شيء على مصر ، وانما الغرض ان اعرف هل هذا الحل يؤدي الى التعاون ؟

الرئيس : ان اقامة ادارة بولية لقناة السويس لا يحقق - في رأيي - الغرض . وانا اعتبر انه سيكون بداية المشاكل .



وهكذا انهارت مهمة بعثة منزيس ، وكان ذلك ما توقعه منزيس نفسه حين قال لايدن « ان نسبة نجاح مهمته في القاهرة لا تزيد - في رأيه - عن واحد في المائة » ، وكان ذلك ما يريده انتوني ايدن الذي لم يكن يريد حتى هذا الواحد في المائة ، ففي هذا الوقت كانت « خطط ستكويل » لعملية « موسكتيرز » - الفرسان - قد اكتملت واستقر الرأي على توجيه الضربة في اتجاه بور سعيد .

ووصل منزيس الى لندن عائداً من القاهرة ، واعلن في مؤتمر صحفي يوم ٩ سبتمبر فشل مهمته ، وكان واضحاً ان القوة المسلحة هي الخطوة التالية . واحس الاتحاد السوفيتي بما يجري ، وكتب بولجانين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي خطابين متشابهين الى كل من انتوني ايدن رئيس وزراء بريطانيا وجي موليه رئيس وزراء فرنسا يحذرهما من عواقب المغامرة العسكرية في السويس .

ولكن ايدن وموليه لم يكونا على استعداد لسماع صوت ينبيه او يحذر من صديق او من عدو .

وكانت الخطوة التالية في التصعيد هي اصدار الامر للمرشدين الاجانب في قناة السويس بان يمتنعوا عن العمل لكي تتعطل القناة ، ولكن مصر كانت مستعدة لهذا الاحتمال ، ولم تتعطل قناة السويس .

وقررت بريطانيا وفرنسا الذهاب الى مجلس الامن بشكوى ضد مصر . فاذا نجحت الشكوى وتم تدويل القناة كان بها .

وإذا لم تنجح لاي سبب ، خصوصاً مع احتمال استعمال الفيتو السوفيتي

- ضدها ، فان الاساس المعنوي لحل المشكلة بالقوة المسلحة يكون قد تم وضعه .
 - وفي اواخر سبتمبر كانت اللمسات الاخيرة توضع على الخطط العسكرية .
- وفي نفس الوقت فان مجلس الامن في مقر الامم المتحدة في نيويورك تحول
لكي يصبح المسرح الرئيسي الظاهر للصراع امام عيون الدنيا كلها وعلى
مسمع منها !

الحديث الثالث عشر:

برقيات محمود فوزي من نيويورك
الى عبد الناصر في القاهرة

حينما علمت القاهرة يوم ٢٣ سبتمبر ١٩٥٦ ان رئيس مجلس الامن تلقى خطايا بتوقيع المندوبين الدائمين لبريطانيا وفرنسا بطلب عرض مشكلة تأميم قناة السويس على المجلس ، كانت هناك حيرة في تفسير الموقف البريطاني الفرنسي - وأظن ان جمال عبد الناصر كان اميل الى التفاؤل في تفسير ذلك الموقف ، وذلك من تأثير النظرة السائدة لدى العرب عموما بشأن الامم المتحدة .

كان العرب بصفة عامة ، ومن نتيجة تجاربهم مع الامم المتحدة ، يعتقدون ان الامم المتحدة هي ملجأ العاجز عن التصرف باقوة وعلاذه الذي يغطي به موقفه ، فهو هناك يستطيع ان يحارب معاركة بالكلام ٠٠٠ هناك عادة ترتفع درجة الحرارة دون خشية انفجار ، وتزداد الحدة بغير ان تسيل دماء !

ومن هذه النظرة العربية العامة الى الامم المتحدة ، تصور جمال عبد الناصر ان معركته ضد ايدن وموليه بقرب نهايتها ، وان زهاب بريطانيا وفرنسا بالشكوى ضد مصر الى مجلس الامن معناه انه لم يبق لدى لندن وباريس ما تفعلانه ضد القاهرة غير تسجيل موقف في الامم المتحدة .

وكان ذلك خطأ ، كما اثبتت الظروف فيما بعد .

وطلب جمال عبد الناصر الى الدكتور محمود فوزي ان يطير الى نيويورك ليقود معركة مصر في مجلس الامن ، وهو يتصور على اي حال انها المعركة الحاسمة والنهائية في العاصفة السياسية التي ثارت في وجهه بعد قراره تأميم قناة السويس .

ولم يكن لدى جمال عبد الناصر - باي معيار - « جنرال » افضل ولا اقدر من محمود فوزي لقيادة هذه المعركة الحاسمة والنهائية (كما كان تصور عبد الناصر) .

□

كانت بريطانيا وفرنسا قد طلبتا انعقاد مجلس الامن يوم ٢٦ سبتمبر للنظر « في الموقف الذي صنعه التصرف الانفرادي من جانب الحكومة المصرية ، والذي انتهت بمقتضاه العمل الدولي لقناة السويس ، وهو النظام الذي اكدته معاهدة القسطنطينية سنة ١٨٨٨ » .

وبصرف النظر عن المغالطات التاريخية والسياسية في هذا المطلب البريطاني

الفرنسي ، فان الدولتين كانتا تريدان بصفة أكيدة « اقامة ادارة دولية لقناة السويس تمثل المنتفعين بها » ، وكان هذا ما تعارضه مصر بكل الوسائل .

وكان طلب جمال عبد الناصر من الدكتور محمود فوزي قبل سفره ان يتحرك سياسيا كما يرى مناسبا ، على شرط واحد هو ان لا تكون هناك ادارة دولية لقناة السويس ، وانه اذا اصر الغرب على اقامة هيئة للمنتفعين بقناة السويس فلتكن هذه الهيئة استشارية تبدي آراءها لهيئة قناة السويس المصرية بطريقة لا تقيد ولا تلزم .

وسافر الدكتور محمود فوزي الى نيويورك ، واتذكر انني لحقت به بعد ايام قليلة اتابع عرض قضية قناة السويس على مجلس الامن ، واعيش ايامي وليالي كلها لاكثر من اسبوعين في اروقة وكواليس وقاعات الامم المتحدة .

وسوف اجمل ملاحظاتي عن تلك الفترة ، ثم اترك المجال لرسائل محمود فوزي من الامم المتحدة الى جمال عبد الناصر في القاهرة يخبره اولا بأول بنتائج اتصالاته ، ويبقيه داخل الصورة بشأن ما يجري كله .

مجل ملاحظاتي كما يلي :

١ - استطاع محمود فوزي ان ينشئ علاقة وثيقة بينه وبين داج همرشولد السكرتير العام للامم المتحدة ، وكان الاثنان يتبادلان الحديث بالاسم الاول : « داج » و « محمود » - وكان لذلك اثره الكبير على موقف همرشولد . ولست اقول ان همرشولد تحيز بسبب صداقته لفوزي ، ولكني اقول ان الصداقة بين الاثنين جعلت التفاهم بينهما قريبا ووثيقا .

٢ - كان بين الاثنين - محمود فوزي وداج همرشولد - من ناحية ، وكريشنا مينون وزير خارجية الهند ورئيس وفدها - من ناحية اخرى - سوء ظن متبادل ، ولم يكن ذلك انسب وضع لظروف عرض القضية ، فقد كانت الهند - الى جانب الاتحاد السوفيتي - اقرب نصير الى وجهة النظر المصرية ، ولكن فوزي وهمرشولد كانا يحسان ان كريشنا مينون يتصرف بطريقة مسرحية ، وان معظم جهده ينصرف الى البقاء دائما في دائرة الضوء ، بصرف النظر عما اذا كان ذلك لازما او غير لازم نافعا او ضارا ، وكان مينون يبادل الاثنين سوء ظن بسوء ظن ، واتذكر كريشنا مينون وهو يقول لي ذات مرة في نيويورك :

- داج ومحمود ماذا يفعلان ؟ ومن هما ؟ ان داج ليس الا « محمود » سويدي ، ثم ان محمود ليس الا « داج » مصري !! «

٢ - كان محمود فوزي متالقا حتى في المناقشات الجانبية ، واتذكر مرة

قبل بدء احدى جلسات مجلس الامن ان سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا
مر بنا ونحن نقف على باب مجلس الامن من حول الدكتور فوزي ، وتوقف معه
لحظة قبل بدء الجلسة ، ثم خطر له ان يقول بحدة :

– لو انكم قبلتم هيئة المنتفعين بقناة السويس ، وقبلتم ادارتها للقناة ، لكنتم
وفرتم على انفسكم وعلينا هذا العناء في الامم المتحدة ،
وقال فوزي بهدوء :

– انني لا اعرف ما هي هيئة المنتفعين هذه التي تتحدث عنها ٠٠٠ انها شيء
لم ير الحياة بعد ، ولم يولد ،
وقال سلوين لويد ، وقد ازدادت حدته :

– كيف تقول لي ذلك وانت تعرف انه شيء ولد ٠٠٠ ولد فعلا ،
ورد فوزي بهدوء :

– ولد ٠٠٩ ولد فعلا ٠٠٩ لم أكن اعرف ٠٠٠ ومع ذلك ما دامت الولادة قد
تمت ، والمولود موجود ٠٠٠ فهل تستطيع ان اسالك هل هو « ولد او بنت » !

٤ – رغم ان العمل الدبلوماسي كان يملا الساحة كلها ، فان الاشارات
الى احتمال عمل عسكري كانت مرئية في الكواليس ، واتذكر ان « هاري كيرن »
احد رؤساء تحرير مجلة « نيوزويك » الامريكية قال لي وقتها « ان بريطانيا
وفرنسا مصممتان على القيام بمغامرة عسكرية ، وان الاختيار قد وقع على
الجنرال البريطاني « كيتلي » ليكون القائد العام للحملة » .

٥ – كان موقف الولايات المتحدة الامريكية في مناقشات مجلس الامن باعثا
على الحيرة ، فالولايات المتحدة كانت تتبنى مواقف بريطانيا وفرنسا المعادية
لمصر ولجمال عبد الناصر ، ولكنها كانت تحاول افراغ الموقف من احتمال
استعمال القوة المسلحة ، لان ذلك قد يؤدي الى تصادم بينها وبين الاتحاد
السوفيتي ، ثم انه كان يسيء اليها عربيا ودوليا ان تؤيد عملية عسكرية يحركها
منطق القرن التاسع عشر ، ويحكمها اسلوب « دبلوماسية مدافع البوارج » .

اي ان الخلاف البادي بين موقف حلفاء الغرب الثلاثة الكبار هو خلاف
على الوسائل وليس على الغايات .

٦ – انتهت الجلسات العلنية والسرية في مجلس الامن بان اقر المجلس
مجموعة مبادئ – ستة مبادئ – عامة في مقدمة مشروع قرار ، و اعترض
السوفيت على ملحق طويل وراء المقدمة حاولت الدول الغربية ان تضمنه مشروع

البول الثماني عشرة الذي رفضه جمال عبد الناصر حين حملته اليه بعثة منزيس . واعتبرت هذه النتيجة هزيمة لبريطانيا وفرنسا ، ولكن همرشولد كان يحاول التخفيف من اثر هذه الهزيمة بترتيب جلسات مفاوضات سرية في مكتبه بالامم المتحدة . وقد اتفق على استئناف هذه المفاوضات في جنيف يوم ٢٩ اكتوبر للوصول الى اتفاق نهائي على ضوء مناقشات مجلس الامن .



هذه مجموعة ملاحظات اجمالية ، وانتقل منها الى رسائل محمود فوزي من الامم المتحدة الى جمال عبد الناصر في القاهرة ، واعتقد ان هذه الرسائل من اهم وامتع وثائق السويس ، واكاد اقول انه الى جانب اهميتها التاريخية فانها يجب ان تكون مدرسة لكل سياسي ودبلوماسي - خصوصا من الشباب .

وسوف احاول تقديم نماذج منها لان المجموعة الكاملة لهذه الرسائل من نيويورك في فترة انعقاد مجلس الامن لبحث قضية تأمين قناة السويس تملأ بالضبط ستاً وستين صفحة من حجم الفولسكاب .

وتبدأ رسائل الدكتور محمود فوزي الى جمال عبد الناصر من يوم ٤ اكتوبر ١٩٥٦ ، وهو الموعد الذي بدأ فيه مجلس الامن يجتمع بانتظام لمناقشة المشكلة المطروحة عليه ، ويلاحظ هنا اسلوب فوزي في ترتيب مقابلاته . فبدأ اولاً بمقابلة داج همرشولد السكرتير العام للامم المتحدة ، وكان همرشولد فضلاً عن مركزه كسكرتير عام للامم المتحدة ، في موقع يسمح له بمقابلة كل اطراف المشكلة والاستماع اليهم ، والتحدث معهم ، ثم كان الاجتماع الثاني لفوزي مع بوبوفيتش وزير خارجية يوجوسلافيا للتنسيق الطيبعي بين الدولتين الصديقتين ، ثم كان اجتماعه الثالث مع شبي洛夫 وزير خارجية الاتحاد السوفيتي ، وهو مؤيد قوي لوجهة النظر المصرية ، وفي يده الفيتو الذي يمكن ان يتكفل في النهاية بوضع حد لا تتردى بعده الامور .

كل ذلك في يوم واحد ، هو يوم ٤ اكتوبر .

وتبدأ رسائل فوزي الى جمال عبد الناصر ، ونلاحظ انها كانت كلها رسائل يرقية كتبت باختصار لتكون امام عبد الناصر في القاهرة بعد ساعة واحدة على الاكثر من كتابتها في نيويورك !

.

نيويورك - ٤ اكتوبر
الى السيد الرئيس
من محمود فوزي

قابلت همرشولد - بدأ حديثه بالكلام عن التوتر على الجبهة الاردنية ، وقال

لي انه يجري اتصالات جديدة مع بن جوريون ، وان نتيجتها تدعو للتفاوض ،
وعبر لي همرشولد عن امله في ان لا يعطي العرب فرصة للعناصر الاسرائيلية
المتطرفة لكي تقوم باعتداءات مسلحة ضدهم - انتقلنا الى مسألة القناة ، وابدى
ما يلي :

١ - شعوره ان مصر بعد ان كسبت قليلا في اول الامر اذا بها تفقد بعض
ما كسبته ، وكان هذا على اثر موقف مصر الذي اعتبره غير ايجابي مع بعثة
منزيس ، وترتب عليه ان انتقلت الحركة في المباراة الى الاخرين ، وازداد ان هذا
ليس شعوره فقط ، ولكنه شعور آخرين ممن قابلهم ، وقد رددت عليه بما يناسب
المقام .

ب - لا يدعي ان مصر يجب ان تقبل بحل معين ، ولكنه يرى وجوب العثور
على حلول جديدة ، ومن اقتراحاته تشكيل لجنة بواسطة مجلس الامن ، تشترك
فيها مصر ، للبحث عن هذه الحلول الجديدة ، او تحويل مجلس الامن كله الى
لجنة تشترك فيها مصر لنفس الغرض .

ج - يرى ان الجلسة الاولى قد تستغرقها المناقشات حول طلب اسرائيل
بسماع وجهة نظرها في مسألة القناة ، ثم تعقد جلسة بعد ذلك يسوم السبت او
الاثنين - وقد قلت لهمرشولد - ووافقني - على عدم عقد الجلسة يوم السبت
حتى تكون هناك فرصة للتنفس بين الاجتماعات ، وحتى نستطيع استخدام
السبت والاحد ، وهما عطلة نهاية الاسبوع ، في اجراء اتصالات جانبية خارج
المجلس .

د - تكلمت مع همرشولد عن النوايا ، وبينت له انه اذا كانت النوايا مبيتة
على عدم الوصول الى اتفاق ، فليست هناك فائدة من جهود السكرتير العام ،
واجابني همرشولد بانه يعترف سلووين لويد من زمن ، وانه خاطبه في الامر وخرج
بانطباع ان لويد يرغب حقيقة في الوصول الى حل رغم المظاهر ، وهمرشولد
يستبعد جدا استعمال الانجليز للقوة ، اما الفرنسيون فلهم متاعبهم الداخلية،
وهي كثيرة .

فوزي»

.....
.....

نيويورك - ٤ أكتوبر

الى السيد الرئيس

من محمود فوزي

قابلت بوبوفيتش (وزير خارجية يوجوسلافيا ورئيس وفدها) وتبين لي اتفاقه معنا من ناحية البدء او الاسلوب ، وقد اشار خلال حديثه معي الى ان مصر يجب ان لا تكون كُرّة بين موسكو وواشنطن .

فوزي

.
.

نيويورك - ٤ أكتوبر

الى السيد الرئيس

من محمود فوزي

قابلت شبيلوف ، وتبينت من حديثه ما يلي :

١ - يعارض فكرة قيام مجلس الامن بتشكيل لجنة للبحث عن حل، ويعارض فكرة تحول المجلس نفسه الى لجنة لهذا الغرض ، ورأيه في الحالتين ان الاغلبية ستكون ضدنا ولا يمكن ضمان النتيجة ، وقلت له ان ذلك يتفق مع ما نراه .

٢ - اكد شبيلوف ان مصر لا يمكنها التساهل في ملكيتها للقناة ، ولا في سيادتها .

٣ - اشار شبيلوف الى ان المجلس قد يحاول اصدار قرار ، ولكنه يرى من الافضل ان يتم الاتفاق على مشروع اي قرار خارج المجلس ، حتى ينال غالبية الاصوات ، ولعل شبيلوف يشير بذلك الى انه في الحالة القصوى سوف يستعمل حق الفيتسو .

٤ - سألني شبيلوف عن مهمة الدكتور حلمي بهجت بدوي ، الذي يسزور امريكا الان، وما قالتها الصحف عن اتصالاته بالامريكيين ولمح الى ان الامريكيين اذا تدخلوا في الامر فلن يخرجوا بسهولة ، لانهم يودون الحل محل الانجليز والفرنسيين ، وقد اوضحت له ان للدكتور بدوي مهمة خاصة في امريكا ، وان هذه المهمة من ناحية اخرى تساعد على تحسين الجو ، وقد اصطحبني شبيلوف ذلك اذا كان من قبيل الاجراءات التاكتيكية .

٥ - ذكر شبيلوف ان الامريكيين مختلفون مع الانجليز والفرنسيين في المدى والوسيلة ، وليس في الموضوع ذاته فهم فيه متفقون تماما على الادارة الدولية .

وهنا سألني عما اذا كانت مصر تقبل هيئة استشارية ، وقلت له ان هذا امر يمكن بحثه .

٦ - تحدث عن اهمية عنصر الزمن من ناحية ان الانجليز والفرنسيين والامريكيين يخشون اعطاء مصر فرصة كافية من الوقت تيرهن فيها بما لا يدع مجالاً للشك قدرتها على ادارة القناة بجدارة ، مما يدحض ادعاءاتهم ويحرجهم امام الرأي العام العالمي ، كما ان هناك خطر آخر وهو ان مسألة القناة لا تعتبر مجرد مشكلة ، بل انها فرصة ذهبية للتخلص من بعض الشخصيات ومن بعض الاتجاهات التحررية ، لاطالة عمر الاستعمار ، وكل ذلك قد يوحي بان الغرب لا يرغب حقيقة في الوصول الى حل .

ساقابل غدا سباك (وزير خارجية بلجيكا) وجلال عبده (رئيس الوفد الايراني) وكل رؤساء الوفود العربية .

فوزي»

.
.

نيويورك - ٥ اكتوبر

الى السيد الرئيس

من محمود فوزي

قابلت جلال عبده (المندوب الايراني الدائم في الامم المتحدة) فذكر لي انه في حيرة نظرا لشدة الضغط الواقع عليه ، وقد كان يأمل ان يحضر وزير خارجية ايران السيد انتظام ، لكي يرأس مجلس الامن الذي تتولى ايران رئاسته لهذا الشهر ، ولكن ذلك لم يحدث ، مما سيضطره الى التصرف بنفسه ، وهو لا يدري ماذا سيفعل .

ابلفته انني لا اطلب منه سوى ان يكون رئيسا عادلا ، ولا اطلب منه التحيز لنا .

تساءل عبده عن السبب في عدم قبول مصر بنوع من الاشتراك الدولي في ادارة القناة لظهار رغبتها في التعاون ، وشكرته ووضحت له ان مصر تخلصت منذ قليل من الاحتلال الانجليزي ، ولا يمكن لها ان تقبل فكرة الاشتراك الدولي في ادارة قناة السويس ، لان معنى ذلك هو عودة الاحتلال بصورة اخرى .

عرض علي عبده فكرة تعيين مندوب سام يمثل السدول المستعملة للقناة ، ويشير على الحكومة المصرية فيما يتعلق بشئونها ، ورددت عليه بأن هيئة

المنتقمين لا تطلب اكثر من ذلك ، وقد رفضنا الفكرة لانه ليس هناك محل لقبسول مندوب سام يراقب تصرفاتنا ، فذلك يحمل معنى الالهانة لمصر ، وسألته لماذا لا يتبع مثل هذا الاجراء بالنسبة لقنوات اخرى كقناة بناما مثلا .

كرر لي عبده ان الضغط عليه شديد ، وان الاتجاه العام في غير مصلحتنا ، وان خطة الغرب هي تقديم مشروع قرار التصويت عليه باغلبية واضحة ، حتى ولو اعترضت روسيا ، لان الغرب بذلك يحصل على نصر ادبي ، ويظهر مصر بمظهر الدولة المتعنتة .

وفي رأيي انه يجب تناول كلام جلال عبده بحذر ، لان الظروف الخاصة بايران قد تملي عليها مجاراة السياسة الغربية .

فوزي»

.
.

نيويورك - ٥ اكتوبر

الى السيد الرئيس

من محمود فوزي

قابلت وزير مالية سيلان الذي اكد لي تضامن سيلان معنا ، وايمانها بعدالة موقفنا ، مشيرا الى ان المسألة مسألة تحكم واستعمار وليست مسألة قنساء السويس ، واعرب لي عن اعتقاده بان الغرب دفع بالقضية الى دوامة السياسة ، بينما هي في جوهرها قضية اقتصادية .

علمت منه انه سوف يمر بالقاهرة في طريق عودته الى بلاده ، وانه يرغب في مقابلة نظيره وزير المالية المصري ، وربما ترون انه من المناسب ان تقابلوه شخصا الى جانب مقابلته لوزير المالية .

فوزي»

.
.

نيويورك - ٥ اكتوبر

الى السيد الرئيس

من محمود فوزي

قابلت يوجين بلاك - رئيس مجلس ادارة البنك الدولي - واقترحت عليه ان

يدرس البنك الدولي امكانية تمويل مشروعات تحسين وتنمية قناة السويس ، ولم اجد لديه معارضة للفكرة ، ومع اني لا اعتقد بامكانية قيام البنك بالاتفاق مع هيئة قناة السويس المصرية على تمويل مشروعات تحسين وتنمية قناة السويس في ظل الاوضاع الراهنة ، فان طرح الموضوع دليل على اهتمامنا بمستقبل القناة ، وهي على اي حال بذرة يمكن ان تنمو في المستقبل .

فوزي»

.....
.....

نيويورك - ٦ اكتوبر

الى السيد الرئيس

من محمود فوزي

طلبت مقابلة دالاس (وزير خارجية امريكا) فرحب بالمقابلة ، واتفقنا على ان تتم بعد جلسة اليوم .

بدا دالاس بأنه يحاول بحصر الموضوع قدر الامكان ، وهو لا يستطيع في مسألة كمسألة السويس ان يوجه سياسة انجلترا وفرنسا ، كما فعل في مسألة فورموزا وكوريا .

وأبدى دالاس انه من المستحسن ، بعد انتهاء جلسة يوم الاثنين ، ان تتم مشاورات غير رسمية ، وقد ناقشته في كافة الاحتمالات ، وبدا لي ان الصعوبة الحقيقية في رايه ليست موضوع الملاحه او الرسوم ، وانما هي مسألة الادارة . وقد ابلغته ان مصر لا تقبل ادارة دولية تشترك هي فيها ، كما لا تقبل ادارة مصرية تشترك فيها دول اجنبية .

تطرق دالاس الى بعض المسائل الاخرى ، كالجنازير وفلسطين ، وقال انه لا يمكن التداول فيها طالما ان مسألة السويس لم تحل .

لاحظت انه كان يريد ان يتكلم عن قرار سحب العرض الامريكي بالمساهمة في تمويل السد العالي ، لاحساسه بأن الكل يعتبرون ذلك القرار اول مسببات المشكلة الحالية ، وكان ملخص رايه انه وجد ان عملية بناء السد العالي ستؤدي الى ارهاق الاقتصاد المصري ، وبالتالي ستثير الكراهية ضد امريكا عندما يشعر الشعب المصري بالحرمان بسببها ، ولذلك لم يكن لديه مانع من قيام الروس بها .

اضاف دالاس ان مصر تستطيع في رايه تمويل السد العالي عن طريق دخل

قناة السويس ، لان هذا اسلم ، وسوف يجنب اية دولة تقديم المال اللازم لمشروع
يثير كراهية المصريين .

رددت عليه في هذا الموضوع ووجهة نظرنا .

ذكر لي دالاس بعض النقط التي اراها داعية لاهتمامنا :

- ١ - قال لي ان بعض المسؤولين في انجلترا وفرنسا لا يريدون حلا سلميا .
- ٢ - قال ان هيئة المفاوضات يمكن ان تكون من انجلترا وفرنسا ومصر ،
ولكن لا مانع من اضافة دول اخرى .
- ٣ - قال انه لا فائدة من هيئة مفاوضات دون وجود اهداف لها ومبادئ
تعمل على ضوئها .
- ٤ - لاحظت انه يسلم بان المفاوضات على اساس مشروع الدول الثماني
عشرة لم تعد تصلح .
- ٥ - اقترح علي ان اجتمع والدكتور بدوي مع المستشار القانوني للخارجية
الامريكية .

فوزي»

.....
.....

نيويورك - ٨ اكتوبر

الى السيد الرئيس

من محمود فوزي

قابلت همرشولد بناء على طلبه ، وقد وجدته حائرا فيما يتعلق باقتراح
جلسات سرية واجتماعات خاصة يجري فيها بحث المسألة ، وقد اعربت له عن
استعدادنا للاجتماع والتحدث في اي اطار ، على ان نتأكد اننا نسير الى الامام ،
ولا نعود الى الوراء .

وكان انطباعي ان همرشولد لم يكن متفائلا ولا متشائما .

اثار همرشولد معي مجيء كريشنا مينون الى نيويورك ، وخشيته من
البليلة التي يحدثها في كل اتصالاته .

ارى من الخير اثاره المادة ٥١ من ميثاق الامم المتحدة لكي الفت نظر مجلس

الامن الى ان بريطانيا وفرنسا لم تعلن حتى اليوم استبعاد استعمال القوة المسلحة ورأيي ان نتحداهما في ان تعلن صراحة عدم التجائهما الى القوة الا عن طريق الامم المتحدة ، مع اعلان تمسكنا بحقوقنا في ضوء المادة المذكورة .

فوزي،

.
.

نيويورك - ١٠ اكتوبر

الى السيد الرئيس

من محمود فوزي

قابلت شبيلوف (وزير خارجية الاتحاد السوفيتي) بناء على طلبه قبل اجتماع مجلس الامن السري بعد ظهر اليوم ، وبدا عليه انه كان يتوقع سوء كالمعتاد من ناحية الدول الغربية ، وكان لحن كلامه يوحي بانه لو ترك الامر لروسيا لقاتل للغربيين الكثير ، ولكنهم لم يلجأوا الى هذا الاسلوب حتى لا تصعب الامور امام مصر - سألني عن موقفنا ، فقلت انه لا مانع لدى مصر من الاجتماع السري ومن تأجيل اجتماعات مجلس الامن العلنية لمدة ٤٨ ساعة ، وكل ذلك حتى لا نتيح للغربيين فرصة الادعاء باننا لم نوافق على تهيئة الامور للاتصالات الهادئة ، وقد وافق شبيلوف على هذا الاتجاه ما دمنا نفضله .

ابلغني شبيلوف انه تسلم برقية من كسيليف (السفير السوفيتي في القاهرة) بشأن مقابله لكم واخباركم له عن عدم رضاكم عن المشروع الهندي وكان باديا على شبيلوف ضيقه من مينون .

اما مينون فقد علمت انه قابل سلوين لويد في الصباح ، وقابلته في الظهر فابلغني انه دعا همرشولد للعشاء الليلة، وتحدثنا في المشروع الذي يحمله. ولفت نظره الى وجوب الامتناع عن القول بموافقة مصر على هذا المشروع . وقال انه يقول انهم اذا ما قبلوا المشروع فانه يعتقد ان مصر ستوافق عليه .

لاحظت ضيق الجميع ذرعا هنا بكريشنا مينون .

فوزي،

.
.

نيويورك - ١٠ أكتوبر

الى السيد الرئيس

من محمود فوزي

قابلت سلوين لويد قبل بدء الجلسة الصباحية، وطلب مني تأجيل البيان الذي كنت ازمع القاءه - انضم همرشولد الينا والح مع لويد في طلب تأجيل بياني - وجدت مناسبا تأجيل القاء البيان حتى لا نقيح لهم فرصة الادعاء علينا بتعكير الجو .

طلب سلوين لويد مقابلي على حدة ، ولكنني بعد الجلسة اجتمعت مع سلوين لويد وكريستيان بينو (وزير خارجية فرنسا) في مكتب همرشولد واتفقنا على أن يقال أن الداعي لهذا الاجتماع هو همرشولد على أساس رغبته في جمع اطراف النزاع معا بغرض الاستطلاع .

كان اتجاه المناقشة عموما هو محاولة الوصول الى طريقة لايجاد حل يتفق عليه ، وليس تجديد عرض اقتراحات الدول الثماني عشرة.

تناول الحديث النقاط التالية :

● اتفاقية ١٨٨٨ ، وقد اكدت ما سبق ان ابديته من استعداد مصر لاحترام جميع الضمانات الواردة فيها .

● تساءلوا عما قصدته من اشارتي للتعاون بين المستعملين وبين الادارة المصرية ، وافهمتهم ان على المستعملين جميعا تنظيم انفسهم ، واننا لا نسمح بأن يفرض فريق منهم انفسهم كوكلاء عن كل المستعملين .

● تساءلوا عما اذا كان لدينا مانع من ان يقوم مستعملو القناة بتحصيل الرسوم ، فافهمتهم ان مصر لا يمكنها ان تقبل ان يقوم المستعملون انفسهم بتحصيل الرسوم من انفسهم ، وانها ستسمح بمرور البواخر التي تدفع الرسوم لمصر .

● تساءلوا عما اذا كان لدينا مانعا من ان يقود السفن في القناة مرشدوهم ، فقلت ان الذي يهمننا هو وجود مرشد تابع للادارة المصرية على البواخر اثناء مرورها .

● سألني همرشولد عما اذا كان من الممكن جمع الهيئتين معا ، اي الادارة المصرية وهيئة المنتفعين ، فرددت بأن هيئة المنتفعين تمثل مستعملي القناة ، ولا تقبل مصر ربطهم بالادارة ورددت ما سبق ان اشرت اليه من

ان الادارة المصرية - وهي هيئة على اساس اقتصادي سليم - يهملها ولا شك
ارضاء عملائها الى اقصى حد ، وان هذا هو ضمان العلاقة بينها وبين
المستعملين ، ولهذا يجب ان لا تعتبر الادارة المصرية والمستعملين اعداء ، بل
متعاونين .

● طلب سلوين لويدي معرفة رأينا في الاتفاق على تحديد نسبة مئوية من
الفنيين الاجانب للعمل في القناة ، واعتذرت عن ذلك بأن لدينا فنيين من
مختلف الجنسيات ، ولكننا لا يمكن أن نقبل هذا الالتزام ، ولو أننا سنرحب
باستخدام من قد نحتاج اليهم من الاجانب .

● اشارة بينو (وزير خارجية فرنسا) الى موضوع مرور السفن وتجارة
اسرائيل في قناة السويس ، وشاركه في ذلك سلوين لويدي بحجة انه يصعب على
الدولتين مواجهة اسرائيل بحل لمشكلة قناة السويس دون موضوعها ، واقترح
سلوين لويدي انه ما دام الخلاف قانونيا ، فان على مصر ان تقبل باحاليته
الى محكمة العدل الدولية او الى التحكيم الدولي ، وقلت لهما ان امامنا مشكلة
معقدة ، ولا حاجة لزيادتها تعقيدا باقحام هذا الموضوع .

فوزي،

.....
.....

نيويورك - ١١ اكتوبر

الى السيد الرئيس

من محمود فوزي

قابلت شبيلوف الذي اعرب لي عن تاكده من انه قد استبعدت في
النهاية الاجراءات العسكرية ، وعن اقتناعه بأنه لا يمكنهم التماهي في الاجراءات
الاقتصادية لان الضرر الذي يصيب مصر اقل مما يلحق بالدول الاخرى .

فوزي،

.....
.....

نيويورك - ١٢ اكتوبر

الى السيد الرئيس

من محمود فوزي

قال لي همرشولد ان سلوين لويدي يحاول ان يقترب من موقف مصر ،

بعكس بينو الذي يعقد المسائس .

قابلت دالاس الذي ذكر لي أننا في مرحلة يمكن ويحسن عندهما أن نحاول جديا وضع رؤوس مواضيع للاتفاق تكون تعبيريا او نلخيصا لما اسفرت عنه الاجتماعات الثلاثية ، وتكون محل تفكير عميق ، على أن تحال المقترحات الى حكوماتنا للنظر فيها ، وذكر لي دالاس ان فرنسا تجاهد لافشال الاتفاق والدخول في عراق بشأن قناة السويس ، وأنها تعمل بحماقة في هذا الاتجاه ، وهو ما لا تشارك فيه بريطانيا لانها ستحمل العبء وحدها .

رأبي أن نحافظ على الاتصال بدالاس ، ونبلغه بعض آرائنا .

فوزي،



وهكذا كانت الامور تسير في نيويورك ، ووجد همرشولد أنه من الخير أن ننقل الاتصالات الثلاثية - بين مصر وبريطانيا وفرنسا - من دائرة الضوء الباهر في الامم المتحدة الى مكان هادئ وبعيد ، وهناك يمكن ان تصل المفاوضات الى نتيجة .

ووافق فوزي ، ووافق سلوين لويد ، وبدأ على كريستيان بينو - طبقا لتعبير الدكتور فوزي - أنه « قرفان » . وقام همرشولد بتحديد المكان والزمان جنيف - بعد أسبوعين من الآن (١٤ أكتوبر) أي في يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ .

كان ذلك هو اليوم الذي بدأ فيه العدوان المسلح على مصر ، وكانت الفترة ما بين الموعدين - الأسبوعين من ١٤ أكتوبر الى ١٩ أكتوبر - هي الفترة التي تم فيها التواطؤ بين الثلاثة : بريطانيا وفرنسا واسرائيل !!

الحديث الرابع عشر:

القصة الكاملة للتواطؤ الثلاثي
طبقاً للاعترافات دايان!

من هنا ، والى زمان طويل ، سوف يظل الفصل الخاص بالتواطؤ السري بين بريطانيا وفرنسا واسرائيل ، فصلا من اعجب واغرب الفصول في قصة السويس ، وفصلا من اعجب واغرب الفصول في اي قصة غيرها من قصص السياسة الدولية في العصر الحديث .

لقد كان « التواطؤ » - وليس مجرد الغزو - هو الذي نزل ببريطانيا من مصاف واحدة من القوى الكبرى الى دولة من الدرجة الثانية ، فبسبب هذا التواطؤ مع اسرائيل فقدت بريطانيا مكانة خاصة كانت لها في العالم العربي .

ولقد كان العالم العربي على استعداد لان يغفر لبريطانيا لو انها جاءت في وضع النهار وضربت باسطولها موانئ مصر وانزلت جنودها على شواطئنا وقالت بأعلى صوت : انها تفعل ذلك لانها لا تقبل قرار عبد الناصر بتأميم قناة السويس . واما ان تفعل بريطانيا ما فعلته في الاسبوع الثلاثة الاولى من شهر اكتوبر ، فقد كانت تلك هي الخطيئة الكبرى التي تحل بمرتكبها لعنة الابد .



ومن الصدف التي تلفت النظر ان القصة الكاملة للتواطؤ لم تظهر وتتكشف كل خباياها الا هذه السنة فقط مع الذكرى العشرين لقصة السويس ، وكان الذي قدم للتاريخ اعترافه كاملا هو « موسى دايان » ، الذي كان رئيسا لهيئة اركان حرب الجيش الاسرائيلي وقتها .

كانت هناك قبل ذلك اشارات الى التواطؤ ، وكانت هناك روايات ، لكن معظم هذه الاشارات والروايات حامت حول الحمى ولم تقع فيه كما يقولون حتى جاءت اعترافات ديان .

ولقد كان هناك منذ البداية احساس عام بوجود تواطؤ بين بريطانيا وفرنسا واسرائيل ، وكان بعض الناس يتصورون انه كان هناك على الاقل لدى بريطانيا وفرنسا علم مسبق بان اسرائيل تنوي ان تبدأ هجوما على مصر في مساء التاسع والعشرين من شهر اكتوبر، وعلى اساس هذا العلم المسبق فان الدولتين الكبيرتين رتبنا خططهما لغزو مصر بالاستفادة من العملية الاسرائيلية .

وحدث في مجلس العموم البريطاني ان زعيم المعارضة العمالية وهو هيو جيتسكيل - في ذلك الوقت - قام ووجه سؤالاً صريحا الى انتوني ايدن ، ورد عليه ايدن قائلا بالنص :

« - انني اريد ان اقول للمجلس الموقر ، واقول بمنتهى الوضوح ما يلي عن مسألة علمنا المسبق بنوايا اسرائيل » .

اريد ان اقول : لم يكن لدينا علم مسبق بان اسرائيل سوف تهجم على مصر . . . نعم ، اؤكد انه لم يكن هناك علم مسبق » !

وعندما كتب انتوني ايدن مذكراته بعد ذلك بعنوان « دائرة كاملة » فان كلمة واحدة لم ترد فيها تشير الى علم مسبق بنوايا اسرائيل ، فضلا عن « تواطؤ » .
وقبل ماكميلان نفس الشيء في مذكراته .

وكذلك فعل سلوين لويدي في حديث له مع السفير الامريكي في لندن المستر الديريتش ، ان نقل عنه « الديريتش » انه قال له مساء يوم ٢٨ اكتوبر - اي قبل الهجوم الاسرائيلي بيوم واحد - « ان حكومة صاحبة الجلالة ليس عندها ما يدل على ان التعبئة العامة في اسرائيل موجهة ضد مصر » !

وحين كتب دافيد بن غوريون مذكراته ، ضرب صفحا هو الاخر عن قصة التواطؤ ، ولم يشر اليها من قريب او بعيد ، وكذلك فعل « ديان » في كتابه « يوميات حرب سيناء » .

ولكن الاشارات بدأت تلوح من بعيد . . . ثم تقترب بالروايات المتضاربة شيئا فشيئا .

كانت هناك اشارات واضحة في كتاب الاخوين « بلومبيرجير » عن « اسرار السويس » ، ثم في كتاب الصحفي الاسرائيلي « بار زوهار » « السويس سرري جدا » .

ثم وردت روايات اكثر تفصيلا في كتب « هيوتوماس » و « روبنسن » و « ناتنج » .

ثم جاء « شيمون بيريز » وزير الدفاع الاسرائيلي الحالي - وكان مديرا لوزارة الدفاع الاسرائيلية وقت قصة السويس - فاضاف بعض التفاصيل مسن رؤية شاهد عيان .

واخيرا هذه السنة ، بل هذا الشهر ، جاء « ديان » ليقدم اعترافا كاملا معززا بكل التفاصيل ، مدعما بالوثيقة الخطيرة التي سجلت التواطؤ ، وهي معاهدة « سيفر » السرية .

ولان رواية « ديان » حاسمة ، فاني استاذن في ان انقل الكثير عنها ، فهذه هي الحقيقة الكاملة اخيرا يرويها احد الذين شاركوا في صنع هذا الفصل العجيب الغريب من قصة السويس .

وهذه هي رواية « موشي ديان » نقلا عن كتابه الذي نشرته له دار « ويدنفيلد ونيكلسون » تحت عنوان « قصة حياتي » . والاجزاء التي استشهد بها تقع بين صفحتي ١٥١ و ١٩٢ من هذا الكتاب الذي ظهر في لندن هذا الشهر - اكتوبر ١٩٧٦ .



يقول ديان :

« لقد جاءت اول بادرة بان فرنسا مهتمة بالتنسيق بينها وبين اسرائيل فسي العمل ضد مصر ، يوم اول سبتمبر ١٩٥٦ . وجاءت على شكل اشارة « عاجلة جدا » تلقيتها ذلك الصباح من ملحقنا العسكري في باريس ، وكان يخطرني فيها بالخطط البريطانية الفرنسية ، ويضيف الى ذلك ان الاميرال « بارجو » يرى وجوب دعوة اسرائيل لتشارك في العملية .

وقد وصلتنني الرسالة بينما انا احضر اجتماعا لهيئة اركان حرب ، وكان بن جوريون موجودا في الاجتماع ايضا ، واصدر الي تعليماته بان اجيب باستعدادنا للتعاون من ناحية المبدأ .

فاذا كان ما هو مطلوب منا هو معلومات مخابرات عن القوات المصرية المسلحة ، فان مثل هذه المعلومات سوف يتولى تقديمها مكتب ملحقنا العسكري في باريس .

واما اذا كان الفرنسيون يفكرون في اشتراك الجيش الاسرائيلي في العمل العسكري ، فان وزير الدفاع على استعداد لارسالي الى باريسس لمناقشة الموضوع .

وبعد اتصالات استطلاعية مع هيئة اركان الحرب الفرنسية ، ثقرر ان ارسل رئيس العمليات الاسرائيلي الى باريس ليتحدث مع مندوبين عسكريين فرنسيين . وتصادف وجود رئيس العمليات في اوروبا في ذلك الوقت ، وتحدد يوم ٧ سبتمبر موعدا للاجتماع ، وارسلت له ملخصا لتوجيه مكتوب تلقيته من بن جوريون مؤداه اننا على استعداد لتقديم كل مساعدة لفرنسا . فاذا كانوا يطلبون استعمال قواعدها الجوية والبحرية والمشاركة الفعلية لقواتنا المسلحة ، فان الحكومة في القدس سوف تبحث الموضوع وتقرر . واضفت ان عليه في اجاباته على استيضاحات الفرنسيين ان يكون صريحا فيما يتعلق بقدراتنا ، وبتحدودنا في مختلف الميادين ، فاذا ما طلبت منه تعهدات ، فعليه ان يزن امكانية قدمي الي باريس .

كان الاميرال ، بارجو « هو المندوب الفرنسي الرئيسي في اجتماع باريس الذي عقد في بيت صديق مشترك . وكان الاميرال « بارجو » مهتما باية معلومات

عسكرية عن مصر ، وكان يريد ان يعرف امكانية هبوط الطائرات الفرنسية فسي
اسرائيل في حالة اضطرارها الى ذلك . كذلك سال عن مدى قدرتنا على اشغال
وتعطيل جزء من القوات المصرية عن طريق اي عمل عسكري نستطيع القيام به
في سيناء ، قريبا من الحدود الاسرائيلية .

وقد اوضح الادميرال « بارجو » ان اسئلته في هذه المرحلة مجرد محاولة
للاستئارة ، وان كان يسالها بافتراض ان اوضاعا سياسية ملائمة قد تبرز في
المستقبل القريب بما يحقق مشاركة اسرائيل في العملية .

.

« سافر » شيمون بيريز « مدير عام وزارة الدفاع الى باريس ليحاول
تخفيف شروط صفقة الدبابات والطائرات التي اشتريناها من فرنسا . كان
« بيريز » صديقا شخصيا لـ « موريس برجيس مانوري » وزير الدفاع الفرنسي ،
كان يعرف ايضا رئيس الوزراء « جي موليه » ، ووزير الخارجية « كريستيان
بينو » ، وكان عليه ايضا ان يستغل هذه الفرصة ليناقش بطريقة صريحة وغير
رسمية معهم جميعا موضوع التعاون الاسرائيلي الفرنسي في الشرق الاوسط .

وقبل ان يسافر « بيريز » اقترحت ان يصر في محادثاته على ثلاثة شروط
اساسية للتعاون الفرنسي الاسرائيلي .

اولها ، ان المبادرة يجب ان تجيء من فرنسا ، وعليها هي ان تدعو اسرائيل
الى محادثات حول هذا الموضوع . واهمية هذه النقطة تنبع من طبيعة علاقاتنا
بفرنسا حتى ذلك الوقت ، ذلك ان مشترياتنا من السلاح الفرنسي كانت تجري في
ذلك الوقت بطريقة خفية ، فقد كان هناك اتفاق بين الولايات المتحدة وفرنسا
وبريطانيا لتنسيق سياسة بيع السلاح للمنطقة ، ومن بينها اسرائيل ، فاذا كانت
فرنسا الان تريد مساعدتنا في ازمة السويس فان علينا ان ننتهز الفرصة لنحاول
اخراج انفسنا من وضع الطفل الخاضع لمصاية ثلاثية ، لكي نصبح في وضع
حليف له كافة الحقوق بالتساوي ، خصوصا اذا كان الامر يتصل باحداث تجري
« على عتبة بيتنا » .

ثانيتها ، انه من الحتمي تجنب اي موقف يمكن ان نجد انفسنا فيه متورطين
في صراع مع بريطانيا يمكن ان يؤدي الى عمل عسكري بريطاني ضدنا . ومثل
هذا الاحتمال كان يمكن ان ينشأ من الطبيعة المعقدة للعلاقات البريطانية
الاسرائيلية . فان بريطانيا كانت تربطها معاهدات يعدد من الدول التي قد تهرع
الى مساعدة مصر ، واذا حدث ذلك فقد ينشأ موقف نجد انفسنا فيه نحارب جنبا
الى جنب مع البريطانيين على جبهة ، وفجأة نجد انفسنا نتصادم مع البريطانيين

في جبهة ثانية ، كالجبهة الاردنية ، لان بريطانيا قد تسارع الى تقديم مساعدة عسكرية للاردن وفقا لمعاهدة الدفاع البريطاني - الاردني .

وثالثها ، انه اذا جاءت الحرب فانه يجب ان يسمح لاسرائيل بأن تعدل حدودها مع سيناء لكي تضم شرم الشيخ ونخل وابو عجيلة ورفع .

واعترف - حينما قلت ذلك كله لبيريز - ان الشكوك كانت تراودني في فرص النجاح ، ولكنني تصورت ان الامر يستحق المحاولة . واذا كان هناك من يقسدر على النجاح فهو « شيمون بيريز » .

وتلقيت برقية من باريس بعد ثلاثة ايام من رحيل بيريز ، يخطرني فيها بان وزير الدفاع الفرنسي « بيرجس مانوري » بحث معه خلال محادثاتها امكانية القيام بعمل فرنسي اسرائيلي ضد مصر بغير اشتراك البريطانيين ، وظهر انه في المحادثات التي اجريت في لندن يوم ١٢ سبتمبر بين « موليه » و « بينو » ونظرائهما البريطانيين : رئيس الوزراء « انتوني ايدن » ووزير الخارجية « سلوين لوبد » - ان البريطانيين اخطروا الفرنسيين بان عملية « موسكتيرز » يجب تأجيلها . فقد كانوا - البريطانيين - يرون انه من الضروري اعطاء فرصة لاقتراح « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية الامريكية بشأن انشاء هيئة منفعين بقناة السويس ، وكانت فرنسا تخشى ان يكون هذا الموقف البريطاني مقدمة لتخلي بريطانيا عن استعدادها السابق للقيام بعمليات عسكرية ضد مصر . وهكذا ، فان فرنسا كانت تحول نظرها اليها الان . وفي هذا الوقت بعث وزير الدفاع الفرنسي « بيرجس مانوري » بخطاب تحية بخط يده الى « دافيد بن جوريون » يهنئه بعيد ميلاده السابعين ، وينتهد الفرصة ليلمح في خطابه الى رغبة فرنسا في « عمل شيء » مع اسرائيل للدفاع عن المصالح المشتركة للبلدين ضد العدوان المصري . . . ورد « بن جوريون » بخطاب شخصي اخر اكد فيه استعداد اسرائيل للتعاون في سياسة مشتركة للشرق الاوسط .

.
.

« وعاد « بيريز » الى اسرائيل ليقدّم تقريرا عن محادثاته في فرنسا ، وحضرت اجتماعه مع بن جوريون ، وروى لنا بيريز ان « بيرجس مانوري » قال له ان « بينو » عاد من لندن مصابا بخيبة امل ، لان « دالاس » كان يضع الوقت بمقترحات لا فائدة منها ، وكان بذلك يعطل البريطانيين عن العمل العسكري ضد مصر . وكان رئيس الوزراء انتونسي ايدن متحمسا للعمل العسكري ، ولكن المقترحات الامريكية كانت تعطله ، الى جانب المعارضة التي كان يلقاها في بريطانيا ، بما في ذلك معارضة بعض العناصر داخل حزبه .

وطبقا لما قاله « بيرجس مانوري » فان « بينو » قال « لايدن » قبل ان يتركه ان فرنسا في هذه الحالة قد تتصرف وحدها ، وربما حصلت على مساعدة اسرائيل . وكان رد ايدن - طبقا لبيينو - « انه لا يعارض هذه الخطة ، على شرط ان لا تقوم اسرائيل بمهاجمة الاردن » .

واما فيما يتعلق بمواقف الاطراف الاخرى ، فان وزير الدفاع الفرنسي بيرجس مانوري قال لبيريز انه يعتقد ان بريطانيا في النهاية سوف تقرر الانضمام الى الحملة ضد مصر ، وان الولايات المتحدة لن تتدخل . واما الاتحاد السوفيتي ، فانه لا يستطيع ان يتنبأ باتجاه تصرفه . وفي ضوء هذه الحقائق فان مجلس الوزراء الفرنسي قرر تفويض بيرجس مانوري في اجراء اتصالات مع ممثلين لوزارة الدفاع الاسرائيلية ودعوتهم الى باريس لمناقشة خطة عمل عسكري مشترك ضد مصر .

.
.

« وفي هذا المساء اخطرني « بن جوربون » بانه قرر ارسال وفد الى فرنسا ليستوضح من الحكومة الفرنسية مجالات العمل المشترك ضد مصر ، وان الوفد سوف يتكون من وزيرة الخارجية « جولدا مائير » ووزير النقل « موشى كارمل » ومدير وزارة الدفاع « شيمون بييريز » ، وانا بوصفي رئيسا للاركان . وقبل ان نساقر التقى وهدنا مع رئيس الوزراء - دافيد بن جوربون - الذي اصدر الينا التوجيهات التالية :

● اسرائيل لن تشن حربا وحدها . اذا بدأ اصدقاؤنا فسوف ننضم اليهم .
وإذا طلب منا القيام بعمل بالتوازي مع عملهم فاننا سوف نبحت ذلك بتفهم .

● ان الولايات المتحدة يجب ان تكون على علم بالعمليات المرتقبة ، ويجب ان لا يكون لها اعتراض عليها - او على الاقل ان لا تبدي مثل هذا الاعتراض - ويجب ان نتلقى تأكيدات بان الولايات المتحدة لن تفرض عقوبات او حظر من اي نوع ضد اسرائيل .

● ان بريطانيا يجب ان تكون على علم بما يجري ، ويجب ان توافق ، ويجب ان تتعهد بان لا تساعد اي دولة عربية تنضم الى مصر .

● ان هدفنا هو ان نحقق السيطرة الاسرائيلية على الشواطئ الغربية لخليج العقبة كضمان لحرية مرور السفن الاسرائيلية في ذلك المر المائي . وربما فكرنا في نزع سلاح سيناء كاملا ، ووضعها تحت رقابة قوة دولية .

وسافرنا الى فرنسا مساء ٢٨ سبتمبر ، وتوقفنا في « بنزرت » على الساحل
التونسي ، وقضينا الليلة هناك في القاعدة الفرنسية الكبيرة . واكملنا الرحلة
في اليوم التالي لنهبط في مطار عسكري قرب باريس .

واجتمعنا صباح اليوم التالي - الاحد - في بيت « لويس مانجين » مستشار
وزير الدفاع الفرنسي «بيرجس مانوري» في حي «مونبارناس». وكان الوفد
الفرنسي مكونا من وزير الخارجية « كريستيان بينو » ووزير الدفاع « بيرجس
مانوري » ، ومدير وزارة الدفاع « ابل توماس » ، ورئيس اركان الحرب الفرنسي
« الجنرال شال » .

.
.

تكلم « بينو » لمدة ٤٥ دقيقة ، ثم اعقبه وفدنا ، فشرح وجهة نظر اسرائيل،
وكان ملخصها :

اولا ، اننا نوافق مع الفرنسيين على ان العلاقات مع ناصر لم يعد ممكنا
تسويتها بالوسائل الدبلوماسية ، وليس هناك بديل في رأينا الان للعمل العسكري
ضده .

ثانيا ، اننا ننظر الى فرنسا نظرتنا الى صديق وحليف ، ونوافق قلبيا
على العمل المشترك معها .

ثالثا : يجب ان نتأكد من موقف بريطانيا ، خصوصا اذا قررت البقاء خارج
الحملة .

رابعا : اننا نريد ان نعرف الموقف المحتمل للولايات المتحدة . واخيرا ،
ماذا عن الاتحاد السوفيتي ، وهل يمكن ان يفكر في ارسال قوات لمساعدة مصر؟
وكان الفرنسيون حذرين في اجاباتهم ، وقالوا مقدما ان اية اجابات لديهم ستكون
من قبيل الرأي ، وليست من قبيل المعلومات المؤكدة . وكان اتفاقنا على انه كلما
قصرت فترة العمليات كان من شان ذلك ان لا يتيح للاخرين فرصة التدخل .

.
.

« وخلال هذه الاجتماعات تبين لنا ان فرنسا لا تملك قاذفة قنابل مناسبة،
وهكذا فانه اذا لم تشترك بريطانيا معنا ، فان الحملة قد لا يمكن انهاؤها بطريقة
مرضية لنا تماما ، لانه حتى لو استظمننا اخراج الطائرات المصرية من المعركة،
فان المطارات قرب القاهرة سوف تظل سليمة ، وسوف يتسلم المصريون طائرات

جديدة ليواصلوا المعركة . ولهذا السبب ، ولأسباب غيره ، فإن الفرنسيين عادوا الى اقتراحهم بأن تبدأ اسرائيل الحملة ، وفي هذه الحالة فإنهم يشعرون يقينا ان بريطانيا سوف تنضم اليهم لدخول المرحلة الثانية .

وكان « بينو » يتوقع ان يحصل على رد نهائي من البريطانيين حوالى منتصف اكتوبر ، وبعد مناقشات مجلس الامن . وكان واضحا لنا ان فرنسا لا تستطيع البت نهائيا في خططها لحملة السويس قبل ان تتلقى القرار البريطاني . وفي نفس الوقت فإن « بينو » كان يريد موافقة اسرائيل على الانضمام للحملة ، على ان تحارب داخل قطاع مستقل لها ، تحت قيادة منفصلة ، وان تبدأ الحرب وحدها قبل البريطانيين والفرنسيين . وانه اذا كانت اسرائيل مستعدة لعمل ذلك ، فإنه يكون واثقا ان ذلك يقوي من فرص انضمام بريطانيا الى العمل المنتظر .

.
.

« وبانتهاء هذا الجزء من الحادثات الاستطلاعية ، لم اكن اشعر بالسعادة . لقد كانت الحقيقة الاولى التي خرجت بها من هذه الاجتماعات هي ان الموقف غير واضح ، وانه سيبقى هكذا حتى انتهاء اجتماعات مجلس الامن . وكان مبعث شكواي ، وكذلك مبعث شكوى فرنسا ، هو موقف بريطانيا لقد كان اشتراك بريطانيا في الحملة عاملا حاسما بغير جدال . ولكننا ، ونحن نستمع الى « بينو » ، كنا نذكر دقة ملاحظة « بن جوريون » عن انه اذا انسحبت بريطانيا من العملية ، فإن فرنسا قد تحذو حذوها . ومن ناحية دولية يحتمل ، فلقد كان من الصعب على فرنسا ان تواجه وحدها معارضة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي . ومن ناحية عسكرية فإن دخول فرنسا وحدها للمعركة يفقدها الميزة الكبرى التي يضمنها اشتراك بريطانيا ، وهي الطائفة القاذفة المناسبة . واذا كان الفرنسيون يعانقون من تردد بريطانيا في اتخاذ قرار حاسم ، فقد كان يتعين علينا ان نتحمل الى جانب ذلك - مهانة النفاق البريطاني . فقد كانت بريطانيا تكره مجرد فكرة ارتباط اسمها باسم اسرائيل كشريك في عمل عسكري ضد العرب ، ولكنها في نفس الوقت على استعداد لان ترحب باستغلال صراع اسرائيل مع العرب لتبرر عملها ضد مصر .

وربما كان اكثر ما ترغب فيه بريطانيا هو ان تقوم اسرائيل بهجوم على مصر ، ثم تدعي بريطانيا رغبتها في الدفاع عن مصر وتنزل بقواتها في السويس وتحفظ بالسيطرة عليها ، وينتهي الامر . وكانت وزارة الخارجية البريطانية مقتنعة بانه في مثل هذه الظروف فإن احدنا لا يستطيع ان يلوم بريطانيا او يتهمها بالعداء للعرب او بالعدوان عليهم .

واكثر من ذلك ، فان بريطانيا كانت تريد منا ان نقوم لحسابها بدور الشرير او كبش القداء ، دون ان تضطر الى مقابلتنا او المناقشة معنا وجها لوجه . وكانت تعرف ان مجرد جلوسها معنا سوف يتضمن معنى « التعاهد » لعمل مشترك لمره واحده ضد مصر ، وهو امر سيكون مكروها في العالم العربي . هكذا ، فان البريطانيين كانوا يريدون ان تكون فرنسا هي وسيلتهم لتنسيق منفصل مع اسرائيل كانوا يريدون من فرنسا ان تهتء لهم الظروف المناسبة ، وفي نفس الوقت تعفيهم من الاتصال باسرائيل » .

.
.

« واستأنفنا المفاوضات في الساعة الثانية والنصف بعد الظهر ، وكان موضوع بحثنا الان هو النواحي العسكرية في الموضوع ، ووضح الفرنسيون انهم ما زالوا على اعتقادهم بان بريطانيا سوف تشترك . وانتهت محادثات ذلك اليوم باقتراح ان نتقابل في اليوم التالي مع رئيس الاركان الفرنسي لنستوضح بعض جوانب العمليات ، ولنناقش ايضا مطالبنا من السلاح الفرنسي .

وكان قد تقرر ارسال وفد فرنسي ليعود معنا الى اسرائيل ليختبر على الطبيعة امكانية استخدام قواعدا كبدل لقبرص ، اذا اقتضت العملية علينا نحن وفرنسا . واجتمعنا مع رئيس الاركان الفرنسي « بول ايلي » صباح اول اكتوبر في بيت « لويس مانجين » ، وكنت العضو الوحيد في الوفد الاسرائيلي في هذه المحادثات التي جلس ورائي فيها عدد من ملحقينا العسكريين في باريس . ومع الجنرال « ايلي » جلس الجنرال « شال » والجنرال « مارتان » نائبه ، والكولونيل « سيمون » مدير العمليات ، وضابط بحري كبير ، و « مانجين » .

ورغم الهدف المحدد لهذا الاجتماع كان تبادل المعلومات والايضاحات حول بعض النقط الفنية ، فقد كان هدفي ان اعزز اعتقاد قائد الجيش الفرنسي بان العملية ضد مصر يمكن تنفيذها ويمكن انجاحها بدون اشتراك بريطانيا .

وقد بدأ الفرنسيون بسؤال عن قوة مصر العسكرية ، وقلنا لهم ما نعرفه في هذا الصدد ، وبدا ان معلوماتنا تتفق مع تقارير مخابراتهم ، وهكذا انتقلنا الى مسألة الخطة المشتركة للعمليات ، وسألوني كيف اتصور عمل الجيش الاسرائيلي ، وفي اي مجال يستطيعون مساعدتنا في هذه العملية ؟ وقلت اننا نستطيع تعبئة ما بين ستة الى ثمانية الوية من المشاة والمدفعات ضد الجبهة المصرية ، كما اننا نستطيع تخصيص سبعين طائرة مقاتلة « ميستير » و « اوراجون » و « ميتيور » . وسألني الفرنسيون عما اذا كنا فكرنا في تقسيم

قطاعات المعركة ؟ وقلت لهم اننا نرى ان القطاع المحدد لعمل قواتنا البرية هو شرق قناة السويس ، ونفس الشيء بالنسبة إلى قواتنا الجوية، فيما عدا بضعة اهداف محددة اخرى ، وقلت لهم انني اعتقد ان الفرنسيين يجب ان يستولوا على منطقة القناة ، ويشلوا عمل المطارات المصرية غرب القناة . وكانت مشكلتة المطارات المصرية بالغة الاهمية بسبب احتمال وجود طيارين او خبراء اجانب في مصر ، فضلا عن انه يمكن في تقديرنا جلب طيارين متطوعين من تشيكوسلوفاكيا او بولندا لقيادة الطائرات اذا بقيت المطارات سليمة . وفيما يتعلق بالقطاع البحري ، فقد كان رأيي تقسيم المهام بحيث يتولى الاسطول الاسرائيلي مهمة الدفاع عن الشواطئ الاسرائيلية في نفس الوقت الذي يتولى فيه الاسطول الفرنسي تدمير الاسطول المصري .

وعندما قلت ان قطاع عملياتنا يجب ان يقتصر على شرق السويس ، سألني الفرنسيون عما اذا لم يكن في نيتنا اقامة رأس جسر الى الضفة الغربية من القناة ، واجبت بالنفي دون ان اعلم هدفهم من هذا السؤال ، ولكنني فهمت من سؤالهم التالي ما كان يدور في رؤوسهم . فقد تساءلوا عن القاهرة ، وسألوني كيف اتصور نهاية الحملة ، وعما اذا كنت اعتقد انه من الضروري الاستيلاء على القاهرة . وقلت ان الاستيلاء على القاهرة قد يخلق تعقيدات سياسية حادة ، وهي تعقيدات ربما كان من الافضل تجنبها . وقلت لهم ان الموضوع على اي حال موضوع سياسة عليا بيت فيه على القمة ، وان ما ابديته من رأي كان انطبعا شخصيا .

ولم اتمكن من ان اجعل الفرنسيين يفضون الي « بتفصيلات محددة عن خططهم ، وحين سألتهم عن حجم القوة التي يمكن ان تشترك ، كان ردهم ان خطط الحملة الفرنسية البريطانية وضعت على اساس اشتراك اربع فرق من المشاة ، وعلى قصف عنيف للمطارات المصرية .

وسألني الوفد الفرنسي عن مطالبنا من السلاح ، وقدمت لهم قائمة بطلباتنا ، وكانت تتضمن دبابات ونصف جنزير وناقلات جنود تستطيع الحركة على الرمال ، ومدافع مضادة للدبابات وطائرات . ويبدو لي انهم كانوا يتوقعون طلبات اكثر من جانبنا .

وفيما يتعلق بالتوقيت ، فقد ذكرت الفرنسيين ان الجيش الاسرائيلي يرتكز اساسا على احتياطيه ، وانه يمكن تعبئة هذا الاحتياطي بسرعة كبيرة ، ولكننا لكي نقوم بهذه التعبئة بطريقة مريحة فاننا نحتاج ما بين خمسة الى سبعة ايام، فاذا اخذنا تقديراتهم كاساس لحساباتنا على اعتبار ان مجلس الامن سوف ينتهي من مداولاته في ١٢ اكتوبر ، وان قرارا سياسيا نهائيا يمكن ان يصدر يوم ١٥

اكتوبر ، فان الجيش الاسرائيلي يمكن ان يكون جاهزا للعمل ابتداء من ٢٠
اكتوبر » .

.
.

« لم يكن الفرنسيون قد استقروا بعد على مسألتين في منتهى الاهمية
بالنسبة إلى الحملة: البداية، والنهاية. وبالنسبة إلينا فإن هاتين المسألتين كانتا
محلولتين : لم نكن نحتاج إلى مبرر لبدء الحملة ضد مصر. وبالنسبة الى النهاية
فلم نكن نريد احتلال سيناء الى الابد ، ولكن كنا نريد ضمان حرية الملاحة الى
ايلات ، وتدمير الجيش المصري الذي يهدد اسرائيل في سيناء ، ووقف عمليات
المفدائيين ضد اسرائيل من قطاع غزة » .

وكنا نحن ايضا نريد ان نرى ناصر يسقط ، ويجيء بدلا منه نظام مصري
يستطيع انشاء علاقات سليمة مع اسرائيل .

وكان في استطاعتي ان افهم تردد « بن جوريون » بشأن الاقتراح البريطاني
الفرنسي بان نبدأ نحن بالهجوم في المرحلة الاولى من الحملة ٠٠٠ كانت هناك
اسباب سياسية وعسكرية تؤيد وجهة نظره ، ومع ذلك فما نحن الان امام فرصة
لن تعوض للعمل ضد مصر بالتعاون مع فرنسا ، وربما مع بريطانيا ايضا ٠٠٠
اننا لن نكون وحدنا ، وكان ظني ان الامسك بهذه الفرصة يقتضينا جهدا ضخما ،
وهو جهد لصالحنا ، حتى لا تضيع منا هذه الفرصة التاريخية .

وعدنا الى اسرائيل ، ومعنا الوفد الفرنسي الذي سيتفقد قواعدها ، وبينما
ذهبنا نحن لتقديم تقريرنا الى بن جوريون ، توجه الوفد العسكري الفرنسي الى
عمله مباشرة . وفي نفس الليلة دعوت هيئة اركان الحرب الى اجتماع لاطعيتهم
الامر الانذاري الاول ، وقد اخطرتهم بالاحتمال القوي لعمل مشترك مع فرنسا ،
وربما بريطانيا ، ضد مصر . واوضحت ان القرار النهائي لم يتخذ بعد بواسطة
حكومتنا او حكومتهم ، ومع ذلك فاني اقدر بدء العمليات في ٢٠ اكتوبر ٠٠ ثمانية
ايام من الان ، وان تقديري لمدة الحملة هو انها قد تستغرق ٣ اسابيع . وقلت لهم
إن حلفاءنا سوف يتولون تدمير المطارات المصرية والاستيلاء على منطقة قناة
السويس ، وان مهمتنا ستكون احتلال شبه جزيرة سيناء . وعلينا ان نكون
مستعدين لاحتمال اشتراك دول عربية اخرى ضدنا تضامنا مع مصر ، وعلى
هذا الاساس فانه يجب تأمين الجبهتين السورية والاردنية . وقلت لهم اننا لن
نصدر الامر بالتعبئة العامة في هذه المرحلة ، ولكن الترتيبات للتعبئة يمكن ان
تبدأ الان ، وطلبت ايضا استدعاء كل ضباطنا الذين يحضرون دورات دراسية
او تدريبية في الخارج ، وبشأن المحافظة على سرية نوايانا ، فقد قلت لهم ان

استعداداتنا يمكن شرحها بانها اجراءات مضادة لاحتمال دخول قوات عراقية الى الاردن .

.
.

« وفي صباح اليوم التالي ٣ اكتوبر ، تلقيت من رئيس الوزراء مذكرة كتبها في الليلة السابقة ، وقال انها تلخص آراءه تجاه « الخطة » ، وكان التحفظ باديا في مذكرة « بن جوريون » ، فقد اشار فيها الى انه بدون اشتراك البريطانيين فان اسرائيل قد تتعرض لمخاطر شديدة ، وخصوصا اذا شن الطيران المصري غارات على المدن الاسرائيلية ، لانه بدون اشتراك البريطانيين فان مقدرة فرنسا على شل المطارات المصرية سوف تكون ضعيفة . وبما ان هناك احتمالا في ظروف معينة بان يعمل الطيران الفرنسي من اسرائيل وليس من قبرص ، فمعنى ذلك ان اسرائيل وحدها ستكون هدف الهجمات الجوية المصرية . ولم تنته مذكرة « بن جوريون » الى قبول او رفض محدد « للخطة » ، ولكنها انتهت بضرورة ان يكون الفرنسيون على علم وثيق وواضح فيما يتعلق بمضاعفات الخطة على اسرائيل . ولم يكن واضحا لي ما هو المقصود من هذا التحذير ، فان الفرنسيين كانوا مثلنا تماما يفضلون اشتراك بريطانيا ، ولم يكن رضانا بقصر العمل بين فرنسا واسرائيل وحدهما الا قبولاً لعدم وجود خيار اخر .

وكان مقررا ان يقوم الوفد الفرنسي بزيارة لرئيس الوزراء في القدس ظهر ذلك اليوم ، وقد ذهبت الى مكتب « بن جوريون » بصحبة « شيمون بيريز » مبكرا لالقاءه قبل اجتماعه بالوفد الفرنسي ، ووجدته قلقا ، وقد فتر حماسه . وقال لي انه يفكر في ان يكتب مباشرة الى رئيس الوزراء الفرنسي « جي موليه » معبرا عن شكره في العملية ، ورجوته ان لا يفعل ، وان ينتظر انتهاء زيارة الوفد الفرنسي ، وحتى نسمع منهم مقترحاتهم المحددة لقد كان من السهل في ذلك الوقت اخماد نيران حماسة الحكومة الفرنسية لشن الحرب ضد مصر ، ولكن اشعال هذه الحماسة من جديد قد يصبح امرا مستحيلا .

وقلت « لبن جوريون » ان مخاوفه فيما يتعلق بقوة الطيران المصري على ضرينا مبالغ فيها ، وان اعتقادي هو ان الطيران الفرنسي حتى بدون البريطانيين قادر على الحاق ضرر كبير بالطيران المصري .

واحسست ان لهجتي حادة بعض الشيء ، ولكني لم اندم . اذا كانت فرنسا مستعدة ان تعمل معنا الان عسكريا ضد ناصر ، فانه يصبح منتهى سوء التقدير ان نرفض نحن عرضهم وان نعود الى مواجهة مصر وحدنا .

وجاء الوفد العسكري الفرنسي لمقابلة « بن جوريون » ، وقد اعربوا له

مرة اخرى عن املهم في ان يسمح لهم بالعمل من قواعد في قبرص ، حتى بدون اشتراك البريطانيين في العملية ، واذا لم يتيسر لهم ذلك فانهم يريدون ان يكون لهم حق استعمال القواعد الاسرائيلية . وسألهم « بن جوريون » كيف يتصورون عملية اسقاط عبد الناصر ، اذا كان هدفهم هو مجرد احتلال منهلقة القناة ؟ ان القوات المصرية سوف تبقى في اجزاء من مصر لم يجر احتلالها ، وسوف تواصل من هناك حربا ضد الجيش الفرنسي المحتل ، وقد يطلب ناصر مساعدة الاتحاد السوفيتي . ووافق الفرنسيون على ان ذلك ممكن ، واعترفوا بأنه ليس لديهم حلول لهذه المشكلة ، طبقا للخطة المطروحة حاليا ، .

.

« وعدنا الى تل ابيب بعد الظهر ، وعقدنا اجتماعا ختاميا مع الوفد الفرنسي ، ناقشنا فيه مشكلتين فئيتين ، اولاهما احتمال استعمال الفرنسيين لقواعد اسرائيلية كبديل لقبرص ، والثانية القائمة الجديدة بالمساعدات العسكرية الفرنسية للجيش الاسرائيلي .

ورغم ان اجتماعنا بالوفد الفرنسي كان مخصصا بالدرجة الاولى للعمليات العسكرية ، فقد كان محتما ان نلمس فيه بعض الجوانب السياسية . فقد واجهنا في اجتماعاتنا الاولى في باريس ، ثم في اجتماعنا مع « بن جوريون » في القدس السؤالان اللذان يفرضان نفسيهما كل مرة ، وهما : كيف تبدأ العملية العسكرية؟ وكيف تنتهي ؟

وكنت في كلامي عن خطتنا العسكرية قد قلت انني انطلق من افتراض ان بداية العملية ستكون هجوما فرنسيا بالقوات البرية يتفق تماما مع بدء حركتنا نحن على القطاع المنخص لنا في سيناء . وسألني الوفد الفرنسي الان عما اذا كنت اعتقد انه من الضروري تنسيق الهجومين في نفس اللحظة ، واجبت بان ذلك له اهمية عسكرية كبرى ، لان عملية انزال فرنسي على شواطئ مصر سوف تفرض على ناصر ان يحول جزءا كبيرا من قواته لمواجهةهم ، تاركا بقية قواته في سيناء بدون اي تعزيزات . قلت ايضا ان هناك جانبا سياسيا له اهميته ، ذلك ان رد الفعل لدى عدد من الدول العربية ، كسوريا ولبنان ، وربما الاتحاد السوفيتي وامريكا ، سوف يختلف اذا كانت فرنسا موجودة في العملية منذ اللحظة الاولى ، عنه فيما اذا قامت اسرائيل وحدها بمهاجمة مصر . وقال الفرنسيون انهم يوافقون على هذا التقييم ، ولكنهم يرون اننا يجب ان نعرف انه سوف يكون من الصعب على القوات الفرنسية ان تبدأ عملها في نفس اليوم معنا . ثم سألوني نفس السؤال الذي طرحه « بن جوريون » عليهم ، والذي سوف تسألهم اياه حكومتهم عندما يعودون ، وهو : ماذا سيحدث اذا استطاع كل منا في قطاعه ان يحتل ما هو مطلوب منه - اسرائيل لسيناء ، وفرنسا لمنطقة قناة السويس - ثم لم يؤد

ذلك الى سقوط النظام المصري ؟ ماذا اذا قرر ناصر ان يشن حربا شعبية ؟ اليس هناك خطر ، والامر كذلك ، ان نجد انفسنا غارقين حتى نقوننا في صراع طويل وممتد ؟

كانت هذه بالفعل مشكلة خطيرة ، ولم يكن هناك رد بسيط او محدد عليها ، ولكنها كانت مشكلة لفرنسا اكثر منها لنا ، وقد اثارها « بن جوريون » لانه كان يريد ان يعرف كل ما يمكن ان يعرفه قبل ان يتخذ قراره الحاسم . وكان يعرف ان هزيمة سياسية عسكرية لاسرائيل يمكن ان تهزها الى الاعماق ، واما بالنسبة لفرنسا فانها لم تكن كبيرة الى هذه الدرجة ، ذلك انها اذا اضطرت في مرحلة من المراحل الى سحب قواتها قبل تحقيق اغراضها ، فان ذلك لن يقوض دعائم وجودها نفسه .

واضفت قائلا للوفد الفرنسي انه ليس امام اسرائيل وفرنسا ما تخسرانه ، ان ناصر يواصل اعماله العدائية ضدنا وليس هناك امل في ان يتوقف عن ذلك بدون عمل حازم من جانب اسرائيل ، ونحن نريد ان نسأل الفرنسيين عما اذا كانوا يستطيعون حل مشاكلهم في المغرب والجزائر بدون عمل ضد مصر التي تساعد وتشجع اعداء فرنسا . وخلال المناقشة حول كيفية انهاء الحملة ، لم يكن في مقدوري ان اتغلب على الاحساس بان الفرنسيين كانوا يثيرون عمدا هذه المسألة في نفس الوقت الذي كانوا يتساءلون فيه عن بداية الحملة . كانوا ما زالوا على الحاحهم في ان نبدأ نحن بالعمليات قبلهم ، وكانوا يعرفون موقفنا الامني ، وكانوا متنبهين الى رغبتني القوية في بدء عمل بالتوازي بيننا ، ووضحوا لي مخاوفهم من ان يؤدي ذلك الى شكوك لدى الحكومة الفرنسية عندما تتخذ قرارها بشأن بدء العمليات . وباختصار فان الصفقة التي كانوا يعرضونها هي ان نبدأ نحن قبلهم لتسهيل دخولهم وان يتأكدوا هم من ان نهاية العمليات سوف تحقق لنا ما نريد (الخلاص من ناصر) .

وفي اليوم التالي ٤ اكتوبر ذهبت لمقابلة « بن جوريون » في الساعة العاشرة صباحا في القدس لاقدم له تقريرا عن المحادثات النهائية مع الوفد الفرنسي ، ولاتلقى منه موافقته على المضي في الاستعدادات ، ووجدته اكثر هدوءا ، وقد وافق بسرعة على اقتراحي بالاستمرار في استعداداتنا لتكملة خطة العمليات بالتعاون مع الفرنسيين دون ان ننتظر مداولات مجلس الوزراء ، او قراره . ووضحت لـ « بن جوريون » اننا ونحن نتسلم معدات فرنسية طلبناها ، فاننا نأخذها على انها قرض مؤقت لحساب العملية . فاذا الغيت العملية فانه سيكون امامنا اما ان نعيد المعدات او ندفع ثمنها .

وفي ٨ أكتوبر عقدت اجتماعا مشتركا لقيادات قواتنا المسلحة ، وفيه
عرضت خطة عملياتنا ضد مصر في سيناء ، واخترنا لها الاسم الرمزي
(العملية قادهش » .

.
.

لم تنته بعد رواية « ديان » . . . فهذا هو الجزء الاول منها . . . وما يليه
اخطر بكثير !

الحديث الخامس عشر:

لأول مرة ...

نصوص معاهدة "سيفر" السرية

ما زال « موشي ديان » وزير الدفاع الاسرائيلي السابق ورئيس هيئة اركان حرب الجيش الاسرائيلي وقت السويس ، هو الذي يتكلم ...
ما زالت الرواية له ، نقلا عن كتابه الاخير ... « قصة حياتي » ،



« في ليلة ١٨ أكتوبر وصلت برقية من « جي موليه » رئيس وزراء فرنسا يدعو فيها « بن جوريون » الى باريس ، ورتبنا سفرا الى باريس مساء يوم الاحد التالي ٢١ أكتوبر ، وكنا قد تلقينا تفصيلات عن اجتماع تم فسي اليوم السابق بين البريطانيين والفرنسيين في باريس ، وفي هذا الاجتماع سلم البريطانيون الى الفرنسيين مذكرة تحتوي على فقرتين وقع عليها « انتوني ايدن » ، وطلب الى الفرنسيين نقلها الينا . وكان البريطانيون يشعرون ان ذلك سوف يساعدنا على الوصول الى قرار ، ويقنعنا بان نبدا الحملة فسي سينا وحدنا ، ونصل الى القناة .

كانت الفقرة الاولى نقرر ان بريطانيا وفرنسا تطلبان من مصر واسرائيل ان تبتعدا بقواتهما عن منطقة قناة السويس ، وانه اذا رفض احد الطرفين الاستجابة ، فان القوات البريطانية الفرنسية سوف تتدخل ضده لتضمن سلامة المرور في القناة . وكان الهدف من هذه الفقرة أن توفر أساسا قانونيا وسياسيا وأخلاقيا لعملية غزو مصر بواسطة قوات بريطانيا وفرنسا . وكانت الفقرة الثانية تعلن ان بريطانيا لن تقوم بمساعدة مصر اذا قامت الحرب بينها وبين اسرائيل ، ولكن ذلك لم يكن الموقف تجاه الاردن الذي كانت تربطه ببريطانيا معاهدة دفاعية سارية المفعول . وكان القصد من هذه الفقرة على ما يبدو طمانتنا الى أن بريطانيا لن تدير مدافعها نحونا حتى اذا طلبت مصر منها ذلك . ولم يستطع « بن جوريون » بطبيعة الحال أن يعتبر هذه المذكرة أساسا لعمل مشترك ، وقد أصر على أننا لن نكون الطرف الذي يبدأ الحملة ، ويمثل دور المعتدي ، في حين يبدو البريطانيون والفرنسيون فسي مظهر ملائكة السلام الذين يعيدون الامن الى المنطقة . وهكذا ، فانه لم يكن مستعدا لتقسيم الادوار على نحو يجعل اسرائيل - على حد تعبيره - تنحدر الى حماة العار ، في حين تقوم بريطانيا وفرنسا بغسل أيديهما فسي مياه الطهارة والنقاء .

وقلت لـ « بن جوريون » ان هذه المسألة - في تصوري - ينبغي النظر اليها من ناحية أخرى . وكان رأيي أن بريطانيا وفرنسا لا تحتاجان الينا فسي

هذه الحملة ، وأن الخمسمائة طائفة التي ستضعها الدولتان للعمل ضد مصر سوف تكون كافية لتدمير السلاح الجوي المصري ، وذلك هو نفس الحسب بالنسبة الى القوات البحرية. والميزة الوحيدة التي نملكها نحن في هذا الصدد ونقفق فيها عليهم هي أنهم لا يملكون القدرة على اعطاء أنفسهم مبررا كافيا لبدء العمليات ، وكانت تلك « تذكرتنا » الوحيدة للدخول الى « نادي » حملة السويس . وفوق ذلك فان موقفنا تجاه مصر يختلف عن موقف بريطانيا وفرنسا ، فان ناصر ما زال مستمرا في اعلان ان هناك حالة حرب بين مصر واسرائيل ، ولقد اتبع كلماته بالعمل عندما فرض الحصار على مضايق تيران . وعندما وجه الينا غارات الارهابيين .

وهذا يفرض علينا ، وحتى بدون ارتباط بين مصالحنا ومصالح كل من بريطانيا وفرنسا ، ان نأمر جيشنا باختراق الحدود ، وكثيرا ما اصطدمنا بالجيش المصري . ان الافتراض البريطاني اذن صحيح : فنحن نملك في ايدينا ان نقدم المبرر . . . نحن في موقف يسمح لنا بـ « تسليم البضاعة » .

ثم ان علينا بعد ذلك ان نقرر ما الذي سيحدث اذا رفضنا الاقتراح البريطاني . كنت ارى - وقد قلت لبن جوريون - اننا سوف نفقد فرصة تاريخية لن تعود مرة اخرى ، ذلك ان صراعنا مع ناصر مستمر ، ولكننا سوف نكملة وحدنا وبدون قوات بريطانيا وفرنسا ، وبدون المعونة العسكرية التي تقدمها لنا فرنسا فسي اطار خطة العمليات المشتركة . وفي مثل هذه الاحوال ، ومن وجهة نظر سياسية ، هل نستطيع وحدنا ان نشن حربا لاحتلال شرم الشيخ كي نؤمن حرية الملاحة الى ايلات؟ والا نوصم باننا معتدون ونتعرض لضغوط عنيفة من جانب الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي اذا فعلنا ذلك؟ وكنت اعتقد ان « بيرجس مانوري » كان على حق عندما قال لنا ان علينا ان نساعد في بداية العمليات لكي يساعدنا الآخرون بالطريقة التي تنتهي بها .

هكذا كنت معتقدا أنه اذا استطاع الفرنسيون ان يأخذوا على عاتقهم بواسطة اسطولهم حماية شواطئنا ، كذلك اذا استطاع طيرانهم ان يساعد في الدفاع عن حيفا وتل أبيب ، فان علينا ان نقبل الخطة المقترحة وأن نتولى نحن بداية العمليات ، على شرط أن تلحق بنا القوات الفرنسية والبريطانية في ظرف يومين اثنين ، وان تحتل منطقة القناة .

.....
.....

« وفي صباح يوم ٢١ أكتوبر وصلت طائفة من فرنسا لتقلنا لاجتماع باريس اننا سوف نسافر في المساء ، وسوف تكون هذه رحلة الى القرار .

لقد مضى الوقت واستنفذت كل جوانب المناقشة ٠٠٠ ما بقي هو المفاوضات من أجل رسم حدود التعاون العملي بين الاطراف ، واصدار قرار نهائي .

وكان اثنان من أعضاء الوفد الفرنسي السابق قد قدما على الطائرة التي جاءت لتقلنا ، وفي الساعة الحادية عشرة صباحا دخل الاثنان الى مكتبي . كان مجيئهما الى اسرائيل غير متوقع ، ولكن غرضهما كان واضحا : كان المطلوب هو أن تبدأ المفاوضات حتى من قبل أن نصل الى باريس كان الموضوع الرئيسي هو « المبرر » أو « السيناريو » - على حد التعبير الذي كان يستعمله أعضاء الوفد الفرنسي أن بريطانيا لم تكن قد تزحزحت عن موقفها ، وقد جاء زوارنا برجاء أن نقبل ، وكان قولهم انهم يعرفون أن الاقتراح البريطاني ليس أفضل الاقتراحات بالنسبة لنا، ولكنهم كان في رأي البريطانيين الاساس المعقول الوحيد الذي يمكن لبريطانيا ان تتعاون بمقتضاه انها سوف تشترك في الحملة اذا استطاعت ان تظهر في مظهر الوسيط الذي يتدخل ليعيد النظام . وكانت المناقشة حامية ، وقد سألتهم عما اذا كان السلاح الجوي الفرنسي سوف يهب لمساعدتنا اذا ما تعرضت مدننا للقصف خلال الساعات الأربع والعشرين الاولى ، وعندما تكون طائراتنا كلها مشغولة فوق ميدان القتال ؟ وكان ردهم بالسلب ، وأضافوا أن بريطانيا تعترض على هذه الفكرة لانها - في رأيها - سوف تفسد « السيناريو » . وعند هذه النقطة انفجرت غضبا من المنطق نفسه ومن كثرة ترديد كلمة « السيناريو » ، وقلت لهم أن « شكسبير » كان كاتب سيناريو عبقري ، ولكنني أشك في أن أحدا في مجلس الوزراء قد ورث مكانته .

وقد قلت لهم انه فيما يتعلق بي ، فاني لا أستطيع أن أزيد اقتراحا بقيام شركة ، يقوم أحد أطرافها بكل العمل في حين يجيء الشريك الاخران ليظهرا بالعمل ضده . واذا كان علينا ان نقاتل المصريين وحدنا ، فان لنا في هذه الحالة أن نقرر متى وكيف نقوم بذلك محكومين بما يناسبنا ، ولست أتصور كيف يمكن أن نترك الطائرات المصرية تضرب تل أبيب لان طائراتنا سوف تكون مشغولة لتمهيد الطريق للغزو البريطاني الفرنسي لمنطقة القناة؟ لقد كان من غير المعقول في رأيي أن شركاءنا لا يجيئون لمساعدتنا لكي لا يفسد « السيناريو » . وقد سألتني الوفد الفرنسي عما اذا كانت هذه المشكلة يمكن حلها بوضع مجموعة من الاسراب المقاتلة الفرنسية التي يمكن ان تشترك في العمليات في حالة الضرورة ، « بالتحديد في حالة الدفاع عن المدن الاسرائيلية ضد هجوم من الجو » ؟ وكان ردي ان ذلك اقتراح جديد يستحق البحث . وفي الحقيقة فقد كان لدي حل أكثر بساطة . اننا سوف نقوم بهجومنا البري المقترح على نطاق صغير نسبيا ، وسوف يكون جزء منه على مقربة من قناة السويس . ان هذا قد لا يحفز المصريين على رد سريع بضرب المدن

الاسرائيلية حتى لا نرد نحن بالمثل ، ولكن هذا العمل قد يكون ميسراً
للبريطانيين والفرنسيين . وفي نفس الوقت فقد قلت أنني ما زلت متمسكاً
بالحصول على مساعدة جوية فرنسية في حالة الضرورة . وتوجهنا قبيل
الغروب الى المطار لتأخذ الطائرة الى فرنسا ، وكان وفدنا على النحو التالي:

بن جوريون ومرافق له ، شيمون بيريز ، مدير مكتبه مردخاي بارأون ،
وأنا . وفي السيارة في طريقنا الى المطار قلت لبن جوريون عن مهمة الاثنيسين
من الوفد الفرنسي اللذين جاءا مع الطائرة .

وعندما سمع بن جوريون أنهم ما زالوا في باريس يلحون علينا في قبول
الخطة البريطانية ، اراد ان يلغي الرحلة . وعندما وقعت عيننا بن جوريون
على عضوي الوفد الفرنسي قرب الطائرة كان يحاول السيطرة على مشاعره
بصعوبة ، وقال لهما : « اذا كنتم ما زلتم تفكرون في اقناعنا بالمقترحات
البريطانية ، فان الفائدة الوحيدة لهذه الرحلة هي انها تتيح لي الفرصة
للتعرف على رئيس وزرائكم » .

وحالت سحب كثيفة شطت وسط فرنسا دون نزولنا الى باريس ، فرجعنا
الى مارسيليا للتزود بالوقود ، ثم عدنا مرة اخرى الى باريس ، وظلمنا
نحلق فوق المطار حتى استطاع الطيار أن يجد فجوة بين السحب فهبط في
مطار « فيلاكوبلاي » يوم ٢٢ اكتوبر ، بعد سبع عشرة ساعة من الحياة
في الطائرة .

.....
.....

« واستضيف « دافيد بن جوريون » مع مرافقه في فيلا بقرية سيفر ، في
ضواحي باريس ، حيث جرت كل المحادثات فيما بعد ، في حين ذهبنا -
« شيمون بيريز » و « مردخاي بارأون » وأنا - الى فندق في باريس ، وبعد
بضع ساعات من الراحة ، بدأ اجتماعنا الاول في الساعة الرابعة بعد
الظهر وقد دعى لحضوره من الجانب الفرنسي كل من رئيس الوزراء « جي
موليه » ووزير الخارجية « كريستيان بينو » ووزير الدفاع « بيرجس مانوري » .
وكان وفدنا يتألف من « بن جوريون » و « شيمون بيريز » وأنا ، واستمرت
محادثتنا حتى الساعة السابعة مساء . وكانت بداية الاجتماعات مناقشة
عامة حول الاوضاع الدولية ، ثم اقتربنا من الموضوعات الاساسية في
محادثتنا حينما بدأ « بن جوريون » يقدم اقتراحا من جانبه عن اععادة
ترتيب الاوضاع في الشرق الاوسط عامة . قال ان الاردن ليست قابلة للبقاء
كدولة مستقلة ، وانه يجب تقسيمها بحيث يذهب الجزء الشرقي من الاردن الى
العراق ، بشرط تعهده باعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين ، واما غرب

الأردن فيجب أن يصبح اقليما ذا سيادة ذاتية كجزء من إسرائيل . وأما لبنان فيجب أن يتنازل عن المناطق الإسلامية فيه لكي يضمن استقراره في المناطق المسيحية . وبمض هذه الترتيبات في بناء الشرق الأوسط الجديد فإن بريطانيا تستطيع أن تمارس نفوذها على العراق ، الذي سوف يضم شرق الأردن ، كذلك فإن سيطرتها قائمة في المناطق الجنوبية من شبه الجزيرة العربية . وأما فرنسا فسوف يكون لبنان منطقة نفوذها ، وربما سوريا كذلك ، مع احتفاظ فرنسا بعلاقة خاصة بإسرائيل . وفي نفس الوقت فلا بد من تدويل قناة السويس ، ووضع مضائق تيران تحت السيطرة الإسرائيلية . ولم يكن ذلك قابلا للتنفيذ فورا ، ولكن بن جوريون كان يرى أن محاولات يجب أن تبذل لاقتناع الولايات المتحدة وبريطانيا بتأييد هذه الأهداف . وكان « بن جوريون » يرى أن الموقف الراهن - وهذا الاجتماع بالذات - فرصة مناسبة لدراسة مستقبل الشرق الأوسط بقصد الوصول إلى سياسة مشتركة بين الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وإسرائيل . واقترح « بن جوريون » أنه لا داعي للاسراع في ترتيب حملة عسكرية ، وإنما يجب أن نعطي أولوية لبحث الممكنات السياسية . كان يعتبر أن الوقت ناضج لإعادة التقييم ، فبريطانيا تقف وسط حطام سياستها في الشرق الأوسط ، حيث تمكن ناصر من تأمين القناة ، وحيث فازت العناصر المعادية لبريطانيا في انتخابات الأردن ،

.....
.....

« واصفى الفرنسيون باهتمام لأراء بن جوريون ، ولكنهم لم يكونوا يريدون لشيء أن يحولهم عن الموضوع العملي المحدد الذي اجتمعنا لبحثه ، وهو موضوع الحملة العسكرية ضد مصر .

وكان رئيس الوزراء الفرنسي يرى أنه من الصعب اقتناع الأمريكيين للعمل بالقوة لاسقاط ناصر ، وقال ان مشكلة حلفاء أمريكا الأوروبيين أن أمريكا متأخرة عنهم في فهم مشاكل أوروبا بفجوة زمنية مقدارها سنتان . في الحرب العالمية الأولى لم يتحقق الفهم الأمريكي الا سنة ١٩١٧ ، وفي الحرب العالمية الثانية لم ينضموا اليها سنة ١٩٣٩ ، وتأخروا الى نهاية سنة ١٩٤٠ . وهكذا فان تنبهم الى خطورة ما اقدم عليه ناصر بتأميم قناة السويس لن يستقر في عقولهم قبل سنتين ، وفوق ذلك فان الأمريكيين يريدون اكبر اهتمام بعلاقاتهم مع الاتحاد السوفيتي . وكان « كريستيان بينو » وزير الخارجية أكثر صراحة من « جي موليه » ، فقد حذر بن جوريون من أنه ، وهو يحاول حل كل المشاكل مرة واحدة ، لن يحل شيئا . وكان رايه انه لا الولايات المتحدة ولا بريطانيا على اعتماد الان لبحث قضايا كبيرة الى هذا الحد . وقال « بينو » أن ايدين شديد الحماسة لعمل ضد

مصر ، ولكنه يواجه صعوبات كبرى ، وهو يواجه معارضة في البرلمان من جانب حزب العمال ، وأيضا من داخل حزبه ، بل ومن داخل مجلس الوزراء ، وأنه كلما طال التأخير ضعف موقفه ، بينما على العكس من ذلك . موقف ناصر يزداد قوة ، كل يوم ، وتتوثق صلاته بالاتحاد السوفيتي . وكان رأيه أن هذا هو وقت العمل وإلا أفلتت الساعة الملائمة وأشار « بينو » إلى ثلاثة عوامل تؤيد ضرورة الحركة بسرعة :

● أولها فني ، ذلك أنه بعد أكتوبر سيبدأ الموسم العاصف في البحر الأبيض ، وتصبح عمليات الانزال مستحيلة .
وكانت بقية العوامل سياسية .

● فمن ناحية ، فإن الولايات المتحدة – في عشية انتخابات الرئاسة القادمة في نوفمبر – لن تجد وقتا للاهتمام بالشرق الأوسط ، ولا بد من استغلال هذه الفرصة لبدء العمليات .

● ومن ناحية أخرى ، فإن الاتحاد السوفيتي مشغول بالقلق داخل أوروبا الشرقية ، وبالذات في بولندا ، مما يقيد حركته .

وحاول « بن جوريون » مرة أخرى أن يلفت نظر الفرنسيين الى ضرورة حل المشاكل الكبرى مرة واحدة بدلا من حلها بالتقسيم . وأضاف أيضا انه لا بد من اجراء محادثات صريحة مع بريطانيا للتأكد من حسن نواياها ، كما أصر على أن يكون من أهم أهدافنا قلب نظام ناصر ، والعثور على نظام أكثر اعتدالا في مصر . واما الثالث فهو إعادة ترتيب اوضاع الشرق الأوسط ، وقال أننا اذا كنا سنمطي الأولوية للمحادثات مع بريطانيا وقلب ناصر ، فأننا يجب أن نقوم بذلك في إطار تصوراتنا لمستقبل الشرق الأوسط . وطلب وزير الخارجية الكلمة مرة أخرى ليطلع على ضرورة التركيز على تفاصيل حملة السويس . وتبعه وزير الدفاع « بيرجس مانوري » الذي أوضح انه اذا لم تبدأ الحملة في خلال أيام فان فرنسا قد تضطر الى التراجع عنها ، ففرنسا لا تستطيع ان تستبقي عددا من بواخرها المعدة لنقل الجنود عاطلة ، ولا تستطيع الاحتفاظ بالقوات التي حشدتها معطلة . واما فيما يتعلق بمخاوف اسرائيل ، فان بيرجس مانوري قال انه – كوزير للدفاع في فرنسا – يستطيع أن يضمن أن بوارج الاسطول الفرنسي سوف تحمي النشاط الاسرائيلي ، بل وسوف تساعد في أعمال الدفاع الجوي ، وأبدي استعدادة فوق ذلك للموافقة على تمركز وحدات من السلاح الجوي الفرنسي في اسرائيل لتقوم عند اللزوم بمهام الدفاع الجوي ، .

.....
.....

« وفي الساعة السابعة مساء وصل وزير الخارجية البريطاني سلووين لويد ومعه مستول كبير من وزارة الخارجية البريطانية ، ولم يأت سلووين لويد الى غرفة اجتماعاتنا مباشرة ، وانما بدلا من ذلك ذهب اليه الوفد الفرنسي ، حيث اغلقوا على انفسهم باب غرفة اخرى ، وراحوا يسمعون من الفرنسيين تفاصيل الموقف الاسرائيلي ، وعاد الفرنسيون الينا بعونهم واستأنفنا حديثنا ، وكنا قد وصلنا الى ما بدا لنا الان وكأنه طريق مسدود ، فقد كان « بن جوريون » ، على غير استعداد لقبول وجهة النظر البريطانية ، وقال انه من الافضل لنا ان نعود الى اسرائيل في الصباح . وقال « بيسرجس مانوري » من ناحيته انه سوف يبحث جديا في مسألة فك تعبئة قوات السويس اذا لم نصل الى قرار قبل نهاية الاسبوع .

وعاد « كريستيان بينو » وقرا جدولا بأخر المقترحات البريطانية ، وكانت كما يلي :

● تبدأ اسرائيل العمليات العسكرية ضد مصر .

● توجه فرنسا وبريطانيا انذارا الى كل من مصر واسرائيل تطلبان فيه انسحاب كل منهما عن منطقة القناة .

● يبدأ ضرب المطارات المصرية فور انتهاء مدة الانذار .

وتقرر ضرورة اجراء محادثات اخرى مع البريطانيين ، وفي هذه المرة دعينا الى حضورها ، وتولينا - بن جوريون وانا - تمثيل اسرائيل ، واستمر هذا الاجتماع الثلاثي الاول لمدة ساعة ونصف الساعة ، ثم استأنفناه مرة اخرى بعد عشاء سريع ، وانضم « شيمون بيريز » الى وفدنا بعد العشاء ، واستمر اجتماعنا حتى منتصف الليل ، ثم خرج « سلووين لويد » متوجها الى لندن لينقل مقترحاتنا الى رئيس وزرائه .

كان الاجتماع الذي فرغنا منه اجتماعا غريبا ، ففي ملاحظاتهم الافتتاحية اظهر كل من « سلووين لويد » و« دافيد بن جوريون » تشيدا حادا ، ومع ذلك فان كل منهما ابدى قبل نهاية الاجتماع مرونة ظاهرة . وربما كان وزير خارجية بريطانيا رجلا ودودا ولطيفا وجذابا ، ولكن اذا كان الامر كذلك فلقد ابدى مقدرة عبقرية على اخفاء فضائله ، فلم يكن ممكنا ان يكون سلوكه اكثر عداوة ، وكانت تصرفاته كلها تنطق بالقرف من المكان ومسمن الصحبة ومن الموضوع . كانت ملاحظاته الاولى اشبه بأسلوب تاجر يساوم للحصول على اكثر ما يمكن باقل ما يمكن ، ووصل الى حد ان يقول

لنا انه في الحقيقة يعتقد بإمكانية الوصول الى اتفاق بشأن قناة السويس في ظرف عشرة أيام ، وقال أن محادثاته مع وزير خارجية مصر « محمود فوزي » في نيويورك كانت مثمرة . وكان لنا ان نسأله اذا كانت الامور مواتية وطيبة الى هذا الحد ، فلماذا جاء الى هنا ؟ وأجاب هو بدون ان نسأله ، ان خشيتهم الوحيدة هي ان اتفاقا سلميا لن يؤدي الى اضعاف ناصر بل يقويه في الواقع ، وبما أن حكومة جلالة الملكة ترى أن ناصر يجب أن يذهب ، فانها كانت مستعدة للاشتراك في عمل عسكري طبقا للخطوط المتفق عليها بينها وبين فرنسا ، وهذه الخطوط تتطلب قيام الجيش الاسرائيلي بغزو سيناء ، وبضرورة وصول وحدات منه الى جوار منطقة قناة السويس في ظرف ثمانية واربعين ساعة ، وازداد « سلوين لويد » ان الخبراء الفرنسيين قد اقنعوا الخبراء البريطانيين بمقدرة الجيش الاسرائيلي على القيام بهذه المهمة ، وفي وقت ما من هذه الثماني والاربعين ساعة يصدر الانذار البريطاني الفرنسي بأمرهم بالانسحاب بعيدا عن القناة ، فاذا رفضت مصر فان الهجوم البريطاني الفرنسي الفرنسي ينطلق لاحتلال منطقة القناة ، ولانسقاط ناصر .

وكان رد « بن جوريون » بالرفض ، وكان رفضه قاطعا وحاسدا ، وقال انه سبق ان رفض خطة مماثلة لما عرضه « لويد » الان . ان اسرائيل لم تكن متشوقة لان تدمغ بالعدوان ، ولا مشوقة لاستلام انذار بالانسحاب بعيدا عن منطقة القناة ، وأوضح « بن جوريون » انه اذا قامت اسرائيل بمهاجمة مصر وفقا للخطة المعروضة ، فان مصر قد ترد بضرب المدن الاسرائيلية . ومن ناحية اخرى فان اسرائيل ، وهي تحارب وحدها في المرحلة الاولى من الحملة ، لا تستطيع ان تستبعد احتمال مجيء متطوعين سوفيت أو تشيك لتدعيم القوات الجوية المصرية . وهكذا كان رد « بن جوريون » بأن اسرائيل لا تستطيع ان تبدأ وحدها حربا ضد مصر لا الان ولا في اية مرحلة لاحقة . وبدأ « بن جوريون » قد شرح ما نحن على غير استعداد لعمله ، وطلبت الاذن منه لكي اشرح ما نحن على استعداد لعمله . وقدمت الخطوط العريضة لخطتنا . قلت أننا مستعدون للقيام بغارة واسعة النطاق ضد مصر ، وعلى سبيل المثال فاننا في الساعة الخامسة بعد الظهر من اليوم المحدد للخطة سوف تبدأ بدفع قوة اسرائيلية عبر الحدود المصرية للقيام بعمل محدود ، ويمكننا فوق ذلك أن نضمن وصول جزء من هذه القوة الى قرب قناة السويس عن طريق اسقاطها بالمظلات وراء الخطوط المصرية ، وفي نفس هذه الليلة تجتمع الحكومتان البريطانية والفرنسية لتطلب من المصريين سحب قواتهم من منطقة القناة لان وجود هذه القوات يؤثر على مرونة الحركة الضرورية في قناة السويس ، ويمكن للحكومتين طلب نفس الشيء من اسرائيل ، على ان يكون طلبها الينا الا نتقدم عبر القناة ، ثم نقبل نحن ،

وبما أن عبور القناة ليس ضمن نوايانا بحال من الاحوال ، فان طلبهما الينا لن يكون له أي معنى عملي ، وأما اذا رفضت مصر الاستجابة الى نداء الانسحاب فان القوات الجوية لبريطانيا وفرنسا يجب أن تبدأ ضرب المطارات المصرية فجر اليوم التالي ٠٠٠ ولاحظت أن خطتي لم تكن « صدمة » لسلوين لويد ، ولا كانت حتى مبعث دهشة من جانبه ، وراح يحثني على ضرورة أن لا يكون عملنا المسلح داخل نطاق ضيق ، وإنما يجب أن يكون « عملا حقيقيا من أعمال الحرب » والا فانه لن يكون كافيا لاصدار انذار تشتت فيه بريطانيا ، بسبل وقد تبدو بريطانيا أمام العالم بمظهر المعتدي ، وهو ما ترفضه بريطانيا « لان لها اصدقاء ما - مثل البلاد الاسكندنافية - الذين لا ينظرون برضى اللى بريطانيا في دور المبادئ بالحرب » .

ولم يكن في مقدوري ان التفت الى ناحية « بن جوريون » بينما كان « سلوين لويد » يهذي بهذه الحجج المبتكرة ، وتصورت ان « بن جوريون » يوشك ان يقفز من جلده ، ولكنني لاحظت أنه سيطر على غضبه ، وان سمعت صوت دمهاتسه المكتومة ، الى جانب صوت مقعده الذي راح يحتك بالارض بعنف وهو يتحرك عليه الى الامام والى الخلف » .

.....
.....

« وتدخل » بيرجس مانوري « في الحديث بعد « سلوين لويد » ، فعاد يؤكد وعد فرنسا بتقديم مساعدة جوية الى اسرائيل ، ومضى « بيرجس مانوري » اكثر من ذلك فاقتراح ان تتولى اسراب من المقاتلات الفرنسية مهامها في الدفاع عن اسرائيل من الملحظات الاولى للمعركة ، وذلك من قواعد قبرص . وجمع « سلوين لويد » زمام ترده ليقول انه لا يوافق على اقتراح « بيرجس مانوري » . وكان ذلك أكثر مما يحتمل بن جوريون الذي سأل « سلوين لويد » عما اذا كانت حكومة صاحبة الجلالة قد فكرت في الخسائر التي يمكن ان تلحق باسرائيل وبالمدن الاسرائيلية خلال يومين تقف فيهما اسرائيل وحدها في ميدان القتال » .

وابدى « سلوين لويد » ضيقه من مثل هذا السؤال الذي لا محل له وقال انه جاء الى باريس وهو يظن انه سيناقش الخطة طبقا لما تم عليه الاتفاق بين بريطانيا وفرنسا ، ولكنه يجد نفسه الان امام مقترحات جديدة . وبرغم ذلك ، وبرغم تحفظاته الظاهرة ، فقد كان واضحا ان « سلوين لويد » لم يستبعد مقترحاتنا تماما ، فقد عاد يسألني عن حجم القوة الاسرائيلية التي سوف تعبر الحدود المصرية ، وبدون ان ادخل في ارقام ، فقد اكدت له ان ما ننوي القيام به سوف يكون « عملا حقيقيا من اعمال الحرب » . وخلال الحديث قال « سلوين

لويد « انه قد يكون ممكنا ضغط الفترة الواقعة ما بين دخولنا في الحرب ولحاقهم بنا ، اي انهم يستطيعون اصدار الانذار صباح اليوم التالي اذا بدأنا نحن في الليلة السابقة ، اي بعد ١٢ ساعة ، وبما ان مدة الانذار سوف تكون اربعاً وعشرين ساعة فمعنى ذلك انهم سيكونون في الميدان وراءنا بست وثلاثين ساعة .

وعندما تركنا « لويد » قرب منتصف الليل عائدا الى لندن ، فلقد راودني الشعور بانه من الممكن التوفيق بين الخطتين اذا كان الاطراف يريدون ذلك . ولم يكن « بينو » بادي السعادة بنوع التقرير الذي يمكن ان يقدمه « سلوين لويد » الى رئيسه « ايدن » ، وهكذا استطاع ان يحصل لنفسه بالتليفون على دعسوة للذهاب الى لندن ليقابل « ايدن » بنفسه مساء اليوم التالي ، وكانت نيته ان يعود الى باريس بعد المقابلة لاجتماع نهائي » .

.
.

« كان « بن جوربون » قد سمح لي بان اقدم خطتي ، ولكنني كنت ادرك انه سمح بذلك حتى لا يربط نفسه بشيء قبل ان تتضح امامه كل الحقائق والمواقف . ومن هنا فقد كان حريصا طوال المناقشة على ان يشير الى خطتنا بوصفها « خطة ديان » ، وكانت خشيتي ان يكون تحفظه اكثر من مجرد موقف تكتيكي ازاء بريطانيا وفرنسا . وقبل ان اذهب الى الفراش رحت اراجع البرقيات المرسلة اليها من اسرائيل ، وكانت احداها تخطرنا بان رئيس الوزراء المحتمل لتشكيل وزارة جديدة في الاردن قد يكون سليمان النابلسي ، وهو فلسطيني معاد للبريطانيين ، سبق له ان اعلن عن نيته في الغاء المعاهدة البريطانية الاردنية كخطوة تمهيدية لانضمام الاردن الى القيادة المصرية السورية المشتركة . وكانت هناك برقية اخرى تخطرنا بان خطوات قد اتخذت لتنسيق العمل بين الجيوش ، وان هناك اليوم مؤتمرا لرؤساء اركان حرب مصر وسوريا والاردن تحت رئاسة عبد الحكيم عامر . ولم يكن يعزيني عن هذه الانباء الا معرفتي بان « سلوين لويد » سوف يجدها في انتظاره على مكتبه في لندن تشجعه وتقويه .

وكان علينا ان نزود « بينو » في رحلته الى لندن بصيغة نهائية ، ولكن « بن جوربون » لم يكن قد استقر قراره بعد . كان مجروحا من احساسه بان اسرائيل مرفوضة كشريك على قدم المساواة ، وكان ذلك موقف بريطانيا السذي راحت فرنسا تقترب منه ، وقد احزنه تردد زعماء فرنسا في مناقشة سياسة الشرق الاوسط معه . واجتمعنا في حجرته نبحث عما اذا كانت هناك مقترحات نستطيع تقديمها الى « بينو » قبل سفره ، واقترح « بيريز » ان نبعث بباخرة اسرائيلية من حيفا الى بورسعيد ، على اساس ان المصريين سوف يمنعونها يقينا من

دخول قناة السويس . ورأى « بيريز » ان ذلك قد يكون مبعرا كافيا لتدخـل بريطاني فرنسي نلحقهم نحن فيه ، واستقبل « بن جوريون » الفكرة بصمت . وعدنا الى موضوع خلافاتنا مع البريطانيين ، وقلت لـ « بن جوريون » انه لا ينبغي لنا ان نعبر دخولنا في الحرب بست وثلاثين ساعة قبل حلفائنا كارثة لا نستطيع مواجهتها ، ورد « بن جوريون » بأنه يلاحظ ان البريطانيين لا يطلبون منا فقط ان نبدأ الحرب وحدنا ، ولكنهم يطلبون منا ان ندخل بقوة كبيرة وان نصل الى منطقة القناة . وكان رأيه ان وحدات المظليين الذين يمكن ان نقذفهم وراء خطوط العدو قد يجري تطويقهم ، وابدئ مخاوفه بان تصبح خسائرنا كبيرة ، وقلت له انه اذا جاء اليوم الذي نحارب فيه وحدنا ، فان خسائرنا سوف تكون اكبر بكثير .

وعدت الى تحليل خطة عملياتنا امامه ، وكان رأبي انها تعطينا اكبر قدر من الامان ، وفي نفس الوقت تفي بالمطالب البريطانية . كان افتراضي اننا بعد الغروب في اليوم المحدد سوف نلقي كتيبة مظلات بالقرب من القناة في مكان يسمى مثلا ، وفي نفس الليلة يتقدم لواء ميكانيكي لاحتلال نقط الحدود المصرية عند النقب والقسيمة ، ثم يندفع هذا الطابور الميكانيكي في اليوم التالي ليحتل التمد ونخل في طريقه الى مثلا لكي ينضم الى كتيبة المظلات في المر .

وطبقا لهذه الخطة، فاننا لن نضع سلاحنا الجوي في المعركة في اليوم الاول، وفيما عدا اسقاط المظليين فاننا يمكن ان نتصرف بطريقة لا توحى الى المصريين اننا بصدد عملية كبيرة ، لتقليل رد فعلهم ، اي اننا لن نهاجم المطارات المصرية ولن نشتبك في معارك جوية الا اذا هوجمت قواتنا البرية ، وبهذه الطريقة فان المعارك في اليوم الاول سوف تكون محدودة تماما ، وهذا سوف يشجع المصريين على اعتبار عملياتنا وكأنها مجرد غارة واسعة النطاق لا ينبغي عليهم ان يردوا عليها بالحرب الشاملة ، وفي هذه الحالة قد لا يعبرون حدودنا ، وقد لا يقصفون مدننا ومطاراتنا .

كان رأبي ان هذه الخطة سوف ترضي البريطانيين لانها تتضمن كل العناصر التي طلبوها :

قواتنا سوف تعمل بالقرب من القناة ، فممر مثلا يبعد ثلاثين ميلا عن السويس ، ثم ان القوات سوف تكون كبيرة لدرجة تسمح لها بان تقوم بما يسميه البريطانيون « عملا حقيقيا من اعمال الحرب » ، فهي تشتمل على لواء مدرع وكتيبة مظلات ومجموعة اسراب جوية ، ثم ان احتلال المواقع المبينة في خطتنا في الليلة الاولى كان يمكن اعتباره ايضا بداية طيبة لعمل جيشنا ، لان هدفنا السياسي الاول من المعركة كان الوصول الى شرم الشيخ عند الطرف الجنوبي لسيناء . وبعد تدخـل حلفائنا فسوف يصبح علينا ان نندفع في اتجاه الجنوب . ولم اكن اتوقع ان يقوم المصريون بهجوم مضاد في الليلة الاولى ، حتى يستطيعوا

تقدير نوايانا ، ومعنى ذلك ان مدة بقائنا وحدنا في ميدان القتال لن تزيد على يوم واحد .

.....
.....

« كان « بن جوريون » يستمع الى ما قدمت له من تفاصيل الخطة ، ولم يبدا اي تعليق ، وسألته عما اذا كان ينبغي ان اقدم مقترحاته الى « بينو » ، فوافق على اساس ان ابين انها ما زالت اقترحات مني لا تربطه بشيء نهائي ، ولكي يجعل هذا المعنى واضحا فانه ذهب الى سريره بينما ذهبنا - بيريز وانا - للاجتماع بـ « بينو » و « بيرجس مانوري » وكان غياب « بن جوريون » تأكيدا لحقيقة ان مقترحاتي لم تصبح بعد رسمية . وعرضت خطتي ومعها قائمة بطلبات اسرائيل الاضافية مما تستلزمه هذه الخطة ، وعندما انتهيت طلب مني « بينو » ان اعيد مقترحاتي لكي ياخذها كتابة ، وعندما فرغ من ذلك اعاد قراءتها علي قائلا انها سوف تكون مرجعه عندما يتحدث الليلة مع « ايدن » ، ولفت نظره الى ان هذه كانت مقترحات من جانبي لم تحظ بعد بالتصديق النهائي من « بن جوريون » ، وأشاح « بينو » بيده وقال « اعرف . اعرف . اعرف طريقكم في العمل » ، وحسدته على ثقته بنا . وتركنا « بينو » الى لندن ، وعدت مع « بيريز » الى فندقنا .

.....
.....

« وفي الساعة الحادية عشرة والنصف من اليوم التالي ٢٤ اكتوبر دعينا - شيمون بيريز وانا - الى مقابلة « بن جوريون » لمشاورات اخيرة ، وحين دخلنا الى الفيلا التي كان يقيم فيها وجدناه جالسا يستمتع بشمس الخريف في ركن منها ، وطلب مني ان اعيد عليه تفاصيل خطة العمليات التي اقترحها ، وكنت احتاج الى خريطة ، ولم تكن هناك خريطة ، وطلبت قطعة من الورق ، ولم نعثر على قطعة ورق قريبة ، واعطاني « شيمون بيريز » علبة سجائره ، ورسمت عليها المثلث الشهير لسيناء ، ورحت اشرح خطتي ، واخرج « بن جوريون » من جيبه ورقة كان قد سجل عليها بعض الاسئلة استعدادا لاجتماعنا وبينما كان يقرأ اسئلته ، بدأت اشعر بالراحة ، كان الان يسأل عن « كيف » ؟ و « ماذا » ؟ و « متى » ، اذن فهو يقترب من قبول الخطوط العريضة لاقتراحاته ويسأل الان عن التفاصيل ، ويمكن تصور اسئلته من الاجابات التي اعطيتها :

● ساعة الصفر للجيش الاسرائيلي يمكن ان تكون ٥ مساء يوم الاثنين ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٥٦ .

- التدخل البريطاني الفرنسي في العمليات يجيء يوم الاربعاء ٣١ اكتوبر .
- فور رفض مصر الانذار البريطاني الفرنسي يبدأ ضرب المطارات المصرية فجر يوم الاربعاء ٣١ اكتوبر ، وفي يوم الجمعة ٢ نوفمبر تنزل على الشواطئ المصرية مجموعة لواءين من القوات الفرنسية .
- طبقا لما فهمت فان حجم القوات البريطانية والفرنسية سوف يكسون في حدود اربع فرق من المشاة والمدرعات ، واربعمائة مقاتلة ، ومائة وعشرين قاذفة قنابل .
- لا اعرف اذا كان في نيتهم السيطرة على جانبي القناة ، او الاكتفاء بالشاطئ الغربي فقط .
- فيما يتعلق باحتمال زحفهم على القاهرة اذا اصبح ذلك ضروريا - لا اعرف .
- قال لنا الفرنسيون ان قواتهم سوف تبقى مع القوات البريطانية في منطقة قناة السويس ، ولن يسمحوا للقوات المصرية بالعبور الى الشرق او للقوات الاسرائيلية بالعبور الى المغرب .
- فيما يتعلق بخططهم لاستيلاء سيناء ، فكل ما اعرفه هو ما قاله لسي « سلوين لويد » الذي كان بجانبني على العشاء : « امل ان لا تراودكم احلام في استغلال الفرصة بضم سيناء » .
- لا استطيع ان اقطع بما اذا كان نظام ناصر سوف يسقط ويقوم بسدلا منه نظام جديد .
- فيما يتعلق باستعداد بريطانيا لضمان حياد الاردن والعراق ، فان « سلوين لويد » قال لي ان بريطانيا لا تحبذ قيام اسرائيل بهجوم ضدهما ، ولكن اذا هوجمنا من الاردن ورددنا على الهجوم بالمثل ، فان بريطانيا لن تتدخل .
- فيما يتعلق بالسماح لنا باحتلال مضيق تيران ، فان الفرنسيين اجابونا بقولهم « بكل تأكيد » ، ثم اكدوا لنا ان ان البريطانيين لا يهتم اذا كنا نحتل اية مناطق في سيناء شرق القناة . وقد اخبرني سكرتير « سلوين لويس » ان البريطانيين لا يمانعون في اجراء تعديلات محدودة على الحدود ضمن اطار الحملة .
- فيما يتعلق بحجم القوات التي يمكن اسقاطها بالمظلات قرب قناة السويس يوم بدء العمليات ، فإنها يجب ان لا تقل في رأبي عن كتيبة، مع انسي اعتقد ان البريطانيين سوف يلحون في ان تكون في حجم لواء .

● فيما يتعلق بقطاع غزة ورفع ، فإننا سوف نؤخر احتلالهما حتى نعطي القوات المصرية فترة لهضم الاحداث التي تقع في منطقة قناة السويس .
وانتهت مشاوراتنا في الساعة الثانية بعد الظهر ٠٠٠

و في الساعة الرابعة بعد الظهر عاد « بينو » من لندن ، ودعينا على الفور الى غرفة الاجتماعات ، و اعلن علينا « بينو » ان وفدا بريطانيا سوف ينضم اليها في ظرف ساعة واحدة ، وانه يعتقد بإمكانية الوصول الى اتفاق نهائي . لقد قابل « ايدن » ووجده - كما كان يأمل - اشد حماسة من « لويد » .

ولخص لنا « بينو » نتائج محادثاته في لندن على النحو التالي :

● فيما يتعلق بالمبرر الذي يطلبه البريطانيون ، فقد قال لنا انهم اصروا على ان تكون عملياتنا الاولى في الحرب « عملا من اعمال الحرب الشاملة » .

● وافق البريطانيون على تقديم الجدول الزمني ، بحيث يدخلون المعركة مساء يوم ٢٠ اكتوبر .

● وافق البريطانيون على اعادة صياغة الانذار بحيث يتضمن فقرة تطالب بوقف اطلاق النار ، بحيث يصبح اقدام الطيران المصري على قصف اهداف اسرائيلية وكأنه خرق لشروط الانذار .

● بالاضافة الى ذلك فقد تقرر ان يحوى الانذار طلبا بالسماح للقوات البريطانية والفرنسية بدخول منطقة قناة السويس . وكان لا بد ان يرفض المصريون الموافقة على ذلك ، وكان هذا معناه انه اصبح مستحيلا على مصر ان تقبل الانذار .

● حذفت كلمة « انذار » واستُعيض عنها بكلمة « نداء » ، اي ان اسرائيل لن يطلب منها سواء في الصياغة او في المضمون غير ان توقف اطلاق النار وان تبتعد عن القناة » .

.
.

« وفي الساعة الرابعة والنصف وصل الوفد البريطاني ، وكان مكونا من مستر « لوجان » الذي كانوا قدموه لنا في اليوم السابق على انه سكرتير « سلوين لويد » ، وجاء معه كرئيس للوفد « سكرتير آخر » هو « باتريك دين » الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية . وكان تخفيض الوفد البريطاني الى هذا المستوى من التمثيل ملفتا للنظر ، ولكنني من ناحية عملية لم اعتبر ان غياب « سلوين

لويد، « خسارة كبيرة » .

وبدا « بينو » الاجتماع بعرض كل المسائل كما وافق عليها الاطراف ، واثار « بن جوريون » مسألة مساعدة بريطانيا للاردن اذا ما هاجم اسرائيل تضامنا مع مصر ، ثم اضاف فاعلن نوايانا فيما يتعلق بالاحتلال الاسرائيلي لمضاييق تيران التي وصفها بأنها « قناة سويس اسرائيل » . وسألنا البريطانيين عن خطتنا للعمليات ، ولم اشأ ان افضي بتفاصيل كثيرة ، وقلت اننا سوف نفي بالتزاماتنا في الزمان وفي المكان وبحجم القوات . وفي الساعة الخامسة بعد الظهر شكلت لجنة صياغة محدودة شاركت فيها نيابة عن اسرائيل ، وعندما انتهت اللجفة من اعمالها بدأنا نسمع في غرفة مجاورة دقات الالات الكاتبة .

كانت مبادئ ونصوص الاتفاقية التي توصلنا اليها كما يلي :

● في مساء يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ تقوم القوات الاسرائيلية بشن هجوم واسع النطاق على القوات المصرية ، بهدف الوصول الى منطقة قناة السويس في اليوم التالي .

● عندما تعرف الحكومتان البريطانية والفرنسية بهذه التطورات ، فانهما سوف توجهان يوم ٣٠ اكتوبر نداء بالتساوي الى الحكومتين المصريتين والاسرائيلية يتضمن المعاني التالية :

الى حكومة مصر :

— وقف اطلاق نار كامل .

— سحب كل القوات المسلحة الى مسافة عشرة احيال بعيدا عن قناة السويس

— القبول بصفة مؤقتة باحتلال المواقع الرئيسية على القناة بواسطة قوات بريطانية فرنسية ، وذلك لضمان حرية المرور في القناة لكل البواخر من كل الامم ، والى حين وصول ترتيبات نهائية مضمونة .

الى حكومة اسرائيل :

— وقف اطلاق نار كامل .

— سحب قواتها المسلحة مسافة عشرة اميال الى الشرق من القناة .

● تخطر الحكومة الاسرائيلية بان الحكومتين البريطانية والفرنسية قد طلبتا الى حكومة مصر ان توافق على الاحتلال المؤقت للنقط الرئيسية على قناة السويس بواسطة قوات بريطانية فرنسية ، واذا رفضت اي من الحكومتين هذا

النداء ، او اذا تأخرت في اعلان موافقتها عليه خلال اثنتي عشرة ساعة ،
فإن القوات البريطانية الفرنسية سوف تتخذ الاجراءات الضرورية
للتأكد من قبول طلباتها .

● ان حكومة اسرائيل لن تكون مطالبة بقبول شروط النداء المرسل اليها
في حالة ما اذا تأخرت الحكومة المصرية في قبول النداء الذي سرف تتسلمه .

● اذا لم تستجب الحكومة المصرية الى شروط النداء في الموعد المحدد
فإن القوات البريطانية الفرنسية سوف تقوم بالهجوم على القوات المصرية في
الساعات الاولى من صباح ٣١ اكتوبر سنة ١٩٥٦ .

● للحكومة الاسرائيلية ان تبعث بقواتها لاحتلال الشواطئ الشرقية
لخليج العقبة وجزر تيران وصنافير ، لكي تضمن حرية الملاحة في الخليج .

● ان اسرائيل لن تقوم بمهاجمة الاردن في فترة العمليات ضد مصر ، واذا
حدث ان قام الاردن بمهاجمة اسرائيل خلال هذه الفترة ، فإن الحكومة البريطانية
لن تساعد الاردن ،

.
.

« كان « بن جوريون » متوترا ، ولم يكن يبذل اي مجهود لاختفاء توتره .
وقرأ المواد المكتوبة في الخطة بعناية فائقة ، واعاد قراءتها ، وكان يفتل حواجبه
بشددة وهو يتمم لنفسه بكل كلمة في الاتفاقية . ثم راح يطوي الورقة بعناية
ويضعها في الجيب الداخلي لجاكتته .

كانت الاهمية القصوى للاتفاقية هي مجرد وجودها . لقد حددت خطوات
كل طرف من الاطراف في تمثيل العملية ، وحددت اهداف كل منهم .

وفي موضوع الاهداف ، فلم يكن هناك توازن بين الاهداف البريطانية
الفرنسية من السيطرة على قناة السويس لضمان حرية الملاحة فيها ، وبين هدف
اسرائيل من السيطرة على خليج العقبة وجزر تيران وصنافير لضمان حرية
الملاحة في هذا الممر المائي . كان القارق الاساسي هو ان الاحتلال البريطاني
الفرنسي لمنطقة القناة قد وصف بانه مؤقت ، واما احتلال اسرائيل لشواطئ
خليج العقبة فانه لم يوصف بانه مؤقت .

وخرجت من قاعة الاجتماع وذهبت الى غرفة « بن جوريون » ، وكتبت برقية
عاجلة جدا الى مدير العمليات في الجيش الاسرائيلي ، نصها :

« سوف تنفذ العملية قادمين باسرع وقت . تتم التعبئة على الفور . تأكد
من سرية التعبئة . إبدأ بتنفيذ خطة الخداع لخلق الإنطباع بأن التعبئة موجّهة

ضد الاردن بسبب دخول قوات عراقية اليه . سوف نغادر هنا منتصف الليل .
نصل صباح الغد .

وعندما عدت الى قاعة الاجتماع وجدت الكل واقفين حول المائدة يشدهم جو من التوتر العصبي لا يعرفون كيف يخلصون انفسهم منه ، ولا الى اين يتجهون . لم يكن التخطيط لهذه العملية من النوع الذي ينتهي بتلامس الاقداح وشرب الانخاب ، وعلى اي حال فقد كان هناك احساس بان عملا مفيدا قد تسم انجازه ، ولكن كل المشتركين فيه يريدون الان ان يخرجوا من القاعة التي ابرموا فيها ، لان جوها اصبح اثقل مما يستطيعون احتماله . وكان البريطانيون هم اول الخارجين بعد ان تمتوا بعبارات غير مسموعة قصدوا ان تكون تعبيراً مرحاً في الوداع ، ولكن احدا لم يضحك ، !



وهكذا تنتهي رواية « ديان » . اعترافاته الكاملة عن فصل « التواطؤ » ، ضمن قصة السويس .

وربما يعني هنا سؤال واحد :

– لقد رأينا من كل ما رواه « ديان » مبلغ حرص اسرائيل على ان لا تواجه حرباً وحدها مع مصر . . . ورأينا اصرارها على ان يكون غيرها معها قبل ان تخطو خطوة واحدة .

والسؤال الذي يلح علي الان :

– هل كانت اسرائيل وحدها عندما تحركت سنة ١٩٦٧ . . . ومن كان معها؟
ويلفت انظارنا هنا انه عندما تولى الكونجرس الامريكي عملية التحقيق في مغامرات وكالة المخابرات المركزية الامريكية في العالم ، فان احدا لم يقترب من نشاط هذه الوكالة في الشرق الاوسط .

لقد جرى التحقيق ، ونشرت نتائج التحقيق ، فيما يخص كوبا .

وجرى التحقيق ، ونشرت نتائج التحقيق ، فيما يخص شيلي .

وجرى التحقيق ، ونشرت نتائج التحقيق ، فيما يخص فيتنام .

واما الشرق الاوسط ، فلا تحقيق ، او على الاقل لا نشر ، وانما صمت كامل مطبق .

وفرغ السناتور تشرش رئيس لجنة الكونجرس للتحقيق في نشاط وكالة المخابرات الامريكية من تحقيقاته ، وكان اول شيء في برنامجه بعد انقضاء التحقيقات ان يقوم بزيارة لاسرائيل !!

الحديث السادس عشر:

صورة عامة لمعارك السويس

وجاءت الحرب يوم الاثنين ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ .

بدأ تنفيذ معاهدة « سيفر » بعد اربعة ايام من توقيعها ، ففي الساعة الخامسة بعد الظهر تحرك لواء ميكانيكي اسرائيلي في اتجاه منطقة الكونتيللا ، ومع اخر ضوء تم اسقاط كتيبة مظلات اسرائيلية في منطقة سدر الحيطان في ممر ميتلا .

وعرف جمال عبد الناصر بنبا الهجوم من بيان رسمي اسرائيلي اذيع من تل ابيب ، يعلن قيام وحدات عسكرية اسرائيلية بمهاجمة الكونتيللا .

كان جمال عبد الناصر ساعتها يشترك في احتفال بعيد ميلاد ابنه عبد الحميد ، وسلمت اليه برقية وكالة « يوناييتد برس » تنقل البيان الرسمي الاسرائيلي ، وقرأ عبد الناصر البرقية ثم ناولها الى عبد الحكيم عامر ، وكان يحضر حفل عيد الميلاد ، وخرج الاثنان من القاعة المليئة بالاطفال ، وتوجها الى غرفة مكتب عبد الناصر ، ومن هناك راح عبد الحكيم عامر يتصل بمقر القيادة العسكرية المصرية في كوبري القبة ، ولم تكن الوحدات المصرية في الميدان قد ابلغت بعد عن حدوث شيء .



هل توقع عبد الناصر في تلك الساعات حجم العملية . . . او هل جال في ذهنه احتمال « التواطؤ » ؟

اكاد اقول انه حتى تلك اللحظة كان يستبعد من ذهنه احتمالات التواطؤ ، ثم ان الطريقة التي بدأت بها العملية لم تنقل اليه الاحساس بانه امام شيء خطير .

كانت لديه تحفظاته التي تجعله يقطع بان بريطانيا بالذات لديها من الروادع ما يصدها عن الاشتراك مع اسرائيل في عمل عسكري ضد مصر .

وكان تحت تصور ان مشكلة قناة السويس – بعد مناقشات مجلس الامن وموافقته على النقاط الست – في طريقها الى حل سياسي عندما يجتمع الدكتور محمود فوزي مع سلوين لويد وكريستيان بينو في جنيف بحضور همرشولد ،

وكان مقررا لهذا الاجتماع يوم ٢٩ اكتوبر . . . يوم بداية الهجوم الاسرائيلي . واتذكر انني كنت مساء يوم ٢٩ اكتوبر في فندق مينا هاوس ضيف عشاء

مبكر على سفير اليونان في القاهرة وقتها ، ووصلت الى فندق مينا هاوس ، ثم اتصلت كالعادة بمكتبي اسال عن اخر التطورات ، وعرفت بالبيان الاسرائيلي ، وقرىء علي في التليفون نصه .

واتذكر انني من كايينة التليفون في مينا هاوس طلبت خطأ خارجيا وأدرت بيدي رقم تليفون مكتب جمال عبد الناصر، وكان هو الذي رد علي، وكانت الساعة حوالي السابعة والنصف ، وقال لي ان بيانا اسرائيليا ثانيا قد صدر هذه اللحظة وفيه اشارة الى ان القوات الاسرائيلية تعمل بالقرب من قناة السويس ، وكانت هذه العبارة قد لفتت نظره ، ولم تكن الاخبار قد جاءت بعد عن نزول قسوات مظليين في سدر الحيطان ، وكرر في التليفون مرتين تعجبه من رنين عبارة « منطقة قناة السويس » في البيان الاسرائيلي ، وسالته « اذا كان يريدني ان اذهب اليه ؟ » وكان تعليقه « عندما تفرغ من عشائك مر علي » .

وعدت الى السفير اليوناني ورويت له اخر الانباء ، وكان تقديره ان العملية لا تزيد عن ان تكون واحدة من تلك الغارات الاسرائيلية على مراكز الحدود المصرية ، وربما كان نطاقها هذه المرة اكبر ، تعبيرا عن غيظ اسرائيل من قرب تسوية ازمة قناة السويس مع بريطانيا وفرنسا .

ولم يدخل تفسير السفير اليوناني في عقلي ، وبعد دقائق وجدتني اقول له بصراحة انني سوف اتركه وحده لعشائه ، اما انا فاشعر انه لا بد لسي ان اذهب الى حيث استطيع متابعة ما يجري .

وحاول الرجل اقناعي بالبقاء لعشاء سريع ، واصررت وخرجت وخارج معي هو الاخر في اللحظة التي كان عشاؤنا يدخل فيها قاعة الطعام الشرقية في مينا هاوس القديم ، ولا اعرف ماذا قال الذين جاءوا بالعشاء فوجدوا الذين طلبوه يهرولون الى باب الخروج !

وذهبت الى بيت جمال عبد الناصر ، ولكنه كان قد غادره متوجها الى القيادة العامة للقوات المسلحة ، تاركا لي اشارة بان الحق به هناك .

وفي القيادة العامة كانت الصورة تتضح ، فقد بدأت التقارير تتوالى عن حجم قوة الهجوم على الكونتيللا ونخل وتمد ، كما ان معركة حامية الوطيس كانت تدور في سدر الحيطان ، فقد اصطلمت كتبية مصرية بكتبية المظلات الاسرائيلية التي نزلت في ممر ميتلا ، وكان موقف المظليين الاسرائيليين في منتهى السخَرَج ، وكانت خسائرهم عالية جدا وبأكثر مما هو محتمل - طبقا لمذكرات موسى ديان نفسه .

□

كان الموقف العسكري في سيناء مكشوفاً لان القوات المصرية قد امسرت بالانسحاب منها عندما كان التهديد البريطاني الفرنسي بالنزول في منطقة قناة السويس قائماً ، وعندما كانت أزمة السويس على أشدها في الفترة ما بين أغسطس الى منتصف أكتوبر ١٩٥٦ .

كان جمال عبد الناصر يخشى مع وجود قوات كبيرة في سيناء ان تتبعثر قوة الجيش المصري بين الصحراء ومنطقة القناة ، ثم ان يتم عزل قوات سيناء اذا وقع انزال بريطاني فرنسي في بور سعيد ، وهكذا لم يكن باقياً في سيناء غير ثمانى كتائب ، اثنتان في ابو عجيلة ، واثنتان في رفح ، واثنتان في العريش، وكتيبة واحدة في ممر ميتلا (ذهبت في اخر لحظة) ، وكتيبة في شرم الشيخ .

واعتقد ان احتمال التواطؤ كان ما زال بعيداً عن الانهتان ، حتى عندما اجتمعت القيادة العامة للقوات المسلحة تلك الليلة في كوبري القبة برئاسة جمال عبد الناصر ، والدليل على ذلك هو ان القرار في تلك الليلة كان هو « ملاقاته الهجوم الاسرائيلي في وسط سيناء في منطقة بير روض سالم ، وتوجيه الضربة الرئيسية اليه هناك بواسطة الفرقة الرابعة المدرعة » ، التي كانت قد بدأت تتحرك في اتجاه قناة السويس تعبرها تحت الظلام !

وكان جمال عبد الناصر حتى ظهر يوم ٣٠ أكتوبر - الثلاثاء - ما زال يستبعد التواطؤ ، فقد اتصل بي ظهر اليوم يطلب مني ان اتوجه الى مقابلة السفير الامريكى « ريموند هير » وانقل اليه على لسان الرئيس ان « طائرة بريطانية من طراز كانبيررا شوهدت قبل ساعة فوق منطقة بحيرة اليردويل ، ومن الواضح انها كانت تحاول القيام بعملية استطلاع فوق ارض المعركة ، وان مثل هذا التصرف مثير للشكوك والريب » .

وفعلت ما طلبه مني جمال عبد الناصر ، ولكنني تركت السفير الامريكى « ريموند هير » وراسي مليء بالوساوس ، فقد سمعت منه ان امراً قد صدر اليه من واشنطن بترحيل كل الرعايا الامريكيين من مصر حفاظاً على سلامتهم ، ونقلت ما عرفت الى جمال عبد الناصر ، وهكذا فاني لم ابدد شكوكاً بسدات تساوره ، وانما اضفت الى الشكوك ٠٠٠ شكوكاً !

وفي الساعة الرابعة لم يبق مجال للشك ، فقد جاء الانذار البريطاني الفرنسي يطلب الى مصر ان تبتعد بقواتها عشرة اميال الى الغرب من القناة ، وان تسمح بنزول قوات بريطانية فرنسية تحتل المراكز الرئيسية في منطقة قناة السويس ، حتى يتم الوصول الى تسوية سلمية تضمن حرية الملاحة لجميع الدول .



وكان يوم الاربعاء ٢١ اكتوبر يوما من اعظم الايام في حياة جمال عبد
الناصر .

كانت الكتائب المصرية في ابو عجيلة ورفح والعريش تقاتل معركة رائعة،
واستطاع موقع ابو عجيلة وحده ان يوقف تقدم اللواء الاسرائيلي المدرع السابع،
وان يكبده خسائر عالية ، واضطر ديان بنفسه ان يذهب الى قيادة اللواء المدرع
السابع ليتعجل قيامه بمهمته ، وهي اقتحام ابو عجيلة ، بل ان ديان - طبقا لما
يقوله هو نفسه في مذكراته - عزل قائد اللواء السابع وعين قائدا جديدا له .

وكانت القوات المصرية تتدفق الى سيناء لملاقاة الهجوم الاسرائيلي وضربه

طبقا للخطة في منطقة بير روض سالم ، وكانت الفرقة المدرعة الرابعة طليعة هذه
القوات الزاحفة الى سيناء .

وكان قد رفض الانذار البريطاني الفرنسي .

وكانت السفارة البريطانية في القاهرة منقسمة على نفسها . كان السفير
السير « همفري تريفلان » - لورد تريفلان فيما بعد - يعتقد ان عبد الناصر
سوف يقاوم الى النهاية .

وكان المستر « تريفور ايفانز » المستشار الشرقي فيها يعتقد ان مجسرد
توجيه انذار بريطاني فرنسي سوف يرغم جمال عبد الناصر على التراجع ، واذ
اصر على المقاومة فان المظاهرات سوف تخرج الى الشوارع لتسقط النظام
المصري من اساسه ، وتجيء بنظام جديد يستطيع البريطانيون والفرنسيون ان
يتعاملوا معه .

وفرضت قيود على السفارة البريطانية ، فلم تكن على اتصال بما يجري
في « البلد » - على حد قول « تريفور ايفانز » لي فيما بعد - وكان قد اصبح
سفيراً في الجزائر ، ولكن ذكريات تلك الايام كانت تشده دوما الى الحديث
عنها .

وكانت الحراسة قد فرضت ايضا على الرعايا البريطانيين ، تحسبا لكل
احتمال .

واتذكر واقعة صغيرة تبدو بعيدة عن الحوادث ، ولكنها اكثر من غيرها
تعطي صورة لثبات جمال عبد الناصر ذلك اليوم وقوة اعصابه .

ففي الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الاربعاء ٢١ اكتوبر اتصل بي السفير
الامريكي « ريموند هير » يقول لي :

– انني اسف لازعاجك في هذه الساعات بطلب يبدو سخيفا ، ولكنني اتصور
انك تستطيع فهمي ٠٠٠ انت تعرف الاستاذ كرسويل ،

وقلت انني اعرف الاستاذ كرسويل واتابع عمله الجليل في دراسة الاثار
الاسلامية في مصر بالتعاون مع جامعة اوكسفورد .
وقال ريموند هير :

– ان « كرسويل » وضع تحت الحراسة شأنه شأن كل الرعايا البريطانيين،
وقد جاءني الان ، وهو يخشى على مكتبته وعلى اوراقه في بيته بحي الجمالية ،
الذي يقيم فيه من خمسين سنة ، وهو يعتقد ان الحراسة قد لا تقدر ما يفعله ،
وقد تضيع كتبه واوراقه وجهد خمسين سنة ، وقد جاءني يعرض ايداع مكتبته
بصفة مؤقتة في الجامعة الامريكية في القاهرة ، ويمكن ان يتم ذلك باشـرف
الحراسة ، ولكن المهم ان تحفظ هذه الذخيرة الاسلامية من الضياع ، حتى تـبلي
الظروف .

وقلت لريموند هير انني سافعل كل ما في وسعي ، وقال لي انه سوف
يبعث الي بالاستاذ كرسويل ليشرح لي الموضوع .

وترددت قليلا : ان احدا لن يسمع لاحد في هذه اللحظات ، الا اذا عزز ما
يقوله بأمر صريح من جمال عبد الناصر ، فهل استطيع ازعاج الرجل في هذه
اللحظة بمثل هذه القضية ، ولكنني في نفس الوقت كنت اعتقد بالقيمة الكبرى
لمكتبة كرسويل واوراقه ، فماذا اصنع ؟

وغالبت ترددي وطلبت جمال عبد الناصر ، ولكنه كان مشغولا بموعد مع
السفير الاندونييسي في القاهرة جاءه يحمل رسالة من الرئيس احمد سوكارنو،
وتركت له رجاء بان يتصل بي فور فراغه من المقابلة .

وفي الساعة السادسة الا دقائق قليلة جاء من يقول لي ان الاستاذ كرسويل
– عمره وقتها ٨٢ سنة – وصل وهو يطلب مقابلي .

وفجأة دوت صفارات الانذار ٠٠٠ كان الطيران البريطاني – باسطول
ضخم من قاذفات « الكانبيرا » – قد بدأ يقصف المطارات المصرية حول القاهرة،
واستمرت الغارة نصف ساعة ، ثم اعلنت صفارات الامان ، ودعوت الاستاذ
كرسويل ليجيء الى مكتبي ، ودخل الرجل يتعثـر في خطاه ، ويقف امامي وقبعته
العتيقة في يد وعصاه التي يتوكأ عليها في يده الاخرى ٠٠٠ ثم يتلثم ويقسول
بصوت خفيض مرتعش :

– اني حزين من اجل بريطانيا يا سيدي » .

وراح الرجل يشرح لي يائسا قصة خوفه على مكتبته ومجموعة اوراقه .

ودق جرس التليفون لاسمع صوت جمال عبد الناصر يقول لي ما معنساءه
« لقد انكشفت العملية بكل ابعادها الان ٠٠٠ نحن امام تواطؤ صريح ٠٠٠
غريبة ، لم يخطر لي مطلقا ان ايدن يمكن ان يشترك في لعبة مع اسرائيل . كيف
لم يخطر لي ؟ لقد سمعت ازيز الطائرات وانا اجالس مع السفير الاندونيسي ،
وكان صوت قاذفات ، وتركته الى سطح البيت ، وشاهدت القصف على مطار
الماظة ٠٠٠ كانت الطائرات قاذفات بعيدة المدى ٠٠٠ « كانبيرا » بريطانية فسي
الغالب ٠٠٠ وعلى العموم فلا احد يملك في المنطقة قاذفات بعيدة المدى غير
الانجليز » .

وتوقف جمال عبد الناصر لحظة ، ثم قال لي :

– كنت قد سألت عني ٠٠٠ فهل هناك شيء ؟ »

قلت :

– كان هناك شيء ، واظن انه قد فات اوانه ، وان كنت ما زلت اتمنى ان
تفعل شيئا فيه .

وسألني ، وقلت له ، وكان رده بسرعة :

– انني موافق ، ولا اريد ان تضيع مكتبة على هذا النحو الذي تصفه في
سراديب الحراسة ، ولك ان تتصل بالدكتور القيسوني – وزير المالية المشرف
على اجراءات الحراسة في ذلك الوقت – وتنقل اليه موافقتي » .

وتحدثنا في امور اخرى ، واتفقنا على ان الحق به في القيادة العامة
للقوات المسلحة بعد قليل .

ووضعت سماعة التليفون ، والتفت الى الاستاذ كرسويل اقول له :

– لقد تم انقاذ مكتبتك واوراقك » .

وكان الرجل لا يصدق اذنيه ، وقلت له ان الذي كان معي على التليفون
هو جمال عبد الناصر ، وقد نقلت اليه طلبك ووافق عليه .

ونظر الي كرسويل ، وفي ثوان كانت الدموع تملأ عينيه ، وسألني :

– في هذه اللحظة التي كان دوي القنابل فيها يملأ اذنيه ؟ هل كانت لديه
القدرة في هذه اللحظة على ان يسمع نداءها واهيا هو في الحقيقة نداء

الحضارة ؟٠٠ انني لا اريد مكتبتي واوراقي لنفسي ، ولكني اريدها ان تبقى
لأنها تضم اكبر جهد انساني مركز حول الآثار الاسلامية في مصر ، .

واستطرد كرسويل يقول :

- ما زال الشرق قادرا على ان يعلمنا المدنية رغم ادعاءاتنا في
الغرب .٠٠ سوف يعرف الناس يوما ما حدث هذه اللحظة ، وسوف يعلمون من
هم الهمج البرابرة ، ومن هم المتحضرون المتمدنون ، !

□

وكان جمال عبد الناصر في مقر قيادة القوات المسلحة في كوبري القبة
يواجه مواقف بالغة العنف .

دخل هو الى القيادة وفي ذهنه ان الانسحاب الكامل من سيناء ضروري
حتى لا تقع كارثة كان يخشاها ويتحسب لها ، وكان عبد الحكيم عامر يعارض
قرار الانسحاب من سيناء ، وحاول عبد الناصر ان يتكلم بهدوء في بداية الامر
ويقول لعبد الحكيم عامر :

- الا ترى ان استمرار تدفق قواتنا على سيناء معناه اننا نجري باقصى
سرعة لكي نضع انفسنا في فخ ؟

ان قواتنا سوف تجد نفسها والاسرائيليون امامها والانجليز والفرنسيون
وراءها ، ولا بد من تجميع القوات كلها في منطقة قناة السويس والى الغرب منها
لخوض المعركة ضد العدو الرئيسي وهو بريطانيا وفرنسا ، وبعدها يكون امر
اسرائيل سهلا ، .

ويقاوم عبد الحكيم عامر لاسباب عاطفية قرار الانسحاب ، ويصر جمال
عبد الناصر ، ويبعث الاشارات موقعة منه الى قادة الوحدات المتقدمة في سيناء
يأمرهم فيها بالانسحاب .

ويتوافد جمع من اعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين ومن الوزراء الى
مبنى القيادة ، ومن بينهم صلاح سالم - يرحمه الله - ويرى صلاح سالم ان
الاصرار على رفض الانذار مع بداية التدخل العسكري البريطاني الفرنسي هو
امر لا يمكن لمصر ان تحتمله ، ويقول لجمال عبد الناصر :

- ان بريطانيا وفرنسا اعلنتا انهما لا تعاديان الشعب المصري وانما
معركتهما معك انت ، وانا ارى انك قدمت لمصر خدمات عظيمة واجدك اليوم
مطالباً بخدمة اخرى سوف يذكرها لك التاريخ ، وهي ان تذهب الى السفارة

البريطانية فتسلم نفسك وتنقذ البلاد من احوال التدخل البريطاني الفرنسي ، فضلا عن اسرائيل » .

ويصعق جمال عبد الناصر لهذا الاقراخ ، ويقول « انه لو كان الامر متعلقا به شخصيا لفعل ذلك فداء لمصر ، ولكن الامر اكبر من ذلك . . . فهو الان امر ارادة مصر المستقلة وكرامتها » .

ثم يترك جمال عبد الناصر هذا كله ، ويلتفت الى تنظيم مقاومة للغزو ، وكانت خطته على النحو التالي :

١ - ان الكنايب الاصلية الثمان التي كانت موجودة في سيناء من الاصل عليها ان تقاوم مهما كان الثمن ، وحتى الى اخر رجل واخر طلقة ، لمدة ثمانية وأربعين ساعة ، وذلك حتى توقف تقدم الجيش الاسرائيلي في سيناء ، فلا تشتبك مع القوات المتدفقة عليها بينما هي الان تحاول الانسحاب عائدة الى غرب قناة السويس .

٢ - على كل القوات المتدفقة عبر قناة السويس الى الشرق ، وفي مقدمتها الفرقة الرابعة المدرعة ، ان تكمل انسحابها من سيناء في ظرف ست وثلاثين ساعة ، مهما كان الثمن ، وعليها ان تتمركز في منطقة القناة وفي مناطق شرق الدلتا ، لتكون مستعدة لمواصلة القتال مع العدو على الجبهة الرئيسية للمعركة .

٣ - تعطيل الملاحة في قناة السويس ، ونسف بعض السفن المحملة بالاسمنت فيها وسط المجرى الملاحي ، ووضع كل غزاة القناة امام امر واقع جديد .

٤ - على الطيران المصري ان لا يشتبك مع العدو لان المعركة غير متكافئة ، وليس مهما تدمير الطائرات المصرية ، وانما المهم الحفاظ على الطيارين المصريين المدربين ، وعددهم محدود ، واذا تمكن العدو من اصطيادهم في الجو واسقاط طائراتهم وهم فيها ، وقتلهم ، فسوف تمر عشر سنوات قبل ان يكون لمصر طيارين قادرين على العمل ، والاضاع الحالية لا تترك للطيران المصري فرصة ، فامامه قرابة الف طائرة بريطانية فرنسية اسرائيلية ، وليس لمصر اكثر من مائة وعشرين طيارا مدربا ، وسوف ينتهي الغزو البريطاني الفرنسي يوما وتبقى اسرائيل امامنا ، ولا نستطيع ان نواجهها بغير طيارين .

٥ - الاستعداد لحرب شعبية ممتدة ضد الاحتلال ، حتى لو توقفت الحروب المنظمة واستطاعت قوات الغزو ان تتغلب على القوات النظامية للجيش المصري .
وتم ما طلبه جمال عبد الناصر .

● استطاعت الكتائب المصرية الثمان في سيناء ان تقا ان تصمد في قتالها على مدى الثماني والأربعين ساعة المطلوبة منها، ولم تستطع القسوات الاسرائيلية ان تتقدم على محاور سيناء الاربعة الا بعد ان توقفت مقاومة هذه الكتائب - بعد الموعد المقرر لها - وبدأ انسحابها ، وكان رأي قادتها انها لا تستطيع الانسحاب بطريقة منظمة ، خصوصا وانها ابلت في القتال بلاء حسنا، وهكذا كان الامر لها « كل رجل على مسؤوليته » .

● عادت القوات التي كانت تتدفق على سيناء ، وفي مقدمتها الفرقة الرابعة المدرعة ، وكان الطيران البريطاني الفرنسي قد ركز عليها لتدميرها اثناء انسحابها ، ولكنه لم ينجح الا في اصابة بعض مركباتها الخفيفة ، واما القوة المدرعة الرئيسية فقد تمكنت من العودة سالمة الى مواقعها الجديدة .

● تم تعطيل قناة السويس ، وتوقف شريانها الحيوي عن الضخ ، ووجد الذين كانوا يحاولون ضمان حرية الملاحة في القناة ان القناة توقف نبضها .

● ابتعد الطيارون المصريون عن سماء المعركة امام تفوق لا قبل لهم به، وهو كفيل بالقضاء عليهم جميعا واحدا واحدا .

● كان الاستعداد لمواصلة الحرب انشعبية على قدم وساق ، واختار جمال عبد الناصر موقعا في وسط الدلتا قرب طنطا ليكون مقر قيادته في حرب كل الشعب ضد الغزو ، اذا كانت هناك ضرورة لذلك .



وقال لي الجنرال اندريه بوفر - وكان نائب قائد القوات البرية في الحملة البريطانية الفرنسية - وما قاله لي كان تعريزا لما ذكره في كتابه عن حرب السويس :

- كنا نحن الفرنسيين في صراع مع زملائنا البريطانيين في قيادة قسوات الغزو . كنا نشعر ان قيادتهم السياسية مترددة في اتخاذ قراراتها ، ولم يكن الهدف السياسي من المعركة واضحا امام الجنرالات .

كنا نشعر ان القرارات بطيئة ، وان القوات اقل من حجم المهمة المطلوبة منها ، ولقد جاء وقت شعرنا فيه ان قرار مصر باستمرار المقاومة قد قلب التوازن في الخطة راسا على عقب ، فقد كانت الخطة موضوعة وفي تصور الموجهين لها سياسيا ان الظروف لن تضطرنا الى تكملتها لان الجبهة المصرية الداخلية سوف تبدأ في التهاوي والانهار .

وهكذا ، فان مجرد القرار المصري بمواصلة الحرب واجهنا بالحقيقة التي كنا نحاول ان نتجنبها اعتمادا على وعود السياسيين لنا - وهي حقيقة ان قواتنا غير كافية لاحتلال منطقة قناة السويس والتقدم بعدها الى القاهرة .

ولم ترتفع معنوياتنا بعد نزولنا في بور سعيد ، فقد كنا ندرك ان تلك مجرد خطوة على الطريق ، وان اي جيش مهاجم يستطيع ان ينجح فيها لانه كان يوجه قبضته ووراءها كل قوته الى نقطة محددة ومحدودة على جبهة العدو ، ولكن المهم هو الخطوة الثانية بعد الخطوة الاولى .

وهكذا استطيع ان اقول :

ان حملة السويس فشلت عسكريا في نفس اللحظة التي قررت فيها مصر رفض الانذار البريطاني الفرنسي ، وحمل السلاح مهما كان الثمن .

انكم بهذا القرار فهتمتم جوهر الحرب المحدودة في عصرنا الحديث .

ان الحرب صراع ارادات .

ولم يعد مهما في العصر الحديث ان يفرض طرف بالقوة المسلحة ارادته كاملة على الطرف الاخر . ذلك مفهوم فات اوانه في العصر النووي . الان مجرد ان يتمكن طرف من منع طرف آخر من فرض ارادته عليه، فإن ذلك يعني انه انتصر . وذلك ما فعلتموه في السويس .

انكم لم تفرضوا ارادتم علينا . ولكنكم اثبتتم لنا اننا لا نستطيع فرض ارادتنا عليكم .

وهكذا تعثرت الحملة .

ثم وقعت على الارض تماما بما طرأ بعد ذلك من تطورات سياسية !

الحديث السابع عشر :

القصة الحقيقية

لنصف أنابيب البترول في سوريا

فشلت حملة السويس عسكريا لسببين :

اولهما - الارادة المصرية المستعدة لمستوليات وتضحيات القتال الى النهاية .

وثانيهما - انه نتيجة لذلك ، ولان خطة الغزو كانت تعتمد على انهيار المقاومة المصرية امام عنف الانذار البريطاني الفرنسي - فان حجم القوات التي احتشدت للغزو اصبحت اصغر من المهمة المطلوبة منها ٠٠٠ اي ان حجم الارادة المصرية أثبت انه اكبر من حجم القوات المكلفة بقهرها .

وفوق ذلك ، طرأ على الموقف عنصران كان لهما الاثر الكبير في الحسم النهائي لقصة السويس الهائلة .

كان العنصر الاول هو : عملية نسف محطات ضخ البترول في سوريا فجر يوم ٢ نوفمبر ١٩٥٦ .

وكان العنصر الثاني هو : الانذار السوفيتي الذي صدر بتوقيع بولجانين مساء يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦ .



ونبدأ اليوم بالعنصر الاول بينهما ، وهو نسف محطات ضخ البترول في سوريا - ولعلها الان اول مرة تروى فيها القصة بكل تفاصيلها .

ولا بد لكي توضع التفاصيل في اطارها العام من نظرة سريعة على المشرق العربي في ذلك الوقت ، وكيف بدت صورته .

كان المشرق العربي في ذلك الوقت يعيش صراعا مزدوجا ومتداخلا :

● صراع بين الاسرتين الحاكمين الكبيرتين في المشرق في تلك الايام ، وهما السعودية في الرياض ، والاسرة المالكة الهاشمية في بغداد .

● وصراع آخر بين القوى الجديدة في العالم العربي - عبد الناصر والبعث والتيارات التقدمية بصفة عامة - وبين القوى التقليدية في العالم العربي - الاسر المالكة والاسر الاقطاعية والراسمالية .

وكانت صعوبة الموقف في هذا الصراع المزدوج بين القوى التقليدية وبعضها ، وبين القوى التقليدية والقوى الجديدة - ان الخطوط كانت متداخلة لاسباب عملية

او تكتيكية ، ومن ذلك مثلا ان الاسرة المالكة السعودية في ذلك الوقت كانت حليفا
لجمال عبد الناصر ، استعانت به ضد اعدائها التقليديين من الهاشميين ، واستعان
هو بها ضد حلف بغداد .

وكالعادة ، فان سوريا كانت مسرح كل صدام بين القاهرة وبغداد ، وفيها
انعكست كل المتناقضات ، وكانت دمشق هي الجائزة الكبرى ، ومن يصل الي
قلبيا يكن النجاح حليفه ، والعكس بالعكس .

وكان الحكم في دمشق تجسيدا لتناقضات العالم العربي والصراعات المزدوجة
والتداخلية فيه .

فقد كان رئيس الجمهورية ، وهو شكري القوتلي ، الذي عاد الى قصر
الرئاسة بتأييد الرياض والقاهرة - يحكم باحزاب عراقية الهوى ، وفي الحقيقة فان
الحكم كله كان مجرد واجهة شفافة لجماعات من الضباط الشبان امسكت بالسلطة
الحقيقية في عاصمة الامويين ، وراحت توجه الحوادث من وراء ستار شفاف ،
وكان معظم هؤلاء الضباط الشبان الاقوياء من العناصر الجديدة في العالم العربي
المتأثرة اما بجمال عبد الناصر واما بتعاليم حزب البعث .

وكان هؤلاء الضباط الشبان هم القوة الحقيقية في الجيش السوري ، فقد
كانوا هم قادة الوحدات العسكرية ، واما الضباط القدامى من عصر الانتداب
الفرنسي فقد كانوا بعيدين عن الوحدات ، يفضلون العمل في المكاتب ، توفر لهم
الراحة وتحقق لهم المزايا التي يطلبونها .

وكان الضباط الشبان هم الذين تولوا في الواقع مهمة حماية سوريا من كل
مخططات حلف بغداد ، واليهام في الحقيقة يرجع الفضل في فشل كل عمليات غزو
سوريا من الخارج او من الداخل ، وهي عمليات اشتدت وتعاضمت خطرهما من سنة
١٩٥٥ الى سنة ١٩٥٨ ، حينما سلم هؤلاء الضباط مسئولياتهم الى دولة الوحدة
التي قامت في تلك السنة .



ويمكن القول الآن ، وباطمئنان يستند على الوثائق السرية لحلف بغداد ،
انه كانت هناك خطة للقيام بعملية انقلاب في سوريا تتوافق مع غزو مصر ، وكان
هدفها ان تمنع اشتراك الجيش السوري في المعركة مساندا لمصر ، الى جانب
الهدف الدائم وهو السيطرة على قلب دمشق .

واستطاع الضباط الشبان في الجيش السوري ان يحصلوا على هذه الخطة
التي وضعت ووقعت بحضور الملحق العسكري العراقي في مدينة بعلبك اللبنانية ،
واستطاعوا احباطها ، ولحق ذلك تقدموا منها الى عملية نسف محطات ضسخ

البتروول ، وكان المقدم عبد الحميد السراج قائد الشعبة الثانية (المخابرات العسكرية) ، هو ابرز هؤلاء الضباط الشبان في الجيش السوري ، وكان دوره في هذه العملية هو اظهر الادوار ، وربما بسببها كان ما لاحظته الناس جميعا من مكانة خاصة لعبد الحميد السراج في نفس جمال عبد الناصر ، وهي مكانة ظلت له الى آخر يوم .

وندخل الى وقائع ما حدث

.
.

كان رئيس الجمهورية السورية السيد شكري القوتلي قد سافر الى موسكو صباح يوم الثلاثاء ٣٠ اكتوبر ، وكان قبل سفره قد اتصل تليفونيا بجمال عبد الناصر في القاهرة ليسأله عن الاخبار على الجبهة بعد بداية التدخل الاسرائيلي في الليلة السابقة ، ويسأله عما يطلبه من الجيش السوري ، وقال له جمال عبد الناصر « انه يطلب منه مواصلة سفره كما كان مقررا الى موسكو . ثم انه لا يريد من الجيش السوري الا ان يكون متنبها للاوضاع في دمشق حتى تنجلي الامور وتتضح الصورة كلها » .

.
.

وكانت الشعبة الثانية (المخابرات العسكرية) بقيادة المقدم عبد الحميد السراج ترى جزءا من الصورة يثير قلقها .

كان عبد الحميد السراج يأخذ ميثاق الدفاع المشترك والقيادة المشتركة بين مصر وسوريا والاردن ، وهو اتفاق وقع قبل العدوان الاسرائيلي بايام قليلة ، مأخذ الجسد .

وكان للشعبة الثانية مكتب اتصال نشيط في قبرص راح يبعث بمعلومات عن حشود بريطانية كثيفة تتجمع في قبرص .

وفوق ذلك ، فقد كان بعض مندوبي هذه الشعبة الثانية قد شاهدوا ضباطا فرنسيين بملابسهم الرسمية في مطارات اسرائيل .

وبعد الانذار البريطاني الفرنسي مساء يوم ٣٠ اكتوبر ، وبعد سفر شكري القوتلي ، تحققت مخاوف الشعبة الثانية ، وهكذا ذهب عبد الحميد السراج الى مكتب قائد الشعبة الثالثة في الجيش السوري ، وهي شعبة الحركات ، ليسأل قائدها عما ينوي عمله تطبيقا لميثاق الدفاع المشترك الذي لم يكد الحبر يجف على ورقه ، وقال له رئيس الشعبة الثالثة انه لا يستطيع تحريك اية قوات الا بعهد

اعلان حالة الطوارئ وحالة الحرب ، ذلك لان القرار سياسي ، ثم ان هناك مشاكل ادارية لا يمكن ان تحل على غير ذلك الاساس ، ومنها مشاكل معاشات الميدان ، الى آخره

وخرج عبد الحميد السراج من مكتب قائد الشعبة الثالثة الى مكتب القائد العام للجيش السوري في ذلك الوقت ، وهو اللواء توفيق نظام الدين ، واعاد عليه سؤاله ، ثم تطورت المناقشة الى اقتراح بان يذهب قيادة الجيش الى رئيس الجمهورية بالنيابة ، وهو السيد ناظم القدسي ، يسألونه عما يجب عمله .

كان ناظم القدسي يقيم في فندق « اوريان بالاس » في دمشق ، وفيه قابل ضباط الجيش من القادة وهو يرتدي «الروب دي شامبر» يسألهم عما يريدون ، وحين سمع منهم ، فوجئوا جميعا بجوابه ، فقد قال لهم «نحن وقعنا اتفاقا مع مصر ضد اسرائيل ، ولنفرض ان هناك عوامل جديدة ، افليس الواجب علينا ان ننتظر ؟ »

ثم اقترح ناظم القدسي تأجيل اي قرار في هذا الموضوع لفترة ٤٨ ساعة .

.
.

وعاد عبد الحميد السراج الى مكتبه في الشعبة الثانية مكتئبا ليجد اشارة تخطره بظهور قطع بحرية امام ميناءي اللاذقية وبانياس وهو نهاية احد خطوط الانابيب التي تنقل البترول من العراق الى البحر الابيض المتوسط .

وهكذا ، طرح خط الانابيب نفسه على فكر عبد الحميد السراج ، وخطر له اجراء يمكن القيام به دون انتظار ، فدعا احد ضباط لواء البادية من اصدقائه ، وطلب اليه ان يذهب على الفور وان يقوم بايقاف عمل اجهزة اللاسلكي في محطات الضخ الثلاثة الواقعة في الاراضي السورية ، وذلك بحجة ان هذه الاجهزة اللاسلكية قد تعطي اشارات للقطع البحرية التي ظهرت امام الموانئ السورية ، وخشية ان يكون هناك ترتيب لانزال على الشاطئ السوري .

ونفذ الضابط مهمته ، وتوقفت اجهزة اللاسلكي وتوقف ضخ البترول في نفس الوقت ، لان العملية كانت تدار كلها بين المحطات الثلاث بواسطة اللاسلكي .

.
.

كان عبد الحميد السراج في مكتبه حين تلقى مكالمة تليفونية تطلب اليه

التوجه لمقابلة السيد صبري العسلي رئيس الوزراء في مكتبه بسراي الحكومة .

وعرف عبد الحميد السراج ان رئيس الوزارة كان قد استقبل قبل استدعائه له سفير الولايات المتحدة - وهو القائم بالاشراف على المصالح البريطانية في سوريا ، ومعه مدير شركة خطوط الانابيب ، كما ان المقابلة حضرها السيد مجد الدين الجابري وزير الاشغال .

ولم يكن عبد الحميد السراج في حاجة الى أية معلومات مخابرات تفضسي اليه بسر استدعاء رئيس الوزراء له .

وحين دخل عبد الحميد السراج الى مكتب رئيس الوزراء ، لم يكن معه غير مجد الدين الجابري وزير الاشغال .

ولم ينتظر صبري العسلي حتى يجلس عبد الحميد السراج ، وانما بادره قائلا « ان السفير الامريكي كان عنده الان ، وانهم قلقون على توقف الضخ نتيجة توقف محطات اللاسلكي » ، واستطرد رئيس الوزراء يقول « لو شعر الانجليز ان شيئا قد حدث للخط ، فانهم سوف يقومون بعملية انزال على المحطات وعلى الخطوط ليضمنوا تدفق البترول » ، ولم يسكت رئيس الوزراء ، وانما مضى يقول « هل نقدر نحن على الانجليز ؟ ٠٠٠ هل نقدر نحن على الامريكان ؟ »

وقال عبد الحميد السراج « انه فعلا امر بتوقف محطات اللاسلكي بعد ان ظهرت قطع بحرية امام سوريا ، وقد امر بتوقف هذه المحطات لفترة مؤقتة يستطيع فيها ان يجد موظفين سوريين يحسنون الانجليزية ليجلسوا بجوار عمال الاشارة في المحطات اللاسلكية ويتأكدوا انه ليس فيما تبعث به اشارات الى القطع البحرية التي ظهرت امام الموانئ السورية » .

وتدخل مجد الدين الجابري وزير الاشغال ليقول : إنه «يستطيع ان يجد في البرق والبريد عددا من الموظفين السوريين يحسنون الانجليزية ، وانه يمكن ارسالهم الى محطات اللاسلكي ليقوموا بالرقابة على رسائلها » ، وقال عبد الحميد السراج « انه يرحب بهذا الحل على ان يكون الموظفون المكلفون هذه المهمة من عناصر يمكن ان يثق الجيش بها » .

وتساءل السيد صبري العسلي رئيس الوزراء « هل يستطيع ان اعدمهم بأن المحطات سوف تستأنف عملها - وكذلك الضخ - في فترة ثمان واربعين ساعة ؟ »

٠ ٠ ٠ ٠ ٠
٠ ٠ ٠ ٠ ٠

وعاد عبد الحميد السراج الى مكتبه ليجد اشارة صادرة عن قيادة الجيش

الى شعبة العمليات تضع لواء البادية تحت تصرف وزارة الداخلية ليتحول الى
قوة لحراسة خط الانابيب ٠٠٠ وبدأ عبد الحميد السراج يفكر .

ان تدخل الجيش السوري في المعركة لنصرة مصر يصعب تحقيقه بالظروف
السياسية السائدة في سوريا الان ٠٠٠ فهل يمكن مساعدة مصر بوقف ضسخ
بتترول العراق عبر الاراضي السورية الى البحر الابيض ؟ ان بتترول العراق هو
الذخيرة التي تعتمد عليها بريطانيا عسكريا واقتصاديا ، فهل يمكن لهذه العملية
ان تساعد موقف مصر ؟

وواصل عبد الحميد السراج تفكيره ٠٠٠

٠٠٠ ان نسف خط الانابيب في موضع واحد او في عدة مواضع لا يكفي .
لان اصلاح اي عطب في الخط ممكن في ظرف ساعات قليلة ٠٠٠

٠٠٠ ثم ان ذلك قد يؤدي الى تدخل بريطاني على شكل انزال يحمي عمليات
اصلاح الخط .

٠٠٠ واذن . فالمطلوب هو عمل اكر من ذلك ٠٠٠

٠٠٠ عمل يدمر تماما ، ولفترة طويلة ، عملية ضخ البترول عبر الاراضي
السورية ٠٠٠ ثم عمل يلغي فائدة الانزال حين يتأكد ان العطل كبير لا تكفي
لاصلاحه ساعات ولا ايام ، ولا حتى اسابيع ٠٠٠

ماذا لو جرى تعطيل المحطات ذاتها ٠٠٠ نسفها من اساسها ؟

.
.

واستدعى عبد الحميد السراج ضابطا مهندسا صديقا له كان قد انتدبه
لتدريب عدد من افراد الشعبة الثانية على العمليات الفدائية ، وكان اسمه المقدم
هيثم الايوبي .

وتحمس هيثم الايوبي للفكرة ، ولكنه قال انها تحتاج الى ثلاثة اطنان من
الديناميت ، والى وسائل نقل وحراسة لتأمين المهمة المطلوبة .

ولجا عبد الحميد السراج الى صديق آخر في مخازن الجيش حصل منه على
ثلاثة اطنان من الديناميت .

ثم لجا الى صداقات اخرى له في قوة البادية ، وامكن ترتيب ثلاث سيارات،
وقوة حراسة صغيرة ، ثم يقود القافلة كلها هيثم الايوبي ، ثم تتوجه القافلة بحذر

على طريق محطات الضخ ، وآخرها في دير الزور ، على بعد سبعمائة وخمسين كيلو مترا من دمشق ، وتقوم بنسف المحطات من اساسها واحدة بعد الاخرى .

ونفذت الخطة وسط مصاعب ، اولها مخاطر التحرك بهذه الكمية من الديناميت على طريق غير مسفلت ، وفي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل تم نسف المحطة الاولى في « تدمر » ، وفي الساعة الرابعة من الفجر تم نسف المحطة الثانية ، وفي الساعة السابعة صباحا كانت المحطة الثالثة في دير الزور قد تحولت الى حطام وانقراض .

وتلقى عبد الحميد السراج اشارة باللاسلكي من هيثم الايوبي ان العملية تم تنفيذها بنجاح ، وذهب السراج الى بيته لينام !

.
.

لم يكد عبد الحميد السراج ياوى الى فراشه حتى كان هناك طارق يدق باب بيته بعنف ، ويدعوه الى مقابلة قائد الجيش في رئاسة الاركان .

لقد حاولوا ان يتصلوا به تليفونيا ، ولكن تليفونه لم يكن يرد . وهو يطلبونه على عجل ولامر بالغ الاهمية .

وذهب عبد الحميد السراج الى القيادة ، فوجد قائد الجيش ممتقع الوجه يقول له « ان الوعد الذي قطعناه لرئيس الوزراء لم ينفذ ، وهو الان يطلبك فسي سراي الحكومة » .

وتوجه عبد الحميد السراج الى مقابلة السيد صبرى العسلي ليجد معه وزير الاشغال السيد محمد الحبيب ، تساءل السيد الحبيب : « ان الضخ ما زال معطلا ، فأين الوعد ؟ »

وقال السراج « اننا كنا ملتزمين بموعد ربعث مساء امس برسور من دير الزور الى اقرب محطة ضخ ، وابلغني قبل قليل ان هناك فيما يبدو عبثا بالانابيب ، والاتصالات التليفونية بالمنطقة صعبة ، تكاد تكون مستحيلة ، ولكننا نحاول بكل وسيلة ان نتثبت مما حدث » !

وصرخ رئيس الوزراء بأعلى صوته ، وهو يتناول ظربوشه ويضعه على رأسه :

— عبث بالانابيب ؟ عبث بالانابيب ؟ كيف ؟ « انا مستقيل » !

ورد عبد الحميد السراج يهدوء قائلاً :

— سيدي . . . ما شاني انا باستقالتك . . . انا مجرد ضابط مقدم بالجيش ،

وليست لي صلاحية ان اقبلها او ارفضها . . . فضلا عن صلاحية ان اسمع بعزمك عليها ، .

وتفجر الموقف .

.
.

ودعا السيد ناظم القدسي رئيس الجمهورية بالنيابة الى اجتماع في مكتبه لبحث الموقف ، ودعى مجلس الوزراء وقيادة الجيش الى حضوره ، وسئل عبد الحميد السراج ، وكرر قوله بأن الصورة ليست واضحة امامه لصعوبة المواصلات، وانه لم ينم الليل كله في متابعة مهام عمله في الشعبة الثانية، وبينها موضوع خط الانابيب ، وهو الان يحاول معرفة تفاصيل كاملة عما نقل اليه عن وجود عبث بالخطوط ، ولكن الصورة لم تكتمل .

وبدأت مباراة في التشدد بين وزير العدل السيد مصطفى الزرقا ووزير الداخلية السيد احمد قنبر .

كان رأيهما ان الامور لا يمكن ان تسير على هذا النحو . . . وانه لا بد من اتخاذ اجراءات رادعة . . . وانه لا بد من شنق عشرة او عشرين لكي يلتزم كل انسان حده ولا يتجاوزه .

ثم اتخذ المجلس قرارا « باتخاذ كافة الوسائل ووضع امكانيات الجيش والدولة لاصلاح اي عبث يكون قد وقع لخطوط انابيب البترول » .

واحس ناظم القدسي رئيس الجمهورية بالنيابة ان عبس الحميد السراج ساكت ، لا ينبس ببنت شفة ، وراوده شعور بأن رئيس الشعبة الثانية يعرف اكثر مما يقول .

وهكذا خرج ناظم القدسي من قاعة المجلس ، وطلب الى امين عام القصر الجمهوري ان يدعو عبد الحميد السراج الى مقابلته على انفراد في غرفة مكتبه . وتوجه عبد الحميد السراج الى مكتب ناظم القدسي الذي سألته :

– ما هو الموضوع بالضبط ؟

وقال عبد الحميد السراج :

– يا فخامة الرئيس هؤلاء الناس الذين يموتون في بور سعيد ، ليس لهم حق علينا ؟!

وقال ناظم القدسي :

– كان الله في عونهم ٠٠٠ ولكن ما يشغلني الان هو خط الانابيب ،
وقال السراج :

– ان الخط سليم ٠٠٠ ولكن العبث في محطات الضخ ،
وقال ناظم القدسي :

– ماذا جرى للمحطات ؟

ورد السراج باختصار قائلا :

– طارت ٠٠٠ طارت !

وتساءل ناظم القدسي :

– طارت ٠٠؟ كيف طارت ؟

ورد السراج :

– نسفت من أساسها ، ولا يمكن اصلاحها قبل شهر ،

وغطى ناظم القدسي وجهه بكفيه ، واستند بكوعه على المكتب ، واستفرق
في الصمت مكتفيا بنفخ الهواء بشدة من بين شفتيه .

ثم رفع رأسه ، ونظر للسراج ، وسأله :

– وما العمل الان ؟

وقال السراج :

– ما تراه يا فخامة الرئيس !

وقال ناظم القدسي انه لا يجد الان شيئا يمكن عمله الا محاولة كسب الوقت
لتدبير الموقف وعواقبه ، ونهض من على مكتبه فتوجه الى قاعة اجتماع مجلس
الوزراء وقيادة الجيش ، وعبد الحميد السراج وراءه ، ثم جلس ناظم القدسي
ليقول انه « قبل اتخاذ اي قرار فلا بد من تقرير عن مدى العبث الذي لحق
بالخطوط ، وانه يرشح قائد الشعبة الثانية – عبد الحميد السراج – ليذهب بنفسه
ويتحقق مما حدث » .

والتفت القدسي الى السراج يقول له : « تأخذ الان طائرة وتذهب » .

وكان عبد الحميد السراج يريد هو الاخر ان يكسب وقتا ، فقال :

– فخامة الرئيس ، ان كل من يعرفني يعرف انني مصاب بالجيوب الانفية،

وركوب الطائرة يقتلني من العذاب ، وذلك فأني استأذنتك في الذهاب بالسيارة» .

وكان معنى ذلك ان المهمة تقتضي يومين كاملين .

.....
.....

وخرج عبد الحميد السراج يبحث عن اللواء حافظ اسماعيل الذي كان رئيسا لهيئة اركان حرب القيادة المشتركة ، وكان في دمشق لبعض الامور المتعلقة بالتنسيق بين الجيش المصري والسوري ، وعثر عليه فعلا وهو يتناول غداءه في مطعم سقراط في وسط دمشق ، واقترب منه يقول له :

- ابعث الى الرئيس في القاهرة باننا نسفنا محطات ضخ البترول ،

ثم توجه عبد الحميد السراج الى طريق صحراء الشام الكبرى في طريقه الى دير الزور . ووصل ليجد محطة الضخ امامه انقاضا وحطاما . وشاهد احد المهندسين الانجليز واقفا بقرب الانقاض ، الحطام لا يكاد يصدق ما يرى وقال له :

- اظن ان اصلاحها ممكن في ايام ؟

وقال المهندس الانجليزي بخزيح من الارتياح والباس

- ايام ١٠٩ لو استطعنا اصلاحها في ستة شهور ، لكان ذلك مهجرا »

وكان ذلك اسعد ما سمعته اذنا عبد الحميد السراج منذ بدأت عملية العدوان على مصر .

□

كان تعطيل الملاحة بنسف باخرة محملة بالاسمنت في قناة السويس
خطوة اولى .

ثم كان « طيران » محطات ضخ البترول عبر سوريا بنسف المحطات الثلاث على الارض السورية من أساسها .

كان ذلك كله معناه توقف بترول الشرق الاوسط كله عن اوروبا الغربية وعن بريطانيا .

ولم يكن هناك بعد ناقلات بعيدة المدى تستطيع الدوران حول رأس الرجاء الصالح .

وبدأت التبادلة العسكرية البريطانية اجراءات طوارئ لمواجهة نقص

الموقود ، ثم بدأت الاجراءات بسبب نقص الموقود تطبق على الحياة المدنية في بريطانيا وفي اوربا الغربية كلها .

وبدا الجنيه الاسترليني اول واكبر نزول له في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، وفي يوم واحد بلغت خسائر الاسترليني في اسواق العملة الدولية ما يزيد على عشرة بلايين جنيه .

ونهب هارولد ماكميلان وزير الخزانة البريطاني يقول لرئيس الوزراء أنتوني ايدن :

لا بد من البحث عن طريق آخر يكفل عودة الملاحة للقناة بأسرع ما يمكن ويضمن اصلاح خط الانابيب عبر سوريا بأسرع ما يمكن ، والا ساءت العواقب واضطررنا الى مواجهة افلاس كامل .

ونظر اليه ايدن بدهشة - كما يروي ماكميلان نفسه في مذكراته - وقال له :

- اما كنت انت اكبر المتحمسين لضرورة ان فتصدى بالقوة لناصر ؟

وقال ماكميلان سرود انجليزي مشهور :

ذلك صبيح - ولكن الظروف تغيرت الان !

الحديث الثامن عشر :

الانذار السوفياتي المشهور سنة ١٩٥٦ ...
الى اي مدى كانت جدية ؟!

لقد ثار جدل طويل حول اهمية وجدية الانذار الذي وجهه الاتحاد السوفيتي في الساعة الاولى من صباح يوم ٦ نوفمبر ، وحول وقع هذا الانذار على الاطراف الثلاثة الذين وجه اليهم ، وعن تأثيره على تصرفاتهم اللاحقة عليه ٠٠٠ وما زال بعض هذا الجدل اصداء تتردد في الاجواء السياسية للمنطقة حتى اليوم .

كان الانذار في الحقيقة انذارين ٠٠٠ اولهما موجه الى بريطانيا وفرنسا بنفس الصيغة ،

وكان الثاني موجه لاسرائيل بصيغة تختلف !

● كانت اهم عبارة في الانذار الموجه الى بريطانيا وفرنسا كما يلي :

« ان قناة السويس استعملت كمبرر فقط من اجل شن حرب عدوانية مدبرة ضد الامة العربية بقصد تصفية الاستقلال الوطني لدولها ٠٠٠ واني لاتساءل في اي موقف تجد فيه بريطانيا (او فرنسا) نفسها اذا هوجمت بواسطة قوى اكبر منها تملك انواعا حديثة من اسلحة الدمار الشامل ؟ ان هذه القوى الكبيرة لمن ترسل اساطيلها البحرية او الجوية لتقتحم الشواطئ البريطانية (او الفرنسية) ، وبدلا من ذلك فانها تستطيع ان تستعمل وسائل اخرى كالصواريخ مثلا . واذ استعملت الصواريخ ضد بريطانيا وفرنسا ، فانكم بالتاكيد سوف تسمون ذلك عملا بربريا ، ومع ذلك فأي فارق بين هذا وبين غزوكم لمصر ٠٠٠ » .

● وكانت اهم عبارة في الانذار الموجه الى اسرائيل كما يلي :

« ان حكومة اسرائيل تلعب بأقدار العالم وبأقدار شعبيها بطريقة مجرمة وغير مسؤولة ، وهي تحصد الكراهية ضد دولة اسرائيل من جانب كل الشعوب الشرقية ، ومثل ذلك لا يمكن الا ان يترك اثره على مستقبل اسرائيل ، ويضع موضع التساؤل احقية وجودها ذاته كدولة . ان حكومة الاتحاد السوفيتي تتخذ الان خطوات تكفل وضع نهاية للحرب وردع المعتدي ، وعلى الحكومة الاسرائيلية ان تعيد تقدير موقفها قبل ان يفوت الاوان ، ونحن نأمل في ان الحكومة الاسرائيلية سوف تعي تماما وتقدر معنى هذا التحذير الذي نوجهه » .

.....
.....

دارت وما زالت المناقشات تدور حول اهمية وجدية هذا الانذار الذي صدر

بتوقيع المارشال بولجانين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي .

● هل كان الاتحاد السوفيتي يعني ما يقول ؟

● هل كان العالم فعلا على شفا الهاوية امام احتمال الحرب النووية بالصواريخ ؟

● هل كان لهذا الانذار اثره على اطراف التواطؤ والعدوان الثلاثي ؟

والى اي مدى لعب هذا الانذار دوره كعامل بين العوامل التي قادت قصة السويس الى نهايتها التي وصلت اليها ؟

□

اعتقد - وبمنظرة متجردة - ان السؤال الاول من هذه الاسئلة الثلاثة - وكذلك السؤال الثاني - يتعلقان باعتبارات يصعب على اي باحث في الوقت الراهن - وربما للابد - تقديرها، لأنها اعتبارات تتعلق بصميم النوايا السوفيتية، والسياسة السوفيتية لا تتحدث عن نواياها ولا تكشف عن عوامل صنع القرار السياسي في الكرملين .

وهكذا ، فاننا لا نستطيع ان نقطع بما اذا كان الاتحاد السوفيتي جادا ؟ كما لا نستطيع الجزم بما اذا كان العالم عقب صدور هذا الانذار يقف فعلا على شفا الهاوية امام احتمال حرب نووية بالصواريخ ؟

لكن السؤال الثالث مما يمكن الان الاجابة عليه . . .

اي اننا الان نستطيع ان نعرف اثر الانذار على اطراف التواطؤ - والعدوان - الثلاثي ، ونستطيع ان نعرف المدى الذي لعبه هذا الانذار ودوره كعامل بين العوامل التي قادت قصة السويس الى نهايتها التي وصلت اليها .

.
.

ولعلي ازعم ان هذه هي النقطة الحاسمة في اهمية وجدية هذا الانذار .

ان اي انذار - مهما كانت النوايا الحقيقية لاصحابه - تقاس اهميته وجديته بالطريقة التي أخذها به هؤلاء الذين وجه الانذار اليهم وليس هناك معيار آخر فيما اظن .

ذلك ان الانذار يؤدي دوره كاملا اذا استطاع ان يؤثر في مواقف الذين

وجه اليهم ، بصرف النظر عن النوايا الدفينة في قلوب وعقول الذين قاموا بتوجيهه .

أي أننا اذا اخذنا بسؤ الظن ، وقلنا ان الاتحاد السوفيتي لم يكن جادا الى النهاية في تهديده ، ولكن بريطانيا وفرنسا واسرائيل خدعت جميعا واعتبرت الانذار جدا لا هزل فيه ، وتصرفت على هذا الاساس ، اذن فان هذا الانذار يكون قد ادى دوره بمنتهى الاهمية والجديسة !



ومن حسن الحظ ان امامنا الان وثيقة نادرة تكشف وبطريقة لا خفاء فيها ولا غموض نأثير الانذار السوفيتي في اسرائيل - بالتحديد - ومن خلال ذلك فان تأثير الانذار السوفيتي في لندن وباريس يصبح ظاهرا هو الآخر امام عيوننا .

والوثيقة التي أعنيها ليست سرا ، وانما هي دراسة علمية ضخمة عن « عملية صنع القرار في السياسة الخارجية لاسرائيل » كتبها الاستاذ « مايكل بريشر » ، وهو واحد من أكبر اساتذة العلوم السياسية في الولايات المتحدة ، وقد جاءت دراسته في قرابة الف وثلاثمائة صفحة صدرت في مجلدين ، وقد اعتمدت هذه الدراسة على وثائق وزارة الخارجية الاسرائيلية كما انها اعتمدت على مقابلات شخصية اجراها الاستاذ « مايكل بريشر » مع « بن جوريون » و « جولدا مائير » و « موشي ديان » و « شيمون بيريز » و « أبا اييان » ، وغيرهم من قادة اسرائيل .

وأستاذن في الاستشهاد بفقرات طويلة من هذه الدراسة ، ومعظمها يقع ما بين صفحة ٢٨٤ الى صفحة ٢٩٠ من المجلد الثاني من هذه الدراسة ، وهي صفحات خصصها « مايكل بريشر » لدراسة دور « العامل السوفيتي » في صنع القرار الاسرائيلي الذي اعلنت اسرائيل بمقتضاه قبولها الفعلي للانذار السوفيتي الذي كان يطلب وقف اطلاق النار فوراً والانسحاب من الاراضي المصرية والاه!

.
.

يقول الاستاذ « مايكل بريشر » ما نصه :

« لقد بدأ « العامل السوفيتي » يؤدي دوره بين العوامل المؤثرة في صنع القرار الاسرائيلي حين وصل انذار بولجانين ، الذي احست القيادة الاسرائيلية انه عنيف ، الى جانب انه مهين . ولم يكن في استطاعة اي صانع قرار ان يتجاهل مثل هذه الرسالة من قوة عظمى ، وعلى اي حال فان « بن جوريون » على وجه

التحديد لم يحاول ان يقلل من خطورة هذا الإنذار ، ولذلك فانه قرر ارسال وفد عالي المستوى الى باريس للتشاور ، وكان الوفد يضم جولدا مائير ووزير الخارجية وشيمون بيريز مدير وزارة الدفاع ، وقد تقرر سفرهم في الساعة الواحدة صباحا ، وصلوا الى باريس الساعة السابعة من صباح يوم ٦ نوفمبر .

وقد اجتمعوا فور وصولهم الى باريس بكل من وزير الخارجية كريستيان بينو ، ووزير الدفاع بورجيس مانوري .

.
.

وينقل الاستاذ « مايكل بريشر » بعد ذلك شهادة « شيمون بيريز » - وزير الدفاع الاسرائيلي الحالي - عن وقائع الاجتماع الاول بين الوفد الاسرائيلي والوفد الفرنسي .

وفي هذه الشهادة يقول « شيمون بيريز » بالحرف ما يلي :

« لقد وجدنا الفرنسيين منقسمين في آرائهم حول معنى التهديد السوفيتي، ولكنهم كانوا ابعد ما يكونون عن الهدوء ، وقد عبر لنا وزير الخارجية كريستيان بينو ، عن مشاعره ازاء الموقف بقوله :

- ان فرنسا مستعدة ان تقسم مع اسرائيل كل ما تملك ، ولكنها لا تستطيع ان تقدم لاسرائيل ما لا تملكه . . . وبمنتهى الامانة فاننا لا نملك الوسائل التي ندافع بها عن انفسنا ضد الصواريخ ، واذا هاجمكم الاتحاد السوفيتي ، وحتى اذا اردنا مساعدتكم بكل ما نملك من قوة فنحن امام الصواريخ في وضع الاعزل لاننا لا نملك سلاحا مضادا للصواريخ . »

.
.

ويستطرد « شيمون بيريز » في شهادته التي قدمها « لمايكل بريشر » :
« كان وزير الخارجية الفرنسي صورة مجسدة للقلق ، وكان واضحا انه ياخذ التهديد السوفيتي بجدية بالغة ، ووجد من واجبه ان يقول بوضوح « انني اقترح ان لا تقللوا من اهمية تحذير بولجانيين » .

ثم راح وزير الخارجية الفرنسي « كريستيان بينو » يروي لنا القصة التالية :

« كان مستشار المانيا الغربية كونراد اديناور في باريس ، وكان يزور رئيس الوزراء الفرنسي « جى موليه » في مكتبه حينما وصل الانذار السوفيتي . »

ولاحظ رئيس الوزراء الفرنسي ان ضيفه الالماني قد ابدى قلقا شديدا من صيغة الانذار ومعناه ، ولم يشأ « اديناور » ان يترك المسألة للانطباعات ، بل قال لرئيس الوزراء الفرنسي :

« ارجوكم ، كصديق لفرنسا ان تنظروا في هذا الموضوع بدون اية محاولة لخداع النفس . ان الامريكيين لن يهرعوا لمساعدتكم بالرغم من حلف الاطلنطي » .

وكانت كلمات المستشار الالماني مبعث قلق شديد لرئيس الوزراء الفرنسي الذي كتب على الفور برقية الى السفارة الفرنسية في واشنطن يطلب فيها استطلاع رأي الحكومة الامريكية على اعلى المستويات في الانذار السوفيتي .

وطلب سفيرنا في واشنطن « هرفيه آلفان » موعدا عاجلا مع الرئيس الامريكي « دوايت ايزنهاور » ، وذهب لمقابلته .

ان سفيرنا - طبقا لتقريره الذي قرأته قبل دقائق من قدومكم هنا - دخل فوجد « ايزنهاور » شاحب الوجه وعصبي المزاج الى ابعد درجة ، وقد كرر للسفير الفرنسي اكثر من مرة قوله « يجب ان تنسحبوا من مصر . لا سبيل امامنا الا ان نلتزم بميثاق الامم المتحدة » ، ثم نظر الرئيس الامريكي الى السفير الفرنسي وقال له بصوت مشحون :

« اسمح لي ان اقول لك هذا يا سيدي السفير . انني اعتقد ان الحياة مثل سلم بدايته على الارض وطرفه العلوي يصعد الى السماء . وانا قريب من نهاية السلم . واريد ان اقابل خالقي بايد نظيفة لم تلوثها جريمة حرب نووية عالمية !

.
.

ويستطرد « شيمون بيريز » في شهادته التي قدمها « لمايكل بريشر » :
- بعد ان انتهى اجتماعنا وعدت الى السفارة الاسرائيلية ، اتصل بي وزير الدفاع الفرنسي « بورجيس مانوري » تليفونيا ، وقال لي :

« سوف اقول لك رأيا يختلف عما سمعته من كريستيان بينو - وزير الخارجية - انني اظن ان الانذار السوفيتي مجرد « تهويش » ، لانهم لن يتورطوا في حرب عالمية ، ومع ذلك فهذا هو رأبي الشخصي فقط ، واذا اردتم ان تضعوه في اعتباركم فخذوه باعتباره رأيا شخصيا فقط ! »

.
.

يقول الاستاذ « مايكل بريشر » :

« من الغريب ان بن جوريون كان ميالا بشكل ما الى رأي بورجيس مانوري،
ولكن موقف الولايات المتحدة جعله يعيد النظر في موقفه .

وكان اكثر ما ضايق بن جوريون - على حد قوله لي - هو ان لهجة الانذار
السوفيتي الى اسرائيل كانت تختلف عن لهجته الى بريطانيا وفرنسا . . . ففيما
يتعلق باسرائيل كانت هناك نبرة احتقار واضحة ، وكان التهديد موجها الى
اساس وجود الدولة !

وبدأت الحكومة الاسرائيلية تتلقى طول مساء ٦ نوفمبر وصباح ٧ نوفمبر
اشارات بالغة الخطر :

● تلقت الحكومة تقرير احوالته اليها السفارة الاسرائيلية في باريس ، وكانت
قد تلقت من المخابرات الفرنسية نقلان وكالة المخابرات المركزية الامريكية ، وكان
التقرير بتوقيع « بوهلن » سفير الولايات المتحدة في موسكو ، وكان يقول في
تقريره ان « الاتحاد السوفيتي ينوي توجيه ضربة قاصمة لاسرائيل تسويها
بالارض » .

● ثم تلقت الحكومة معلومات عن اسقاط طائرة بريطانية من طراز
«كانبير» فوق الاراضي السورية ، وكان تقدير المخابرات الاسرائيلية ان ذلك
يعني شيئا واحدا ، وهو ان « السوفيت يتولون الان تشغيل محطات الرادار في
سوريا » .

● ثم جاءت معلومات من السفارة الاسرائيلية في تركيا مؤداها ان هناك
طائرات سوفيتية تعبر المجال الجوي التركي بسرعة فائقة ، وعلى ارتفاعات
شاهقة ، ثم ان الحكومة السوفيتية طلبت الى الحكومة التركية السماح لبعض
بوارجها بالمرور عبر الدردنيل من البحر الاسود الى البحر الابيض .

● وبعثت السفارة الاسرائيلية في لندن تقول ان هناك حالة طوارئ
عسكرية في بريطانيا لمواجهة احتمال ظهور طائرات وغواصات سوفيتية بقرب
الشواطئ البريطانية .

● وكتب الياهو ساسون سفير اسرائيل في روما رسالة الى بن جوريون
يقول له فيها ان نظيره السوفيتي اكد له عزم الاتحاد السوفيتي على توجيه ضربة
لاسرائيل .

● ثم جاءت الكلمة الاخيرة من واشنطن على شكل خطاب من الرئيس
الامريكي ايزنهاور الى بن جوريون يقول له فيها :

« يجب ان اقول لك صراحة - يا سيدي رئيس الوزراء - انه لو صحت التقارير التي تصلنا عن رفضكم الانسحاب ، فان ذلك موقف سوف يؤدي السى اذانتكم . وسوف يكون من دواعي اسفي ان تضطرنا سياسة اسرائيل - التي يمكن ان تؤدي الى عواقب وخيمة - الى اتخاذ موقف يؤثر في التعاون الودي القائم بيننا » .

وقد وصل هذا الخطاب ومعه تعليق من ابا اييان الذي كان في واشنطن ، يطلب من بن جوريون تقدير خطورة الموقف « ازاء وجود شواهد على خطط سوفيتية ضد اسرائيل » !



وبعد منتصف الليل ، صباح ٨ نوفمبر ، كان بن جوريون في حالة اعياء كامل ، ولكنه في تلك الساعة - كما يقول الاستاذ مايكل بريشر - جلس ليكتب قراره الاستراتيجي بقبول الانذار ، وقد اختار ابلاغ ايزنهاور به لياخذ الولايات المتحدة الى جانبه في التطورات المحتملة خلال الساعات الخطيرة القادمة .

وكتب بن جوريون الى ايزنهاور يقول له بالحرف الواحد :

« انك سوف تجد اسرائيل مستعدة دائما للقيام بدورها المتواضع السى جانب الولايات المتحدة الامريكية من اجل تعزيز العدل وتقوية السلام العالمي » .

وبعثت « جولدا مائير » برسالة الى الجمعية العامة تفيد بقبول اسرائيل لمبدأ الانسحاب ، وذهب « ابا اييان » لابلاغ « همرشولد » ، وتولى « كيدرون » المندوب المناوب الاسرائيلي في الامم المتحدة ابلاغ القرار الاسرائيلي الى نظيره السوفيتي « سوبوليف » بالتليفون !

ويقول « مايكل بريشر » انه سال عددا من ابرز الشخصيات في اسرائيل ، ومن المتصلين بعملية صنع القرار السياسي فيها ، سؤالا واحدا ومحددا ، عن السبب الذي دعا « بن جورون » الى اتخاذ القرار بقبول الانسحاب من الاراضي المصرية .

وكانت ردودهم ، كما سجلها في صفحة ٢٩٠ من المجلد الثاني من دراسته ، على النحو التالي :

جولدا مائير : انني مقتنعة بانه تصرف كرد فعل « للعامل السوفيتي » .

بيريز : تسالني عن السبب في قراره ؟ . انه التهديد السوفيتي .

اييان : الانباء الخطيرة التي جاءت مساء ٧ نوفمبر وطوال يوم ٨ نوفمبر

عن استعدادات سوفيتية لاستعمال القوة •

ايتان (وكيل وزارة الخارجية الدائم) : الانباء الموثوق بها يوم ٨ نوفمبر عن المخاوف من احتمال قيام الاتحاد السوفيتي بهجوم جوي على اسرائيل فسي اليوم التالي اذا لم يتلق المندوب السوفيتي الدائم اخطارا من المندوب الاسرائيلي بان اسرائيل قبلت الانسحاب • «

ويقول « مايكل بريشر » :

– ان « بن جوريون » كان استثناء من هذا الاتجاه العام في القيادة الاسرائيلية ، وكان استثناء غريبا سلفا للنظر ، فقد قال لي :

« لم يكن يهمني ما قاله بولجانين او ما يحتمل ان يفعله • لقد كان اهتمامي كله بموقف الامريكيين • فقد كنت اعلم قوة وسائل الضغط التي يملكونها علينا ، بما يجعلنا نرضخ لطلبهم بالانسحاب • انني كنت مهتما اكثر بالامريكيين • «

وكان للصحفي الاسرائيلي الشهير « بارزوهار » تعليق على كلام « بن جوريون » ، سجله « مايكل بريشر » ، فقد قال « بارزوهار » :

– ان « بن جوريون » كان مذعورا من السوفيت ، ولكنه فضل ان يستسلم للامريكيين ! «

ثم يروي « مايكل بريشر » انه سال « بن جوريون » : كيف يوفق بين خطابه الحماسي المتهيب الذي اعلن فيه ضم سيناء وقطاع غزة الى اسرائيل ، وبين قراره بعد ذلك بقبول الانسحاب ، مع ان بين الموقفين فترة زمنية لا تزيد على ست وثلاثين ساعة ؟

وكان رد « بن جوريون » بالحرف الواحد كما سجله « مايكل بريشر » :

– لقد كان تقدمنا في سيناء سريعا ٠٠٠ كان انتصارنا سريعا جدا يا مستر بريشر ٠٠٠ وقد كنت سكران بخمر النصر ٠٠ كنت سكران بخمر النصر يا مستر بريشر ! • «

□

وهكذا نرى الانذار السوفيتي سنة ١٩٥٦ في حجه الحقيقي ، وبالقياس الى تأثيره لدى من صدر للتأثير عليهم ، وهذا هو القياس الوحيد الصحيح ، وبصرف النظر عن النوايا كما اوضحت •

● وربما قائل يقول :

– ان الانذار السوفيتي لم يجيء الا على اساس استمرار المقاومة المصرية .
وفشل الغزو البريطاني الفرنسي ، فشلا عسكريا وفشلا سياسيا .

وردي :

– ان هذا صحيح ، فلقد كانت المقاومة المصرية هي العامل الحاسم في الموقف كله ، فلم تكن هناك جدوى من انذار سوفيتي يجيء بعد عشرة ايام من وقوف مصر وحدها امام جيوش بريطانيا وفرنسا واسرائيل – لو ان مصر استسلمت امام الانذار البريطاني الفرنسي في اعقاب التدخل الاسرائيلي ، او لو ان مصر استسلمت امام قوات الغزو التي اقتحمت بور سعيد – لما كانت هناك جدوى من الانذار السوفيتي لانه سوف يجيء متأخرا كثيرا جدا عن وقته .

● وربّ قائل يقول أيضا :

– ان الانذار السوفيتي جاء بعد ظهور موقف امريكي يقف موقف التحفظ من عملية غزو مصر .

وهذا صحيح .

ولكن علينا ان نتذكر الاسباب الحقيقية للتحفظ الامريكي ، وهي اجمالا تلخص فيما يلي :

١ – رأت الولايات المتحدة ان أسلوب الغزو بالقوة المسلحة ليس الاسلوب الامثل للخلاص من جمال عبد الناصر . . . بل ان هذا الاسلوب يمكن ان يحوله اما الى اسطورة بطل في حالة نجاحه ، واما الى اسطورة شهيد في حالة فشله .

٢ – رأت الولايات المتحدة – وقد اخفى حلفاؤها نواياهم عنها – انه ليس من حق اصدقائها ان يتصرفوا من وراء ظهرها ، طالما انهم لا يملكون القوة الكافية للدفاع عن انفسهم بدونها ، وما داموا قد فعلوا ذلك فعليهم اما مواجهة الخطر الى النهاية ، واما تجرع كأس المهانة الى الثمالة !

٣ – رأت الولايات المتحدة ، واستراتيجية العصر وقتها تقوم على سياسة الردع النووي الشامل ، انها لا تستطيع مواجهة خطر تصادم نووي مع الاتحاد السوفيتي بسبب مغامرات حمقاء لحلفائها في ظروف ليس فيها ما يعرض الامن الامريكي في صميمه .

وهذا كله صحيح ، ولكن يبقى ان الانذار السوفيتي كان هو السندان الذي هبط على المطرقة ، وحطم كرامة اطراف التواطؤ – العدوان – الثلاثي .

● وربّ قائل يقول :

– لم يجيء الانذار السوفيتي الا بعد ان تبلور رأي عام عالمي وقف في الامم المتحدة بحزم ضد العدوان واطرافه ، وادانهم ودمغهم بجريمتهم ، وعلى اساس هذا الموقف العالمي تصرف الاتحاد السوفيتي تعبيرا عن طلب الحق والعدل على نطاق الدنيا بأسرها .

وهذا صحيح ، ولكنه المنطق الطبيعي فحي اي تصرف دولي ، فان اي تصرف دولي يكتسب شرعيته في المجتمع الدولي بمقدار تعبيره عن اتجاه عام سائد ، يتخطى القارات والمحيطات .

الحديث التاسع عشر:

الحرب مستمرة بوسائل اخرى !

عندما توقف القتال واعلنت دول الواطؤ - العدوان - الثلاثي انها مضطرة الى سحب قواتها من الاراضي المصرية ، كانت الحرب ما زالت مستمرة بوسيلة أخرى ، على حد تعبير « كلاوزفيتز » أستاذ علم الاستراتيجية العظيم .

كان كل ما حدث هو أن التركيز تحول من ميادين القتال الى ساحات العمل السياسي ، وأبرزها في ذلك الوقت ساحة الامم المتحدة .

كان جمال عبد الناصر يدرك انه انتصر ، وكان يقدر تقديرا متوازنا اهمية العوامل التي أدت الى انتصاره ، وترتيبها في ذهنه على النحو التالي :

١ - المقاومة المصرية المسلحة واستمرارها تعبيراً عن الارادة المصرية .

٢ - التضامن العربي الهائل لشعوب الامة كلها مع مصر ، والذي كان نفس خطوط البترول في سوريا رمزا عمليا له .

٣ - الانذار السوفيتي وتأثيره على الذين وجه ضدهم .

٤ - موقف الولايات المتحدة في رفض تقديم أي مساندة لحلفائها الغربيين واسرائيل في مواجهة مخاطر الانذار السوفيتي .

٥ - التعاطف العالمي الواسع المدى مع الشعب المصري .

ولكن جمال عبد الناصر في لحظة انتصاره كان يعي تماما ان كل انتصار مهدد ما لم يفرضه أصحابه الى النهاية ، ليصلوا به الى النتيجة الوحيدة التي تعبر عنه ، وهي انسحاب القوات المعتدية كلها ، من جميع الاراضي التي احتلتها .

هكذا ، فان جمال عبد الناصر لم يسارع الى دق طبول الفرح ، والسبى اقامة الزينات ، والى مواكب الاحتفال والابتهاج .

كان يفهم طبيعة الصراعات الحديثة ، ويعرف ان النصر معلق بحيث تكون اهداف الصراع .

ان هدف الصراع لم يكن وقف اطلاق النار ، ولا تعهد المعتديين بالانسحاب .

ولكن هدف الصراع هو كامل التراب الوطني ، وانسحاب المعتدين فعلا ، وليس مجرد التعهد بالكلمات .

كان يدرك أن انتصاره يتحقق في كماله وجلاله حين تعود كل الارض ،
و حين تتم كل مراحل الانسحاب .

وقبل ذلك فان الخطر محقق ومحيط ، و اذا لم يتنبه اصحاب النصر الى
جوهر انتصارهم ، فان ليلة الفرغ مهددة بأن تتحول هي نفسها الى ليلة
المأتم !

ومن هذا الفهم لطبيعة الصراعات الحديثة ، ومع انتقال المعركة الى
ساحة الامم المتحدة ودهاليزها السياسية ، حدد جمال عبد الناصر أولوياته
على النحو التالي :

١ - تثبيت وقف اطلاق النار .

٢ - بدء الانسحاب ومواصلة اتمامه في أسرع وقت .

٣ - تأكيد السيادة المصرية حتى على الارض الواقعة تحت الاحتلال ،
وحتى ازاء الامم المتحدة التي تحملت بمسئولية الاشراف على تدابير وقف
اطلاق النار وعمليات الانسحاب .

٤ - تأكيد سيطرة مصر على القناة ، حتى لا يتحول ضباب الحرب الى
فرصة تتمكن فيها القوى الكبرى من سرقة ملكية القناة أو ادارتها تحت أية
دعاوي تتعلل بها .

٥ - استغلال فرصة العدوان والتقدم بعدها خطوة نحو استعادة ثروات
مصرية - غير قناة السويس - جرى نهبها في عصر النفوذ الاستعماري في
مصر .



و اذا لاحظنا اتجاه تحركات جمال عبد الناصر بعد توقف القتال مباشرة ،
لوجدنا أن أول خطوة له كانت هي اختيار « جنراله العتيد » في الامم المتحدة
ليحمي القلعة المصرية فيها ، ويقود التقدم منها .

هكذا قرر جمال عبد الناصر ارسال الدكتور محمود فوزي الى الامم
المتحدة ، وأول مهامه مطلبان من جمال عبد الناصر :

● تثبيت وقف اطلاق النار .

● الانسحاب من أول خطوة الى آخر خطوة بأسرع ما يمكن .

● ثم نجده بعد ذلك يخلق أزمة بدا لكثيرين أنه لا مبرر لها ، وهي

الازمة الخاصة برفض اشتراك كندا ضمن قوة الطوارئ الدولية ، ونجد برقية منه - قبل وصول فوزي الى نيويورك - يشرح فيها وجهة نظره لهرشولد - السكرتير العام للامم المتحدة - قائلا له « انه لا يطمئن الى اشتراك كندا في قوة الطوارئ الدولية ، لان كندا احدي دول الكومنولث البريطاني ، ثم ان ولاءها للتاج البريطاني الذي له السيادة عليها ، وحكومة صاحبة الجلالة ممثلة التاج البريطاني طرف في العدوان ، ولا يمكن ان يعهد اليها بطريق مباشر أو غير مباشر بمهمة الاشتراك في حفظ السلام » .

وفوجيء ليستر بيرسون - رئيس وزراء كندا - بالطلب ، وراح يسعى بكل الوسائل لدى هرشولد ولدى جمال عبد الناصر مباشرة لكي تشترك كندا في قوة الطوارئ ، مؤكدا حياد بلاده واستقلالها في قرارها السياسي ، قائلا ان عدم اشتراكها في القوة سوف يعتبر لطمة لها ، خصوصا وانها احدي الدول التي تقدمت بالاقترح الاصلي لانشاء اول قوة سلام في التاريخ .

ووافق جمال عبد الناصر في النهاية بشروط .

ولكن هدفه الحقيقي لم يكن كندا ، وانما كان تثبيت سيطرة مصر حتى على الاراضي المحتلة التي ستدخلها قوات الطوارئ ، وأن يتم ذلك من اول لحظة .

● ثم نجد أن جمال عبد الناصر يرفض رفضا كاملا أن تقوم بريطانيا وفرنسا بأية عمليات في تطهير القناة ، سواء بمعداتها أو برجالهما .

وبعد استحكام الازمة ، يقبل جمال عبد الناصر معدات بريطانيا وفرنسا ، ولا يقبل رجالهما ، ويقبل المعدات وعليها علم الامم المتحدة ، ومقصده الحقيقي تثبيت سلطة مصر على كل ما يخص قناة السويس .

● ثم نجد جمال عبد الناصر يثير فجأة قضايا التعويضات عن الحرب وأضرارها ، وهو يعلم مقدما أنه لن يحصل على أي شيء ، ولكنه يثير الموضوع لهدف عنده ، وأن يختصم ما يعتقد حقا لمصر من ممتلكات المرعايا البريطانيين والفرنسيين في مصر .

ومرة أخرى - في هذه الاحاديث الممتدة - أترك المجال لرسائل محمود فوزي من نيويورك الى جمال عبد الناصر ، بحيث تتولى الوثائق نفسها رسم بعض ملامح الحركة المصرية في تلك الظروف الحافلة .

□

نيويورك ٢١ نوفمبر ١٩٥٦

الى السيد الرئيس

من محمود فوزي

قابلت همرشولد مرتين اليوم ، ثم :

١ - ذكر في شأن انسحاب القوات المغيرة :

أ - أنه مواصل بمنتهى الحزم والسرعة جهوده للاسراع بانسحاب تلك القوات - وذكر أنه سلم لبيينو ، وجولدا مائير ، ولويد ، أربعة أسئلة طالبا أن يتسلم الرد عليها في وقت لا يتأخر عن الاربعاء ٢١ نوفمبر ١٩٥٦ حتى يستطيع أن يتقدم الى الجمعية العامة بتقريره في هذا الشأن تنفيذيا لقرارها الخاص بالانسحاب ، وذلك في وقت لا يتعدى الخميس او الجمعة ٢٣ نوفمبر ١٩٥٦ ، على أبعد تقدير .

ب - أنه تم الاتفاق مساء أمس على أن تدخل بعض وحدات قوة الامم المتحدة الى بورسعيد ، وأن سدا سيتبعه غيره ، مما يساعد على سرعة الانسحاب ، وأضاف أن لويد مؤيد تماما لفكرة الانسحاب ، وأن بينو ليس له في هذا شأن يعتد به .

ج - ذكر انه يلاقي مقاومة عديدة من اسرائيل في شأن الانسحاب ، وانه دارت بينه بهذا الصدد وبين جولدا مائير مشادة حامية مساء أمس .

٢ - حدثته عما جاء ببرقيتكم ٧٣/٧٤/٧٥ فذكر أنه مسارح الى اتخاذ ما يلزم هذا الصدد ، وأن دخول وحدات من قوة الامم المتحدة بورسعيد سيسهل عمل هذا بالنسبة لها . وأنه طلب من اسرائيل أن يدخل الى منطقة غزة مراقبون على أن تتبعهم وحدة من قوة الامم المتحدة ، وأضاف أن التقارير التي لديه عن غزة سيئة جدا .

٣ - تحدث عن الخطوط الرئيسية التي ينوي أن يسير عليها في تقريره عن القوة الدولية وتطهير القناة ، وأعلمني أنه متحدث بمثل هذا مع لويد ، وفي أثناء اجتماعنا الثاني مساء اليوم سلمني نسخة من نص التقريرين ، كما يرجح أن يطبعهما ويوزعهما صباح الغد ٢١ نوفمبر ١٩٥٦ ، ولا ينتظر همرشولد ان يكون هذان التقريران موضع مناقشة طويلة . وسنرسل النصين باكر ببرقيتين مفتوحتين .

٤ - أعرب عن أسفه لان موضوع الجر يشوش على موضوع مصر في هذه الايام .

فوزي»

.....
.....

نيويورك ٢١ نوفمبر ١٩٥٦

الى السيد الرئيس

من محمود فوزي

زارني شبيلوف ومعه نائبه وتحدثنا على الاخص في موضوع العدوان على مصر ، وتلاقت آراؤنا بشأنه . وأعرب شبيلوف عن تأييد حكومته التام لمصر في موقفها وفيما يتصل بوجوب انسحاب القوات المغيرة حالا وانسحاب قوة الامم المتحدة بعد ذلك ، وتعويض مصر على ما أصابها من أضرار ، وعدم البحث في قضيتي قناة السويس وفلسطين في الوقت الحاضر ، وأن عملية تطهير القناة يجب ان لا تبدأ الا بعد انسحاب القوات المغيرة ، ولما اتصل الحديث بما قيل من أن فرنسا تسعى لعقد مجلس الامن للنظر في قضيتي القناة وفلسطين اتجه رأينا الى اعتبار هذه حيلة يقصد بها تحويل القضية من نطاق الجمعية العامة حيث المجال واسع لمصر ومن معها الى حيز مجلس الامن الضيق . وتكلم شبيلوف قليلا عن قضية الجر ، وأعرب عن ارتياحه لان مصر تتخذ فيها موقفا وديا نحو روسيا . وكل ما طلبه الوفد الروسي من وفد مصر في هذا الشأن هو الامتناع عن التصويت ، وهو ما يسير عليه الوفد المصري فعلا .

.....
.....

فوزي»

نيويورك ٢٣ نوفمبر ١٩٥٦

الى السيد الرئيس

من محمود فوزي

متابعة لحديثنا التليفوني مساء اليوم قابلت اليوم همرشولد وحدثته مسن جديد في شأن الاسراع بانسحاب القوات المعتدية ، وأن من الضروري البدء بمناقشة التقرير الخاص بهذا الامر ، واتخاذ قرار في شأنه قبل مناقشته ، واتخاذ قرار في شأن تقرير السكرتير العام عن قوة الامم المتحدة وعن

تطهير القناة • كذلك حدثته عن فكرة تحديد مدة الانسحاب فقال ان هذا على الأرجح ما لا يمكن الحصول على أصوات كافية له • وذكر همرشولد أنه بجانب ما يجري في الجمعية العامة ، أنه من ناحيته والحكومة الأمريكية من ناحيتها سيبدلان جهدا متصلا وضغطا بشدة على الدول الثلاث للتعجيل بالانسحاب • وأنه يأمل ان يسفر ذلك كله عن نتيجة مرضية في وقت قريب ، وأن يشمل منطقة غزة • وأضاف أنه مما يساعد على ذلك أن تستمر الحكومة المصرية في ابداء حسن استعدادها نحو تطهير القناة بشرط تمام الانسحاب •

وسأحدثه صباح الغد عن موضوع زيادة قوات الامم المتحدة في بورسعيد •

فوزي»

.....
.....

نيويورك ٢٤ نوفمبر ١٩٥٦

الى السيد الرئيس

من محمود فوزي

أخبرني همرشولد مساء اليوم أنه بالاتصال مع عملية تطهير القناة فسي المسافة بين خط وقف اطلاق النار والقنطرة - قد يتجه رأى بريطانيا الى أن تعهد بهذه العملية الى الامم المتحدة وتزودها بالمعدات اللازمة وتطلب اليها القيام بذلك في الحال • وقد ذكرت لهمرشولد كرد فعل مبدئي أن القيام بتطهير القناة قبل الانسحاب يخل بمنطق الاشياء وتسلسلها الطبيعي وموازينها ، ولا يلقي منا الا المعارضة •

فيما يتعلق بالانسحاب ، كان هناك اتجاه الى ارجاء التصويت على مشروع القرار الى يوم الاثنين ، ولكننا قاومنا ذلك وساعدنا همرشولد ، ولهذا حددت جلسة لصباح الغد ، بعد أن كان مقررا أن تكون الجلسة التالية يوم الاثنين • ولا زال هناك عدد غير قليل من الخطباء في جلسة الغد ، ولهذا يشك في أن يتم التصويت في جلسة الصباح • على أن هناك وجهة نظر يقول بها في الحاح كريشنا مينون ، وأرى أنها تصلح كوجهة نظر ، وهي ابقاء المناقشة حية وقائمة حتى يوم الاثنين أو بعده كسوط على ظهور السدول المعتدية لدفعها في اتجاه الجلاء ومحاسبتها على التأخر فيه • والعمل سائر منذ الان على تقديم موضوع الانسحاب والتصويت عليه قبل التصويت على مشروع القرار الاخر الخاص بالقوة الدولية وتطهير القناة •

هذا وسنتير من جديد مسألة المفضائع التي ترتكب في بورسعيد و غزوة ونطلب التحقيق فيها متخذين في هذا ما يلزم من الاحتياطات القانونية التي تستلزمها اعتبارات السيادة المصرية .

فوزي»

.....
.....

نيويورك ٢٦ نوفمبر ١٩٥٦

الى السيد الرئيس

من محمود فوزي

انتهزنا فرصة الهدوء النسبي يوم الاحد فاجتمعنا ، همرشولد وأنا ، اليوم لاستعراض المرقف ، وتناول الحديث :

أولا - فراري الجمعية أمس ، واتصل أكثر الحديث عنهما بجلاء القوات المعتدية وموعده ، وتبين من جديد أن همرشولد يشاطرنا وجهة نظرنا من وجوب الاسراع بالجلاء الى أقصى حد مستطاع ، وأفهمته أننا سوف لا نكف ساعة عن المطالبة بتمام الانسحاب . وذكر أنه سيقابل بعد الظهر سلوين لويسد ويثير هذا الموضوع ثانية معه في ضوء حديثنا . وانه يأمل أن نستطيع قريبا معرفة ما طلبت مرارا مرفقه من يوم تمام الانسحاب . وأضاف أنه مما سهل وسيسهل جهوده في هذا الشأن أن مصر أعربت عن رغبتها الاكيدة في المسارعة بتطهير القناة ، وان كانت وضعت لبدء ذلك شرطا معقولا هو تمام انسحاب القوات المعتدية ، وأن مصر كذلك لم تغلق الباب في وجه الكلام نظريا في موضوع التطهير وأنها بهذا دعمت الشعور بانها جادة في رغبتها في المسارعة الى عودة الملاحة في القناة الى حالتها الطبيعية . وأضاف أنه يرجو كذلك أن تسمح الحكومة المصرية بأن تقوم الامم المتحدة بعمل البصوث اللازمة في مصر والاتصال برجال الحكومة المصرية المختصين في هذا الشأن تمهيدا لبدء عملية التطهير عند تمام الانسحاب . وأعلمني أنه بالاتصال مع قرار الجمعية أمس بدأ فعلا في تنظيم جانب الدراسات التي تقوم بها السكرتارية في شأن تطهير القناة وسلمني ما سماه أوراقا داخلية مؤقتة للسكرتارية تشتمل على بعض الدراسات فسي هذا الشأن ، راجيا أن تعتبر مسلمة الي بصفة شخصية وغير رسمية ، إذ أنها محاولة أولى للدراسة وليست بعد من وثائق الامم المتحدة . وسأبعث بنص هذه الاوراق في برقية منفصلة وذلك لطولها ، وعند هذا حضر جنرال هويلر ، وهو حاليا أحد مستشاري البنك الدولي الفنيين وقد استعاره همرشولد وكان سابقا رئيس سلاح المهندسين في الجيش الامريكي وله سابق خبرة في بنما

وغيرها بهذا النوع من الاعمال ، كذلك حضر مستر ألفريد كاتسين ومستر كورديا مساعدا السكرتير العام . قال هويلر أنه ومساعدوه قاثمون بعمل الدراسات النظرية هنا منذ الان ، وأنه يأمل ان تسمح له الحكومة المصرية بالسفر قريبا الى مصر لتابعة هذا ولعمل الدراسة التطبيقية تمهيدا لبدء عملية تطهير القناة عندما يحين وقتها . وقال هويلر أنه من الجائز اذا أريد التعجيل بسير الملاحة من جديد في القناة أن تنصى بعض السفن الغارقة في القناة جانبا الى ان يحين الوقت لاجراجها من القناة كلية ، وتكلم بعض الوقت عن مستقبل القناة من الناحية الهندسية ، وأشار الى حديثه في هذا الشأن مع حلمي بهجت بدوي وعمما تطرق اليه من الموازنة بين تعميق القناة وتوسيعها وبين مد خط أنابيب للبترول موازية للقناة ، وأضاف أنه يرى نزوم الاتنين ، خصوصا لما ينتظره من زيادة كبرى في حركة الملاحة بالقناة في المستقبل القريب ، ولان مد خطوط الانابيب أقل جدا في تكاليفه من تعميق وتوسيع القناة ، ويمكن اتمامه في وقت قصير نسبيا ، ولهذا فهو يرى اتمام الامرين وعدم تفويت الافادة منهما . كذلك أضاف أنه جاد في جمع المعدات اللازمة للتطهير وعامل على ارسالها الى مصر قريبا . وكان واضحا خلال حديثه ، كما هو واضح خلال حديث كثيرين ، مدى الاستعجال والتلهف لدى الدول الغربية على المسارعة في تسيير حركة الملاحة في القناة . وهذه بمثابة ورقة ثمينة وحيوية متى لعبت كما يجب ، ولا يجوز التفريط فيها . ولم ادع اي ريب لدى همرشولد وهويلر وكل من اتحدث اليهم في هذا الشأن ، ومن بينهم الجمعية العامة كما ذكرت لها في بياني يوم الجمعة الماضي ، في ان تطهير القناة لا يمكن عقلا ولا عدلا ولا علميا ان يبدأ الا بعد تمام انسحاب القوات المعتدية ، هذا بالاضافة الى ما أفهمته لهمرشولد من أنه لا يجوز أن يذهب الى مصر أشخاص ولا معدات متصلة بعمل تطهير القناة بدون اذن الحكومة المصرية ، ومن أنه بينما لا نستطيع ولا نختار أن نمانع في عمل دراسات نظرية منذ الان بصدد تطهير القناة ، فانني لست متأكد من أن الحكومة المصرية ستوافق على القيام بعمل دراسات تطبيقية قبل انسحاب القوات المعتدية .

ثانيا - اتضح من الحديث أن همرشولد لا زال عند اتفائه معنا فيما يتصل بعمل قوة الامم المتحدة ، وبالتسلسل في حلقات تطبيق قرارات الامم المتحدة .

ثالثا - تحدث همرشولد عن الانباء التي ترد والخطابات التي توجه اليه في شأن معاملة اليهود والفرنسيين والبريطانيين ، فذكرت له أن ما لدي من معلومات لا تؤيد تلك الانباء ، ان كل ما هنالك ان بعض هؤلاء اتخذت ازاءهم اجراءات تحفظية اما لانهم خطرون على سلام الدولة او للمحافظة على سلامتهم .

زارني همرشولد في المساء وذكر لي على الاخص امرين احدهما ان سلويين لويد قال له في مقابلة بعد الظهر انه سيسعى لان تقرر حكومته يومًا للانسحاب وتبلغه للامم المتحدة ، وأضاف همرشولد انه فهم من كلام سلويين لويد ان هذا اليوم قد لا يكون قريبًا الى الحد الذي تريده مصر ، وان سلويين لويد فهم منه تماما ان مصر لا توافق على بدء تطهير القناة قبل تمام الانسحاب ، والامر الثاني ان سلويين لويد ذكر له امله في ان يستطيع ابلاغ الامم المتحدة عن ميعاد الانسحاب في مدة لا تتجاوز يومين ، وانه يرجو ان لا تتخذ الحكومة المصرية في هذه المدة أية اجراءات ضد الرعايا المذكورين ، وذلك تجنبًا لاضافة صعوبات جديدة الى الموقف . وقال همرشولد انه يتبنى هذا الرجاء . وذكرت له همرشولد ان هذه التسويات التي لا تنتهي من الحكومات المعتدية في اتمام الانسحاب أمر لا يمكن ان نقبله واننا لا نفهم هذا ، وكنا نفهم ان يقال لنا ان الانسحاب سيتم في مدة لا تتجاوز ثمان واربعين ساعة بدلا من ان يقال لنا انهم قد يخبرونا بعد ثمانية واربعين ساعة عن موعد تمام الانسحاب ، وان هذه الاساليب امتهان لعقول الناس واهدار لحقوقهم .

بالتوازي مع ما تقدم اتلقى تأكيدات عديدة صادرة من نيويورك وواشنطن ان الحكومة الامريكية بالغة الاهتمام بموضوع الانسحاب وعمل كل ما تستطيع في شأنه . وقد لا يكون هذا صحيحا ، ولكن لا يسعنا الا المداومة على حيث الحكومة الامريكية والامم المتحدة على اتخاذ كل ما يلزم في هذا الشأن .

فوزي»

.....
.....

نيويورك ٢٨ نوفمبر ١٩٥٦

الى السيد الرئيس

من محمود فوزي

١ - ذكر لي كريشنا مينون في ضوء شعوره العام وما يسمعه من نواح عديدة ان خطر تجدد القتال في مصر لا زال قائما .

٢ - اخبرني ان زيارة نهرو هنا ستكون في ١٦ ديسمبر لمدة خمسة ايام يركز جهده اثناءها في العمل السياسي الهادىء اكثر مما يركزه في الخطب والحفلات .

٣- تعلق بعض الأوساط هنا على زيارة نهرو القادمة بانها ستساعد على المزيد من اتجاه الولايات المتحدة الى انتهاج سياسة أكثر تحررا وأقل ارتباطا بسياسة الدول الغربية الاستعمارية . وسنرى .

٤ - ذكرت لكريشنا مينون وعلى يونج أهمية مسارعة نهرو بعمل كل ما يلزم في شأن تعجيل القوات المعتدية بالانسحاب وتحذير الحكومات الثلاث من تجديد القتال ، فوعد بالاتصال بنهرو في هذا الشأن .

٥ - أخبرني شيلوف الذي سيسافر اليوم أنه يعد تجديد القتال في مصر بعيد الاحتمال ، ولكنه لا يقول أن ذلك مستحال ، ولا يريد أن يخطيء ثانية كما فعل حينما ذكر في اكتوبر اعتقاده بأن بريطانيا وفرنسا لن تهاجما مصر .

٦ - قال ان هزيمة بريطانيا وفرنسا لم تقتصر على الميدان السياسي كما يذكر كثيرون بل تعدته الى الميدان العسكري ، لانهما كدولتين كبيرتين لم تستطعا تحقيق أهدافهما العسكرية .

٧ - قال انه يأمل اذا تجدد القتال أن يكون استعداد مصر قد أحكم وأن يكون على رأس وحدات الجيش المصري ضباط مفرسون يختارون من بين من ينتظر منهم اجادة القتال والصمود هم وجنودهم الى النهاية ، وأن يكون المدنيون على أكثر دراية مستطاعة باستعمال السلاح وبوسائل الدفاع .

٨ - أعرب عن ارتياحه لليقظة التي تبديها مصر حتى لا تنقلب عملية تطهير القناة ، ولو بواسطة الامم المتحدة ، الى عملية تدويل لها .

٩ - ذكر لي بوبوفتش أنه لا يعتقد أن القتال في مصر سيستأنف ، ولكنه لا يستطيع تأكيد ذلك بشكل قاطع .

١٠ - استفهم في ابتسام (وبصفة شخصية) عما اذا كان الاتحاد السوفيتي يحرض مصر على اتخاذ مواقف متطرفة ، فقلت أن موسكو ترى أن يكون أسلوبنا مزيجا من الحزم والمرونة ، وأمن على كلامي حينما ذكرت أن القاهرة هي التي تقرر بطبيعة الحال ما تفعل .

١١ - ذكر أن تيتو بالغ الاهتمام بالمسألة المصرية ، وأن يوجوسلافيا ليس لها في هذا الشأن اعتراض ولا اطماع ، وأنها تصدر في مساندها مصر عن اقتناع متحمس مع اتجاهاتها ومصالحها وسياساتها .

١٢ - ذكر لي همرشولد أنه ملاحق ل لندن وباريس وتل ابيب باستمرار في شأن التعجيل بالانسحاب قواتهم ، وانه مستعين في هذا بواشنطن التي

لا زال يجد منها تأييدا قويا وتصميما في هذا الشأن . واطاف انه سيعاود الكلام مع لويد قبل سفر الاخير ظهر اليوم الى لندن ، وانه لا زال متفائلا .

١٢ - تحدثت معه في شأن برقيتكم رقم ٧٧ ، وطلبت منه الاستفهام ممن الفرنسيين عن نيا الدبابات ، كما طلبت منه من جديد ان يعلمنا قدر استطاعته ما اذا كانت بريطانيا بدورها تنزل معدات وقوات في مصر بدلا مما تدعيه من بدء انسحابها ، فذكر همرشولد انه سيطلب من فرنسا وبريطانيا اعلامه بالحقيقة ، وكذلك تكلمت في شأن الدبابات الفرنسية ضمن خطاب اليوم المرسل نصه ببرقية مفتوحة رقم ٢٨٢ . وقد علق كريشنا بعدي على هذا وايد طلبتي بيانا عن حقيقته وفيما يتعلق ببرقيتكم الرمزية ذكر لي همرشولد ان تعليماته الاساسية والتي ما زالت قائمة لبيرنز - قائد قوة الطوارئ الدولية - هي ان يدخل الى بورسعيد اكثر ما يمكن من قوات الامم المتحدة في اوسع ما يمكن من مناطق في بورسعيد واطاف انه سيحدد هذه التعليمات اليوم وينبئني بالنتائج تباعا .

١٤ - حدثني كما فعل البعض غيره في شأن ما يذاع ويكتب عن معاملة الحكومة المصرية للفرنسيين والبريطانيين واليهود في مصر ، وقال انه لا يود ان تنقلب هذه المسألة وتكبر بحيث تلهب وتفسد العمل الانشائي الذي تحاول الامم المتحدة به اصلاح ما فسد بسبب العدوان على مصر ، كما لا يود لمصر ان تتخذ هذا الامر ذريعة للتشجيع ولتجديد العدوان عليها . واكون شاكرا لو تسلمت لعلمي البيان الموافي عن حقائق هذا الموضوع ، وما ترونه في شأن تناوله هنا .

فوزي»

.....
.....

نيويورك ٢٨ نوفمبر ١٩٥٦

الى السيد الرئيس

من محمود فوزي

حدثني نائب وزير خارجية السوفييت في غياب شبيلوف في شأن سوريا ذكرا ان القوتلي كان قد اعرب للحكومة السوفيتية عن بالغ انشغاله من اتجاهات عدوانية عديدة ، وعلى الاخص من جانب اسرائيل ، وان الوفد السوري هنا اتصل بالوفد السوفيتي وذكر له تجدد وتواتر الانباء الخاصة بتجمعات اسرائيلية كبيرة قرب الحدود السورية ، وطلب اليه ان تتحرى الحكومة السوفيتية هذا الامر من جانبها . وان الحكومة السوفيتية قامت بهذا التحري فاسفر عن انه هنالك حقيقة تجمعات اسرائيلية وسبابات

ومعدات كثيرة قرب الحدود السورية ، خصوصا في منطقتي الناصرة وطبرية ،
وان لم تكن قريبة منها الى درجة تتيح الفرصة لاتهامات مقلقة لاسرائيل .
وأضاف أن التجمعات الاسرائيلية على أية حال قريبة من سوريا بدرجة
خطيرة خصوصا بالنظر الى وسائل الحرب الميكانيكية الحديثة . كذلك أضاف
أن الجو يهيا الآن في اسرائيل وفي الولايات المتحدة وبلاد أخرى عديدة
للقيام بعمل عسكري في شأن سوريا بدعوى أن الحالة فيها مقلقة ، وأن هنالك
امتدادا للنفوذ السوفيتي في سوريا . وقال انه قد يكون من الخير اثاره هذا
الموضوع من جديد امام الجمعية العامة لا أمام مجلس الامن ، وان يقدم في
شأنه مشروع قرار لعمل التحقيق اللازم ، ولكنه عاد فقال أنه غير واثق
بتاتا من الحصول على الاصوات الكافية ولا من قبول اسرائيل عمل التحقيق
لديها . وانني على تشاور في هذا مع الوفد السوري ولم نصل بعد الى
رأي فيه حتى نسارع الى اقتراحه على حكوماتنا ، وقد يكون من ملابسات
الموضوع - بجانب رغبة الحكومة السوفيتية في مد نفوذها بالشرق الاوسط
وخلق متاعب فيه لغيرها - رغبتهما في تحويل الالتفات عن مسألة المجر ،
وذلك ما لم أنكره للوفود العربية .

فوزي»

.
.

نيويورك ٣٠ نوفمبر ١٩٥٦

الى السيد الرئيس

من محمود فوزي

ذكر لي همرشولد اليوم :

انه تلقى من سلوين لويد رسالة بانه يواجه الان في شأن انسحاب القوات
الانجليزية صعوبة لم يكن يتوقعها كثيرا ، وهي أن هنالك اتجاها في مجلس
الوزراء الانجليز وفي البرلمان لابران مسألة ما اذا كانت مصر بعد انسحاب
القوات الانجليزية ستعامل سفن انجلترا كما تعامل سفن اسرائيل . وان سلوين
لويد أشار في رسالته الى ما يذكره البعض في لندن بهذه المناسبة من أنكم
ادليتم بتصريح ذكرتم فيه ان مصر الان في حالة حرب مع انجلترا ،
وأضاف همرشولد أنه بدوره لم يكن يتوقع قيام هذه الصعوبة الاضافية التي
يعتقد أنه ما كان لها محل الا بسبب ما يخلقه جو السياسة أحيانا من مشاكل
غير متوقعة - كما أضاف أنه مستعد للمعاونة على إيجاد مخرج من
هذه الصعوبة او صيغة للتغلب عليها . وذكرت له ان اشارة انجلترا
هذه الصعوبة الان من شأنه ان يعقد الامور بلا لزوم . واتفقنا على ان نترك

الامر مؤقتا عند ذلك ونتيح الفرصة للتفكير وللاتصال بكم ، ويبدو لي أنه اذا امجعت الحكومة المصرية الى عدم التمسك بمعاملة السفن الانجليزية والفرنسية بعد انسحاب قوات البلدين كما تعامل سفن اسرائيل فقد يكفسي ان بأذنوا لي بإعلام همرشولد بهذا حتى ينهيه بدوره الى انجلترا ، وعند اللزوم الى فرنسا ، اذ أنني لا ارى من اليسير ان تصدر مصر تصريحاً رسمياً بهذا المعنى تحت ضغط وجود القوات الانجليزية والفرنسية في أراضيها . اكون شاكراً لو أبلغتموني بما تأمرون حتى أبلغه لهمرشولد في وقت قريب ، وبهذه المناسبة ذكر لي همرشولد أنه حدث ممثل اسرائيل في شأن تصريح بن جوريون الذي قال فيه أن اتفاقية الهدنة المصرية قد ماتت ، وهو التصريح الذي أشرت اليه في بياني أمس امام الجمعية العامة ، فقال ممثل اسرائيل أن ذلك تصريح قبل امام الكنيست ، وليس ارتباطاً دولياً .

ذكر همرشولد ان سلوين لويد رجاء ان يدلي بتصريح يقول فيه ان الامم المتحدة سوف تستخدم المعدات اللازمة لتطهير القناة وتحصل عليها من حيثما لزم ، بمعنى أن استخدام المعدات الانجليزية جائز . وعلق همرشولد على هذا بقوله انه طلب غير مستساغ ، ولكن سلوين لويد عد الاستجابة اليه مما يسهل مهمته في اقناع الوزارة والبرلمان للتمشي مع فكرة انسحاب القوات . وانتهى الى القول بانه لا يميل الى اصدار البيان بالاسلوب الذي اقترحه سلوين لويد ، ولكن قد يستطيع تقرير حقيقة قائمة ، وذلك بالاسلوب عادي كأن يذكر ان الامم المتحدة سوف تستخدم كل ما يلزم لها من معدات . واكد همرشولد من جديد انه على اية حال يجب ان لا يستخدم في تطهير القناة انجليز أو فرنسيون أو اسرائيليون .

فوزي

.....
.....

نيويورك ١ ديسمبر ١٩٥٦

الى السيد الرئيس

من محمود فوزي

زارني همرشولد وتحدثنا طويلاً في هدوء الاحد .

ذكر ان البريطانيين والفرنسيين اتفقوا معه على ان يسلموه غداً مذكرتين فيهما ان الحكومتين ستنفذان قرارات الجمعية العامة عن الانسحاب الفوري ، وذلك من غير ذكر تاريخ معين للانسحاب . وان لويد سينهج نفس الاسلوب في البيان الذي سيدلي به بعد ظهر غد بمجلس العموم ، وقال انه

في تلك الحالة سيعلن من جهته أن هنالك تفاهما على الاسراع بالانسحاب بحيث يكون هدفه تاريخيا لا يتعدى ١٤ من ديسمبر .

وذكرت ان كل هذا غير مرض ، وان نفس تاريخ ١٤ لم يحز قبولا من مصر باعتباره تاريخا بعيدا ، وان الانسحاب كان يجب ان يتم في وقت أقرب كثيرا ، وشاركني همرشولد في الاعراب عن الشعور ، وان كان أكد يقينه بأن الانسحاب البريطاني الفرنسي سيتم على أية حال في وقت لا يتعدى يوم ١٤ . واذاف ان البريطانيين والفرنسيين ذكروا له انه ما دام قد تقرر الانسحاب وتنفيذ قرارات الامم المتحدة فان أي تأخير قد يكون عبثا على الحكومتين واضرارا سياسيا بهما . على أنه قبل أن يعاود الاتصال بالبريطانيين والفرنسيين . في هذا لم يخبرني بالنتيجة .

حدثته في شأن انسحاب اسرائيل ، فقال ان الخطوة الاولى ستكون فعلا انسحاب اسرائيل مسافة غير كثيرة من منطقة قناة السويس ، وأن هذا لن ينسبه الاصرار على التنفيذ الكامل لقرارات الجمعية العامة .

حدثته من جديد في شأن عمل بيرنز ذاكرا أن هذا لا يتناول بأي شكل تطهير القناة أو التحقيق أو حفظ الامن أو غير ذلك من أعمال السيادة المصرية ، فوافق همرشولد على هذا ، كما وافق على ما ذكرته له من أن بيرنز اخطأ عندما عين كمساعد له بعض الاشخاص المنتمين الى جنسيات غير مرغوب فيها كالفرنسيين والنيوزيلنديين والاستراليين ، وقال انه منبه اياه الى ذلك والى وجوب تصحيحه .

ذكر ان الفريق والاستعدادات لتطهير القناة على اتم الالهبة للعمل مورا ، وأنه واثق من أن الحكومة المصرية سوف تؤيدهم وتيسر قيامهم بعملهم بسرعة .

اتصل الحديث بالنواحي القانونية في شأن اعتبارات السيادة المصرية، يجب ان تراعى بدقة كما يجب ابراز وقتية هذا جميعه .

فوافق على ذلك وقال أنه سيؤكد له ستافروبوليوس رئيس الادارة القانونية بالسكترارية ، واني من ناحيتي قد أكدته لعمر لطفي الذي يبحث هذه النواحي مع ستافروبوليوس ، وهو بحث سنسارع بارساله الى مصر بمجرد تمامه مبدئيا في نيويورك ، وذلك تمهيدا لحضور ستافروبوليوس الى القاهرة لاتمام البحث مع الجهة المختصة .

تحدث عن الفرنسيين والبريطانيين واليهود في مصر ، وسلم بأن الضجة التي أثرت أخيرا حول معاملتهم لم تكن متمشية مع الحقيقة .

حدثته في شأن سوريا والاردن والعراق وحالة عدم الاستقرار في تلك النواحي وما يقال عن تدبيرات تركية واسرائيلية وغربية وسواها قد تسبب تفاقم في هذه الحالة ، فقال انه من ناحيته منشغل وأسف في نفس الوقت لقلة وتضارب الانباء التي لديه ، وأنه رغم ذلك عامل على أن تساعد لجهات المتصلة بهذا الموضوع ، وعلى الاخص أمريكا ، في أن لا يقلت الزمام ولا يحصل انهيار . وبهذه المناسبة أذكر أن ممثل سوريا الدائم لدى الأمم المتحدة أخبرنا أنه تلقى من حكومته ما يفيد بأن المخاوف التي أعربت عنها سوريا في المدة الاخيرة ، وفي برقية وزير خارجيتها أمس لهرشولد ، ليس لها اساس كاف . كذلك أخبرنا أن رئيس الوفد الروسي بالنيابة لا زال يلاحق الوفد السوري لكي يثير هذا مسألة سوريا من جديد ، وعلق على هذا بأن قصد الوفد الروسي تحويل الالتفات عن مسألة المجر التي ستثار من جديد امام الجمعية غدا . وأننا عاملون على الاحتفاظ بطابع المودة والتعاون مع الوفد الروسي .

زرت همرشولد في المساء لتابعة حديث الصباح .

أخبرني أنه اتصل برئيس وقدي إنجلترا وفرنسا، وعلم منهما انه صدرت تعليمات مبدئية لـ «كيكلي» قائد قوات الغزو البريطاني الفرنسي- بان يتم الانسحاب في وقت لا يتعدى اليوم الذي سبق التفاهم عليه، وان هذه التعليمات ستُرسل غدا من جديد في نفس الوقت الذي يدلي فيه لويد ببيانه لمجلس العموم . وانهما كذلك أعلماه ان حكومتهما أكدتا الرغبة الان في اتمام الانسحاب ، وان هذه الرغبة لن يعوق تحقيقها اي عائق من الناحيتين البريطانية والفرنسية ، وأضاف همرشولد أنه بالاتصال مع هذا وبدون أي تسليم منه بأي ارتباط بين قوة الامم المتحدة وبين القوات الانجليزية والفرنسية ، ولكن لكي يتفادى اي حجة بريطانية فرنسية لتأخير اتمام الانسحاب فإنه بمجرد ان ترد الانباء بادلاء لويد ببيانه ، وينتظر أن يكون هذا غدا بعد الظهر في لندن وقبل الظهر في نيويورك ، فإنه سوف يذيع البيان المرسل بالبرقية التي ستُرسل عقب الانتهاء من هذه البرقية .

وقد أبدت له ، وسلم من جانبه بأن هذا ليس أحسن ما يمكن أن يكون ، لكنه لن يغير شيئا في حقيقة ما سيحدث فعلا ، وان الانسحاب البريطاني الفرنسي سيتم في اعتقاده في وقت لن يتعدى ١٤ ديسمبر . اما فيما يتصل بانسحاب اسرائيل فقد أطلعني على نص كتاب سيوجهه صباح غد الى جولدا مائير مجددا الاستفسار عن الانسحاب الاسرائيلي وتنفيذ قرارات الامم المتحدة الخاصة به .

حدثته في شأن برقيتكم أمس فقال انه سيصدر الليلة الى بيرنز تعليمات

في هذا تتضمن أيضا ان تكون الوحدة التي سترسل يوغوسلافية .

حدثته في شأن تعليماتكم التي جاءت بالبرقية الرمزية (٠٠٠) فذكر ان الدافع الرئيسي له الى اقتراح التغييرات التي رأى ادخالها هو عدم رغبته في الاعتراف برباط رسمي بين قوة الامم المتحدة والقوات المعتدية ، وهذا ما أقره عليه وأرى من الهام ان يراعي بدقة . كما أقره لهذا السبب على أن تحذف المقدمة ويحل محلها كعنوان كلمة « مفكرة » .

وان لا يكون الامر اعلانا يذاع ولكن مفكرة من ثلاث صور ، احداها لدى الحكومة المصرية والثانية لدى بيرنز والثالثة لدى القوات البريطانية الفرنسية . ومن جهة أخرى اقتنع همرشولد بالعودة فيما عدا هذا النص الاول الذي تم الاتفاق عليه مع بيرنز .

وسيصدر تعليمات في هذا الشأن الى بيرنز الليلة .

تحدثنا في شأن تطهير القناة ، وذكر ان « هويلر » وعددا من مساعديه سيكونون في أثينا الثلاثاء ، وأنه يرجو أن تأذن لهم الحكومة بالسفر الى مصر وتهيء لهم سبيل الاتصال بالجهة التي يراد أن يتحدثوا اليها ، وأن تبرق بهذا مباشرة الى سفارتنا في أثينا كسبا للوقت ويخطرنا به ، وسلم همرشولد بلا تردد بأنه يجب أن يظل مفهوما أنه لن يسمح بببدء تطهير القناة الفعلي الا بعد تمام الانسحاب البريطاني الفرنسي .

فوزي»

.....
.....

نيويورك ٦ ديسمبر ١٩٥٦

الى السيد الرئيس

من محمود فوزي

أولا : حدثني همرشولد أمس واليوم فيما يلي :

١ - فهم ان الحكومة المصرية طلبت مساعدة ممثل مدير هيئة اللاجئين بالقاهرة في شأن اليهود الذين يراد خروجهم من مصر ، وأبدى شيئا من الاستغراب لهذا الطلب قائلا انه نوع جديد ، وذكر انه سيطلب الى ممثل هيئة اللاجئين بعض الاستفسارات في هذا الشأن قبل أن يستطيع اتخاذ أي اجراء ازاءه .

ب - ذكر أن الحكومة المصرية طلبت أن يرسل الى مصر السيدات والاطفال من سكان غزة ، وأنه في حاجة الى مزيد من الوضوح في هذا الشأن كذلك .

ج - قال ان انسحاب الانجليز والفرنسيين سائر بسرعة ، ولا ينتظر ان يتأخر عن ١٤ ديسمبر ، وأنه تحدث اليوم من جديد طويلا مع وفد اسرائيل في شأن انسحاب قواتها و ينتظر بيانا عن هذا غدا ، كما يأمل أن يكون هذا البيان خيرا مما يتوقع البعض . كذلك قال أنه يشاطر مصر تمسكها بالا تجني اسرائيل اي ثمرة لعدوانها والا تبقى غزة وتيران وصنابير في يدها . وقال أيضاً رداً على ملاحظة على عدد قوة الأمم المتحدة وما يبدو من أنه كبير ، خصوصا بعد الانسحاب البريطاني الفرنسي ، أن الفكرة هي التأثير على اسرائيل وادخال اكثر ما يمكن من قوة الأمم المتحدة في غزة وحول خط الهدنة . وكان قد حدثني هو و « بانث » عن الاتجاه للاتصال بالحكومة المصرية كي يضاف الى قوة الأمم المتحدة الحالية ما يلزم لابلاغها ٦ الاف .

د - تكلم عن تطهير القناة فقال انه غير ملق بالا لاي كلام عن بدء التطهير فعلا قبل تمام الانسحاب الانجليزي الفرنسي ، من جهة .

ثانيا : ذكر في شيء من التردد أن هنالك جنوب خط وقف اطلاق النار بعض سفن نرويجية صغيرة محجوزة ، ولكنها تستطيع مواصلة سيرها ، خصوصا وان بحارتها موجودون ، وأكد ان هذا لن يستتبع بأي حال اي بدء لعملية التطهير ذاتها .

وسالت عن الموعد الذي ينتظر فيه أن يقدم الى الجمعية تقريره بمشروع تطهير القناة كما طلبت الجمعية بقرارها يوم ٢٢ نوفمبر ، فقال انه غير متأجل هذا ولا مستعجل « هويلر » .

هـ - أشار الى حل مسألة قناة السويس قائلا أنه تسلم ردا من فرنسا بأنها تقبل معاودة البحث في ذلك من حيث انتهت الجهود السابقة ومن غير أي ذكر لاقتراحات الـ ١٨ . وأضاف أنه يعتقد ان هذا هو موقف انجلترا كذلك رغم ظواهر الاشياء ، وأن على بريطانيا وفرنسا أن تختارا بين أحد أمرين ، أما التنازل عن اقتراحات الـ ١٨ ، والتحفظ بمعاونة السكرتير العام ، واما التمسك بهذه الاقتراحات والاستغناء عن معاونة السكرتير العام .

وذكر على هامش هذا أنه بينما يحتمل أن الوزارة الفرنسية باقية بعض الوقت ، فان بقاء الوزارة البريطانية أمر أقل احتمالا ، وان كان أحد لا يستطيع التنبؤ بالمستقبل . وعاد الى الإشارة بمسألة القناة ذاكرا انه اذا أريد حلها

فعلا في وقت معقول فليست الجمعية العامة هي الاداة العملية لهذا الحل .

و - عمدت على اعداد مفكرة لمسألتي التحقيق والتعويض في شأن العدوان الثلاثي الاخير ، ووجدت منه تفهما طيبا ، على انني لم افض في تناول اسلوب او حتى مكان السير في هاتين المساليتين ، وخاصة الثانية منهما .

ثالثا - ذكر «بانث» مساعد همرشولد ان اليهود بالغوا في وضع الالغام في المناطق التي كانوا فيها ، وأن السكرتارية لا تعلم بعد ما تم في شأن ابار البترول لان القوة اليوغوسلافية عاق سيرها فترة الالغام ، وأخرت وصولها الى مناطق الآبار .

رابعا - اجتمعت الوفود العربية أمس ، وأجمعت على أن تقاوم كل محاولة لبحث مسألة فلسطين في الوقت الحاضر .

خامسا - ذكر لي السفير السعودي اليرم أنه قابل « رونتري » - وكيل وزارة الخارجية الامريكية - عبدة مرات وحدثه في شأن سوريا ذاكرا له ضرورة التعاون العاقل حتى لا تنهار الامور في سوريا وحولها ، وأن الملكة السعودية تنصح بالا تجافي أمريكا سوريا ، وأنه انبنى على ذلك أن ذهب السفير الامريكي في دمشق لمقابلته رئيس الوزراء ووزير الخارجية وابدى حسن استعداد حكومته ، كذلك قال السفير أنه تكلم مع « رونتري » في شأن فلسطين طالبا عدم المسارعة في محاولة طرحها للمناقشة ، كما تحدث اليه في شأن السويس ووجوب متابعة العمل على ارضاء مصر بالنسبة لها . وابدى السفير أنه غير مرتاح على أية حال لموقف امريكا نحو القضايا العربية رغم ظواهر الامور التي توحي بعكس ذلك .

سادسا - قابلني كريشنا مينون ومعه علي جانج بحضور عمر لطفي ، وقال انه يعتقد اذا استؤنفت المباحثات لحل قناة السويس فيجب ان تبدأ من أساس جديد غير قرار مجلس الامن يوم ١٢ أكتوبر والاسس التي لخصها همرشولد يوم ٢٤ أكتوبر ، وشجعت فكرة أن يكون استئناف المباحثات على اساس جديد ، كذلك دار الكلام عن مسألتي التحقيق والتعويض في شأن العدوان الاخير ، ولم تصل به الى رأي معين في خير اسلوب لتناول هاتين المساليتين . وذكر انه على اية حال لا بد اولا من انتهاء ما سماه حالة الحرب بين مصر وبين انجلترا وفرنسا .

سابعا - قابلني نائب وزير خارجية روسيا اليوم وذكر لي ان حكومته بالغة الاهتمام بدراسة واتخاذ ما يلزم في شأن الامور الاقتصادية وما اليها مما طلبت حكومة مصر بحته . وتحدثنا في شئون سوريا وفلسطين والجزائر

والسويس والعدوان الثلاثي الاخير وما يتصل به من انسحاب وتحقيق وتعويض . ووجدت منه تفهما طيبا لوجهة نظرنا ولاسلوينا ، وان كان أبدي - كغيره من القليلين الذين تحدثت اليهم في هذا الشأن - أن السير بمسألتي التحقيق والتعويض عن طريق الجمعية العامة سوف يعترضه حتما صعاب لا يستهان بها ، ومن بينها ما ينتظر من اتجاه واشنطن الى تصالحها البين مع بريطانيا وفرنسا ، ومن صوبة الحصول على الاصوات الكافية ، بجانب أن ما تفرره الجمعية خصوصا لمسألة التعويض لن يعدو ان يكون توصية ، على أنه وافق رغم هذا على وجوب مواصلة التفكير والبحث وعمل الاتصالات اللازمة في هذا الصدد .

ثامنا - طلب مني همرشولد الليلة ان تعطى تعليمات سريعة لسفارتنا باثينا بمنح التأشيرات للجنرال هويلر ومن معه لكي يتمكنوا من السفر الى القاهرة بسرعة .

فوزي»

.....
.....

نيويورك ١٢ ديسمبر ١٩٥٦

الى السيد الرئيس

من محمود فوزي

فيما يتعلّق بما طلبتموه من ضرورة الحصول على تعويض لمصر عن الخسائر التي لحقتها بسبب العدوان الاخير ، ارى بعد التفكير والتشاور :

١ - ان يستمر تمهيد الجو لهذا والاتصال مع الدول في شأنه . وقد تحدثت فيه الى مدى مع المجموعة الافريقية الاسيوية اليوم . كذلك تحدثت فيه بعض الشيء مع وفود جديدة من بينها وفود الهند والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة .

٢ - ان يطلب الى الجمعية بحث هذا الامر ، ويقدم اليها مشروع قرار يتضمن فيما يتضمنه الاشارة الى العدوان وقرارات الجمعية الخاصة به ، والاضرار التي حدثت للاهالي والقناة وغزة وبور سعيد ، والى تعطيل الملاحة في القناة وايقاف الحركة في الموانئ المصرية . ويطلب فيه تكليف السكرتير العام ببحث هذه الامور وتقديم تقرير عنها للجمعية كي تتخذ بشأنه ما يلزم . وبينما لا ارى ان يحدد في مشروع القرار مبلغ معين ارى ان يشار فيه الى جسامه الخسائر التي تكبدتها مصر ، ويمكن بجانب هذا ان يذكر فيما يدلي الى الجمعية

به من بيان ان تلك الخسائر بلغت مئات كثره من ملايين الجنيهات . واذا فضل
ذكر مبلغ ، فخير في رأيي واصح فنيا ، ان يكون هذا فيما يدلي به من بيان وليس
في مشروع القرار خصوصا وان المشروع يتضمن البحث وتقديم تقرير عن مقدار
الخسائر .

ولم اكون بعد رأيا فيما اذا كان من الافضل في نفس الوقت توجيه مطالبه
مباشرة الى كل من بريطانيا وفرنسا ، وكذلك الى اسرائيل ان وجدنا الى هذا
وسيلة .

فوزي»

.
.

نيويورك ١٣ ديسمبر ١٩٥٦

الى السيد الرئيس

من محمود فوزي

تحدثت اليوم مع همرشولد قبل سفري الى واشنطن حيث ساكون حتى مساء
١٤ الجاري ، ثم :

١ - كلمته في تصريح « هويلر » الذي اشترمت اليه في بريقيتكم الي امس فكتب
في الحال اليه برقية حازمة اللهجة نبهه فيها الى وجوب الامتناع عن مثل ذلك وعن
كل ما لا يدخل بدقة في عمله الهندسي .

٢ - حدثته من جديد في شان رفع علم الامم المتحدة (محادثتكم التليفونية
صباح اليوم) فذكر انه مسلم بوجهة النظر المصرية ، وبان اعلام الدول المشتركة
في قوة الامم المتحدة لا ترفع الا ان اذنت بذلك الحكومة المصرية في ظروف
استثنائية كالاعياد الوطنية وسواها ، وبان علم الامم المتحدة وحده هو الذي
يرفع في الاماكن التي توافق الحكومة على رفعه فيها .

٣ - اتصل الحديث بالدول المشتركة في قوة الامم المتحدة ، فقال انه
تلقى من « بيرنز » ان الحكومة المصرية لا تعارض في البرازيل ، ثم وافق على ان
يبعث من جديد « لبيرنز » للتحقق من هذا ، ولكنني ذكرته انني اعلمه بصفة سرية
عدم موافقة مصر على اشتراك باكستان للاعتبارات التي يعلمها والمتصلة بحلف
بغداد وما اليه .

٤ - تكلم عن الانجليز والفرنسيين في مصر فقال ان الوفد البريطاني
والفرنسي ذكرا له ان حكومتيهما تفضلا في الوقت الحاضر بعد اعادة التفكير

ان لا يثار هذا الامر في الجمعية . كما ذكر له انهما تشعران بشيء من التحسين في هذا الشأن . على انهما اضافا امرين : احدهما ان الممثل البريطاني تلقى من حكومته استغاثة جديدة بشأن الخبراء المحجوزين في مصر ، وذلك بالنظر على الاخص للمناقشة التي يحتمل ان تثار غدا في البرلمان حول هذا الموضوع . والثاني هو ان اسرائيل لا زالت تفكر في ان تثير في الجمعية موضوع اليهود ، وهو ما ذكر بمناسبة ان اسرائيل على اية حال سائرة في سياسة ملتوية قصيرة النظر .

٥ - كلمته من جديد في مسألة اعمال التخريب والقتل الاسرائيلية في غزة وسيناء وسألته عن آخر ما لديه من انباء ، فقال انه تحدث مساء الامس مع وفد اسرائيل فاكد له هذا انه سيوافيه قريبا بقرار حكومته ان يتم انسحاب اسرائيل من معظم سيناء قريبا وان اسرائيل ستكف عن وضع الالفاسم ، ولكنه قال في استهتار انه لا يستطيع بعد التاكيد بان قوات اسرائيل ستكف عن اعمال التدمير الاخرى . واذاف همرشولد انه مستمر في ضغطه على اسرائيل وانه يأمل الا يضطر حاليا الى تقديم تقرير للجمعية عن عدم تنفيذ اسرائيل لقراراتها مما سوف يستتبع مناقشات طويلة جديدة وتعقيدا اضاافيا للامور ، ولكنه سوف يفعل ذلك اذا اضطر اليه . وكنت قد اعلمته باتجاهنا الى اثاره هذا الامر في الجمعية اذا لم يتلاف بسرعة وحزم .

وانتقل الحديث الى ما نشرته بعض الصحف من ان وزيرة خارجية اسرائيل قائمة بمفاوضته في مستقبل غزة ، فقال ان هذا لا اساس له بل هو يغير الواقع وانه ملاحق اسرائيل على الدوام كي تجلو عن غزة بدون اي شروط .

٦ - تكلمنا عن الحالة الدولية وما جد عليها من انهيار اضافي حتى منذ مساء امس وما زاد وضوحا من انها تقارب بسرعة درجة الانفجار ، ولو انها غير ميئوس بعد تماما من تلافيها .

فوزي»

.
.

نيويـسورك ١٤ ديسمبر ١٩٥٦

الى السيد الرئيس

من محمود فوزي

قابلت « هوفر » مساء اليوم مع السفير ، وحضر الاجتماع « ميرفي » وكيل الخارجية بالنيابة ، و « راونترى » مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق

الايوسط ورئيس قسم مصر ، وتناول الحديث المواضيع الآتية :

١ - تكلمنا قليلا عن المجر فقال « هوفر » ان الحالة خطيرة وان روسيسا مضطرة للاحتفاظ بعدد كبير من فرق جيشها في بلاد شرق اوروبا .

٢ - تكلمنا عن الجزائر فذكرت له وجهة نظرنا وضرورة التعجيل في استقلال الجزائر ولو بحل يشبه ما كان بالنسبة لمراكش وتونس . فقال « ميرفي » الذي سبق له الاقامة حوالي اربع سنوات بالجزائر انه رغم ثوران العاطفة حول هذه القضية من الجانبين فان عنده في ضوء متابعته للتطورات الاخيرة املا في الوصول الى تفاهم بشأنها بين الجزائريين والفرنسيين - واذاف « هوفر » انه لا يستطيع ان يقنبا بالشكل الذي سيخذه ذلك التفاهم .

٣ - تكلمنا عن قناة السويس ، فقال « هوفر » انه من الضروري جدا الا يحدث اي تأخير في تطهير القناة ، ومن الالهم الا يربط التطهير بتمام الانسحاب للقوات البريطانية والفرنسية ، خصوصا وان بريطانيا وفرنسا قد ارتبطتا ارتباطا جازما بانسحاب سريع ، وان اي شعور في العالم (وقد تأثرت ولا زالت تتأثر مصالحة بتعطيل قناة السويس) بان هناك تأخيرا لا لزوم له في تطهير القناة بسبب صعوبات تقيمها مصر ، فان ذلك سينتج عنه حتما انقلاب الشعور العالمي بين ليلة وضحاها من التأييد القوي لمصر الى السخط الشديد عليها . واذاف ان الانباء الآتية اليه تشعره بان هناك صعوبات تقام من جانب مصر في طريق الاسراع بعمل التطهير وان من بين هذه الصعوبات عدم السماح لفريق الامم المتحدة بالذهاب بمعداته جنوبا لمتابعة عمله . فقلت انني لا اعتقد ذلك وان المعلومات التي لدي لا تتضمن ان هناك اي تعطيل ، وانني حتى امس كنت اتكلم مع همرشولد في شأن تطهير القناة ولم يبد لي اي تشكك ، بل بالعكس جدد اعرابه عن الارتياح للمعاونة التي يلقاها هويلر وفريقه من الحكومة المصرية - كذلك قلت ان طبيعة الاشياء قد تجنبا جميعا من الوجهة العملية الدخول في اي جدل بهذا الصدد - ان هويلر وفريقه سيحتاجون الى ايام عديدة لاتمام دراساتهم النظرية والتطبيقية ، وان من المنتظر ان تكفي تلك الايام لانسحاب ما بقي من القوات الانجليزية والفرنسية واذفت الى هذا ايضا لدى التساهل والتعاون الذي تقدمت به مصر - واننا رغم اعتبارات الشعور العام الطبيعي بين المصريين في الظروف الحاضرة سمحنا بذهاب هويلر وفريقه وقيامهم بالدراسات التطبيقية - كما سمحنا بان يستخدم هويلر معدات من اية جهة ، ولا نرى كيف يطلب ان تتجاهل الحكومة المصرية الاعتبارات السياسية الواضحة في هذا الشأن وتغض النظر عن الرأي العام ومشاعر الشعب المصري ، وتسمح بان يبدأ فعلا في عملية التطهير قبل ان يتم انسحاب البريطانيين والفرنسيين . وسال هوفر لماذا لم تسمح مصر بان يبقى الفنيون البريطانيون مع المعدات البريطانية ما دام ذلك تحت لواء

الامم المتحدة - فقلت ان هذا الامر وسابقه متشابكان - وعلق هو على ذلك قائلاً انه كان مهندساً طول حياته ويعرف كيف ان من العسير جداً الاطمئنان لحسن ادارة تلك المعدات الضخمة المعقدة برجال غير الفنيين المتعودين على ادارتها . ولاحظنا انه لم يتكلم عن الحل المستقبلي لمسألة قناة السويس ، ولم نتكلم نحن من جهتنا فيه .

٤ - تكلمنا عن فلسطين وذكرت انه من الخير الاتعالج مسالمتها قبل الوقت المناسب وبعد التفاهم التام مع البلاد العربية جميعاً ، ولم يبد كبير معارضة فسي هذا الشأن ، وان كان قد ذكر ان حكومته كبيرة الاهتمام بحل هذه المسألة التي هي من الاسباب الرئيسية لعدم الاستقرار في جميع المنطقة ، وقال ان حكومته سوف يسرها تبين رأي الحكومة المصرية في هذا الشأن - وتساءل عما اذا كان الافضل علاج المسألة في الامم المتحدة عن طريق اقتراح كالذي قدمته الحكومة الامريكية، او بطريقة وضعها (تحت مظلة الامم المتحدة) مع التمهيد لحلها خارج الامم المتحدة اولا عن طريق اتصالات غير رسمية وجس نبض يقوم به فرد او مجموعة قليلة من الافراد من غير ان يكونوا وسطاء بمعنى الكلمة ، او لجنة رسمية ، حتى اذا ما بدا ان هناك آملاً للاتفاق على أسس للحل أمكن السير بالمسألة بأجهزة الامم المتحدة التي يجب على اية حال ان يحتفظ دائماً بالصلة بينها وبين القضية الفلسطينية .

٥ - تكلمنا عن الاضرار التي لحقت بالمرعيا المصريين وبالممتلكات المصرية الحكومية والفردية ، وبالاقتصاد المصري عامة ، بسبب العدوان الاخير ، ولما ذكر هوفر كلمة المساعدة قلت له ، كما سبق ان قلت « للودج » في نيويورك ، ان مصر لا تطلب مساعدة لا رسمياً ولا بشكل غير رسمي ، ولو ان الامر قد ينتهي الى ذلك . واضفت ان هنالك ناحية اخرى هامة في كيف يجب تناول موضوع التعويض عن تلك الاضرار ، وذكرت انه حتى لو اثير في الجمعية العامة كما قد مضى الى ان نفع فان هذا لا يمنع اي محاولة لحل هذا الموضوع خارج الجمعية . كذلك اوضحت ما سبق ان اوضحته « للودج » في شأن المظهر والاثر السيئين لقيام الولايات المتحدة بدور من يساعد المعتدين وينسى حتى ذكر مساعدة مصر وتعويض الاضرار البالغة التي لحقت بها ، فأجاب بان هذه نصيحة لها اهميتها ، ومع ذلك فان سياسة الولايات المتحدة تهدف الى تحقيق المصلحة الذاتية الامريكية المستنيرة ، وانها تنظر الى الشؤون الاقتصادية لكل المنطقة كمجموعة متكاملة ، ولا تنظر الى دولة بذاتها ، ولم يبد رد فعل ازاء الوضع الخاص بمصر . وقال انه فيما يتعلق ببريطانيا ومساعدتها فانه مما استلزم هذا ووجب التسارعة اليه هو ان اكثر من ثلث تجارة العالم يقوم على اساس الاسترليني ، وان الامر اذن غير قاصر على بريطانيا - وقلت اننا لا نهدف الى الافساد بينكم وبين اصدقائكم، وانما نهدف الى مزيد من التفاهم والتعاون بينكم وبيننا ، والى مزيد من تصفية

الجو وتدعيم ما ربحنا جميعا في هذا الشأن نتيجة لموقف امريكا من العدوان على مصر ، واتبعت هذا بأن تكلمت عن استمرار الحكومة الامريكية في سياستها الخاصة بتجميد الارصدة المصرية وما لهذا من مظهر واثار سيئين ، خصوصا اذا قورن بموقف الولايات المتحدة واستعدادها لبذل العون للانجليز والفرنسيين المعتدين - وكرر هوفر المعاذير التي قدمتها الولايات المتحدة منذ البداية لتبرير تصرفها هذا - ولكنه لم يظهر اي رد فعل ايجابي في اتجاه الافراج عن تلك الارصدة .

٦ - تناول الحديث المنطقة في مجموعها والعلاقات بينها وبين الولايات المتحدة ، فنذكرت انه من التناقض العمل على تقوية غرب اوروبا مع اضعاف العلاقات بالشرق الاوسط ، اذ ان هذا يضيع الغرض الاول من تقوية غرب اوروبا ، فقال هوفر اننا بطبيعة الحال نريد تحسين العلاقات مع جميع بلاد المنطقة - وقال من ناحية اخرى بان اعتماد غرب اوروبا على الشرق الاوسط اقل مما يبدو ان البعض يتصوره - وانه في الوقت الحاضر تقوم اكبر حملة عرفها التاريخ لاستنباط البترول في مناطق غير الشرق الاوسط ، كما ان شركات بناء السفن مضاعفة جهودها للاسراع ببناء ناقلات بترول ضخمة - وازداد الى هذا انه من الخير والتبصر ان نسارع جميعا الى العمل على تلافي ذلك الاتجاه في اقرب وقت ممكن وقبل فوات الاوان . وذكر ان كل ما تهدف اليه الحكومة الامريكية في المنطقة هو الاستقرار والامن في ارجائها جميعا - ثم اتبع هذا بان قال ان هنالك امرا يعده على اكبر جانب من الخطورة ، ويرى فيه هدفا لكل المحاولات التي تبذل لتحقيق الاستقرار والامن ولتحسين العلاقات بين الولايات المتحدة وبينها ، وذلك بان لدى الحكومة الامريكية تقارير وآفية من مراقبيها واجهزتها في المنطقة بنشاط « قد لا يكون معلوما لي ولا للسفير ، بل وقد لا يعلمه الرئيس » ، ولكنه نشاط توقن الحكومة الامريكية من قيامه ، وقد كان من احد مظاهره ما حدث في الكويت وفي اسرائيل - بل ان بعضه صار علنيا كالذي حصل اخيرا في لبنان . وختم كلامه في الموضوع بان قال انه اذا لم يوقف هذا النشاط المخرب الذي يقوم به هؤلاء العملاء المتهوسون فان ذلك سوف يقضي على كل امل في الاستقرار والتفاهم ، ورجا ان انهي هذا اليكم ، فوعده بذلك .

فوزي»

.
.

نيويورك ٢٤ ديسمبر ١٩٥٦

الى السيد الرئيس

من محمود فوزي

زارني همرشولد مساء اليوم ليذكر :

١ - ارتياحه الكبير لاتمام الانسحاب البريطاني الفرنسي ولظهور الضابط البريطاني الذي كان اختفى .

٢ - ان موقفا اسرائيل من الانسحاب تحسن اليوم كنتيجة للضغط المستمر عليها ولو انها ستواجهنا من ناحية ثانية بمسألتي غزة وتيران ، وانه كما بين للجمعية امس منتظر مطالبة اسرائيل بتنفيذ كل القرارات تنفيذا كاملا .

٣ - انه ادخل بعض التعديل على النص الذي اطلعني عليه امس ببرقيته الى هويلر والذي بعثت به اليوم - وذلك بأن طلب تفاصيل اكثر . وانه ابرق اليوم الى سلوين لويد كتابا من ست صحف الح فيه على وجوب الخروج من موقف التعنت والتعقيد البريطاني في شأن السفن اللازمة للتطهير وعدم الاخذ في هذا الشأن بمقاييس رجال البحرية والشكليات العقيمة التي يتمسكون بها ويتناسون فيها الاعتبارات السياسية الحيوية .

٤ - ان «نهرو» تحدث اليه امس عن شئون الشرق الاوسط حديثا عابرا لم يتناول فيه اي حل عملي لاي مسألة . وان كريشنا سيزوره هذا المساء ، وانه يأمل الا يأتي نشاط « كريشنا » المتصل بمسائل الشرق الاوسط بضرر وبلبلة اذا لم يأت بمنفعة . وبعد ان عاد الى مكتبه بعث الي بصورة رسالة شخصية قال انه تلقاها في الحال من « بينو » وانه يود لو تحدثنا بغير صفة رسمية في كيفية تناولها . وموضوع الرسالة معاملة الفرنسيين في مصر ، وصورتها مرسلت اليكم في برقية على حدة .

فوزي ،

أحد عشر العشريين:

رسائل جمال عبد الناصر من القاهرة
إلى محمود فوزي في نيويورك

كيف كان جمال عبد الناصر يقود صراعه ضد التواطؤ - والعدوان -
الثلاثي ؟ كيف كان يفكر ؟ كيف كان يصدر قراراته ؟

لقد وجدت ان خير اجابة على هذه الاسئلة هي ان اضمن هذا الحديث
- الاخير في هذه السلسلة - نماذج من رسائله الى الدكتور محمود فوزي في
نيويورك .

لقد رأينا من قبل خلال هذه الاحاديث رسائل كثيرة من محمود فوزي
الى جمال عبد الناصر ، فكيف كانت رسائل جمال عبد الناصر الى محمود
فوزي ؟

سوف اعرض هنا بعضا منها كمجرد نماذج ، ولعلي اکتفي في التمهيد
لها ان اقول انها جميعا تنطق بأسلوبه ، واصولها جميعا مكتوبة بخط يده .

.
.

القاهرة ٥ ديسمبر ١٩٥٦

من الرئيس

الى الدكتور محمود فوزي

ارى انه من اللازم ، بعد ان اتضح ان اسرائيل قامت بتخريب طرق
المواصلات والسكك الحديدية في سيناء ، وكذلك وضع الغام على هذه الطرق
مما يسبب تعطيل طويل الامد لتقدم قوات الامم المتحدة لمتابعة الانسحاب
الاسرائيلي والوصول بأسرع ما يمكن الى منطقة العريش/رفح/غزة . لذلك
ارى تقديم مذكرة لهمرشولد توضح هذا الوضع ونقترح فيها ان تنقل قوات
الامم المتحدة الى العريش رأسا ، وهي اول مدينة أهلة بالسكان ويهنا امرها
في سيناء ، على ان يكون النقل بالطائرات الى مطار العريش او بالبحر ، مع
مراعاة انه لا يوجد ميناء بل يمكن انزال القوات بقوارب الانزال من ناقلات
الجنود ، وبذلك يتم بسرعة انقاذ السكان المدنيين في العريش ورفح وقطاع
غزة ، وحماية باقي خطوط المواصلات ، وحتى نضمن الا تستمر المذابح من
جانب اسرائيل ضد الاهلين ، على ان يذكر في هذه المذكرة ان هذه المذابح

ما زالت مستمرة بطريقة منتظمة وان التخريب قائم على نطاق واسع في جميع المنشآت الموجودة في سيناء .

جمال»

.
.

القاهرة ٨ ديسمبر ١٩٥٦

من الرئيس

الى الدكتور محمود فوزي

ارى الاكتفاء بالثمانى دول المتفق عليها لتكوين قوة الطوارئ ، ولا ارجب في زيادات تجنبا لاثارة مشاكل جديدة ، ولذلك ارجوكم العمل على اكمال العدد الباقي لتكوين القوة من الدول الثمانى المتفق عليها فقط .

اما بالنسبة للقوة الكندية ، فأرجوكم تذكير همرشولد بما اتفق عليه في القاهرة من ان هذه القوة لا تصل الى مصر الا بعد اتمام عمليتي الانسحاب من بور سعيد وسيناء وغزة ، وما تعاوننا وتساهلنا احيانا الا على اساس عدم نقض همرشولد لما اتفق عليه . والاحظ انه رغم اتفائي مع همرشولد في القاهرة على اشتراك قوات اندونيسية فانها لم تصل حتى الان ، ولذلك ارجو العمل من جانبكم على زيادة عدد هذه القوات قدر الامكان وسرعة وصولها .

جمال»

.
.

القاهرة ١١ ديسمبر ١٩٥٦

من الرئيس

الى الدكتور محمود فوزي

عقد الجنرال هويلر (ممثل همرشولد في عمليات تطهير القناة) مؤتمرا صحفيا ذكر فيه ان كوبري الفردان نسف ولم يصب بقنابل الانجليز ، وقد اعطى هذا التصريح دون معاينة الكوبري معاينة دقيقة ، بل انه رآه من بعد .

انني اعتبر هذه التصريحات سياسية تساعد الدعاية المعادية لمصر ، اذ بدلا من قيام هويلر بعمله الفني المكلف به اخذ في عقد مؤتمرات صحفية والقيام بدعاية ، وهو ما يتنافى مع طبيعة عمله ، كما ان تصريحاته ذات طابع

سياسي تشير الشك باستمرار وتعوق التعاون المفروض ان يكون كاملا مع ممثلي
همرشولد .

وبناء عليه فقد طلبت ايقاف العمل الآن لحين استجلاء هذه الامور مع
السكرتير العام .

جمال،

.
.

القاهرة ١٣ ديسمبر ١٩٥٦

من الرئيس

الى الدكتور محمود فوزي

١ - بلغني ان السلطات البريطانية ستقوم بنقل الاسرى المصريين الى
قبرص ، وارى ان يتم الاتفاق العاجل على الا ينقل اي من الاسرى المصريين
العسكريين الى قبرص ، وبصفة عامة جميع الاسرى المصريين .

٢ - علمت ان الجنرال ستكويل (قائد الغزو البريطاني) بعث برسالة الى
بيرنز (قائد قوات الامم المتحدة) تتضمن انه لم تصله معلومات عن الضابط
البريطاني المخطوف ، وانه لديه عدد من الاسرى المصريين وبعض الشخصيات
الكبيرة المحجوزة لديه ، واقترح ستكويل ان يسافر احد المصريين المسؤولين
الى يور سعيد ليعمل على اعادة الضابط المخطوف ، وان ستكويل لا يعتبر
الضابط البريطاني كاسير حرب حيث انه اختطف في فترة ايقاف اطلاق النار .
وقد طلبت ابلاغ بيرنز ان منطقة بورسعيد مفصولة عن باقي انحاء الجمهورية
ولا سيطرة للسلطات المصرية عليها في الوقت الحالي ، نظرا لوجود القوات
المعتدية بها . هذا ويقهم من كلام ستكويل انه اعترف بمبدأ الرهائن ، كذا
واعترافه بوجود شخصيات كبيرة بينهم ، وهو المبدأ الذي اثارته السلطات
البريطانية ضدنا في السابق ، وقد افهم بيرنز بهذا .

٣ - مرفق برقيتان وردتا في وكالتي وانباء رويتر واليونيتدبرس متضمنتان
اعتراف رئيس وزراء اسرائيل امام الكنيست بقتل السلطات الاسرائيلية للاهالي
العرب في قطاع غزة ، ويمكن استغلالهما اذا اثير موضوع طرد الرعايا وسوء
معاملتهم .

جمال،

.
.

القاهرة ١٥ ديسمبر ١٩٥٦

من الرئيس

الى الدكتور محمود فوزي

١ - ارجوك اصدار تصريح يبين ان مصر على استعداد لاستعمال جميع المعدات البحرية وسفن الانقاذ الخاصة باعمال تطهير قناة السويس بغض النظر عن جنسياتها ، على الا يستعمل هذه السفن احد من رعايا بريطانيا او فرنسا ، وذلك حرصا وضمانا لحياتهم خصوصا وانهم سيعملون في منطقة القناة التي نالها نصيب كبير معروف للجميع من العدوان الوحشي من قتل للنساء والاطفال والسكان المدنيين ، ومن تدمير للممتلكات والمؤسسات .

٢ - ارجوك كذلك اصدار تصريح بخصوص تجميد الاموال المصرية في انجلترا وفرنسا والتي تبلغ مائة مليون جنيها في بريطانيا ، بالاضافة الى تجميد اموال الرعايا المصريين في هذين البلدين والتي تبلغ ٢٠ مليون من الجنيهات في بريطانيا ، على ان تقوم بابراز موضوع الاجراءات البوليسية العنيفة التي تتخذ ضد المصريين في كل من فرنسا وبريطانيا ، فقد طرد رعايا مصريون من المساكن والفنادق في باريس تحت ضغط البوليس الذي ضغط ايضا على اصحاب الفنادق والمساكن لعدم تمكين المصريين من الاقامة فيها . ويمكنك ايضا تقديم مذكرة في نفس الموضوع للامم المتحدة ، على ان توزع .

جمال،

.
.

القاهرة ١٦ ديسمبر ١٩٥٦

من الرئيس

الى الدكتور محمود فوزي

ارجوك لفت نظر السكرتير العام الى انه كان قد ابلغنا ان القوات المعتدية ستسحب من الاراضي المصرية يوم ١٤ ديسمبر ، ثم عاد فذكر ان الانسحاب سيتم بعد يومين من هذا التاريخ ، ثم بدأت عمليات استفزازية واضحة من القوات المعتدية في بورسعيد ، تضمنت اجراءات تفتيش للاحياء الوطنيين والمنازل ، ترتب عليها سلب ونهب لممتلكات المواطنين على نطاق واسع . يضاف الى هذا استمرار قيام القوات المعادية بدوريات بالدبابات والمصفحات بطريقة استفزازية تخرج الوطنيين عن شعورهم ، ولا يمكننا ان نسيطر على المواطنين

مع استمرار هذه الاجراءات ، خاصة وانه لم يسمح لقوات البوليس المصري بدخول بورسعيد حتى الان رغم تكرار طلبنا هذا اكثر من مرة عن طريق الجنرال بيرنز ، وما زالت قوات البوليس المصري على استعداد لدخول المدينة متى سمح لها بذلك . وقد قامت القوات المعادية بالقبض على الف مواطن مصري ببور سعيد يوم ١٥ ديسمبر امعانا في اثاره شعور الوطنيين واستفزازهم ، وقد ترتب على هذا الاجراء قتل حوالي ٣٠ مصريا ، فضلا عن محاصرة الدبابات والمصفحات للاحياء الوطنية بالمدينة واطلاقها النيران على المواطنين العزل في هذه الاحياء .

جمال،

.
.

القاهرة ١٧ ديسمبر ١٩٥٦

من الرئيس

الى الدكتور محمود فوزي

افادتني القيادة العامة اليوم بالاتي :

١ - لا زالت اعمال النسف والتدمير وبث الالغام مستمرة في سيناء رغم ما افادنا به بيرنز - بناء على طلبنا - من ان السكرتير العام ارسل لحكومة اسرائيل يبلغها وقف هذه الاعمال .

٢ - وصل تقدم القوات اليوغوسلافية على الطريق الشمالي (القنطرة - العريش) حتى الكيلو ٦١ حيث قوبلت بدورية اسرائيلية اوضحت لها انه يجب عليها الا تتقدم اكثر من الكيلو ٥٠ شرق القناة ، على ان يشمل ذلك ايضا الطريق الاوسط (الاسماعيلية - ابو عجيلة) والطريق الجنوبي (السويس - صدر الحيطان - نخل) ، واذا اريد التقدم اكثر من ذلك فيكون بعد اتفاق بيرنز مع حكومة اسرائيل ، وبذلك يمكن اعتبار تقدم القوات اليوغوسلافية موقوفا على خط يوازي قناة السويس ويبعد عنها شرقا بمسافة ٥٠ كيلومترا . وبيرنز يؤيد ما سبق ذكره في هذه الفقرة .

٣ - لا زال جنوب سيناء في ايدي الاسرائيليين ، ولا سيما منطقة آبار البترول في سدر وبلاعيم ، حيث علمت انهم يسرقون البترول الخام من هناك في مراكب تتجه الى ميناء ايلات ، علما بان بيرنز كان قد وعد بارسال مراقبين دوليين الى منطقة آبار البترول وبلاعيم لايقاف اعمال الاسرائيليين هناك ، ولكنه لم يفعل ذلك للان .

٤ - بعث قائد القوة اليوغوسلافية التي تعمل في سيناء قوة صغيرة من الشط اتجهت جنوبا في طريقها الى مدينة الطور ، ولكن بيرنز امر بعودة هذه القوة ولام القائد اليوغوسلافي على هذا التصرف ، فرد على بيرنز بأنه إنما فعل ذلك بقصد تأمين جناحه الايمن اثناء تقدمه في شمال سيناء .

٥ - لم يبت بيرنز للان في مسألة انزال قوات يوغوسلافية مباشرة في العريش ، سواء بالمطار الموجود هناك او بطريق البحر، بقصد تلافى الصعوبات المتعمدة التي اقامها الاسرائيليون لاعاقبة تقدم القوات اليوغوسلافية كالألغام وتدمير الطرق ، علما بأن بيرنز سبق ان اخبر القيادة العامة بأنه طلب موافقة السكرتير العام على انزال قوات الامم المتحدة مباشرة بالعريش .

٦ - المرجو ابلاغ همرشولد ما سبق ومطالبته بتنفيذ طلباتنا ، وتوضيح ان السبب في تعطيل تطهير القناة لا يرجع الى السلطات المصرية بل الى تلك القوات المعتدية في الانسحاب من الاراضي المصرية بوجه عام ، وان السلطات المصرية قد عاونت حتى الان معاونة صادقة في المراحل الاستطلاعية الجارية الان قبل البدء في تطهير القناة ، وارجو ان تعملوا مع السكرتير العام على سرعة انجاز الانسحاب وان يتجه النشاط الان الى سيناء وغزة .

جمال

.
.

القاهرة ١٧ ديسمبر ١٩٥٦

من الرئيس

الى الدكتور محمود فوزي

١ - رجا السفير الامريكي «هير» بناء على تعليمات من حكومته بخصوص شكوى بريطانيا وفرنسا من طرد رعاياهما من مصر ، ان نخفف من وطأة هذا الاجراء . وهذا لعلمكم .

٢ - ولو ان ابعاد الاجانب من صميم اعمال السيادة المصرية ، وليس لاحد ان يتدخل فيها ، فان مصر لا تقوم بطردهم وليس هذا من سياستها ، وكل ما حدث هو ان بعض هؤلاء اخرجوا لدواعي الامن ومحافظة على حياتهم .

٣ - لا يعدو الامر ان يكون حملة من الدعاية والتشهير بمصر تشنها بريطانيا وفرنسا بعد عدوانهما ودمغ الامم المتحدة والرأي العام العالمي لهما بالعدوان ، اذ المعروف انه لم يحدث اي حادث فردي لأي من رعايا الدولتين

في مصر ، مع انهم يعيشون وسط الشعب المصري ، وازاء هذا المسلك الكريم من جانب الحكومة المصرية ، كان الواجب الاتقلب الاوضاع بغرض الدعاية ضدها .

٤ - احبذ ان تكون لهجة بيانكم غير عنيفة .

جمال

.
.

القاهرة ٢٤ ديسمبر ١٩٥٦

من الرئيس

الى الدكتور محمود فوزي

١ - ارجو ابلاغ همرشولد ما يلي :

١ - وضح ان موقف هويلر الان لا يدعو الى الارتياح ، فقد بدأ يطالب ببقاء عدد اكثر من السفن ، كما يطالب ببقاء الافراد واطقم هذه السفن بالكامل ، وكذا يرغب في بقاء هؤلاء الافراد لمدة غير محددة ، وهذا مخالف لما اتفق عليه ، وكما نفهم نحن ان التعليمات التي يصدرها همرشولد الى هويلر تتمشى وتتفق تماما مع اتفاننا مع همرشولد ، ومع ذلك فان هويلر يدعي دائما انه يعمل على اساس ان لديه تعليمات من همرشولد في تصرفاته .

فهل حدث تغيير فيما تم بيننا من اتفاقات ، علما باننا لا يمكن ان نوافق على اي تغييرات فيما اتفق عليه من ان جميع السفن وجميع الافراد ترحل في حدود ١٠ يناير القادم على اساس ان يكون كل الاطقم والافراد من الامم المتحدة وليسوا من الفرنسيين او الانجليز .

ب - ان هذا الموضوع يجب ان يسير وفق كل ما اتفق عليه حتى لا تشعر مصر ان هناك امور غير طبيعية تتداخل في العملية ، والا ستضطر مصر الى ارسال مذكرة رسمية تطلب فيها عدم بقاء هويلر حيث لا يمكن ان نتفق ونتعاون مع شخص يخرج عن الاتفاقات التي بيننا وبين السكرتير العام . كما يبلغ همرشولد ان الحكومة المصرية قلقة بالنسبة لموقف هويلر وما يبديه من تصرفات .

٢ - يطلب بيرنز ان يبقى بعض افراد من القوة الفنلندية لحراسة السفن البريطانية الباقية في بورسعيد لاحتمال استخدامها في تطهير القناة - حسب قول بيرنز - وارى ان مصر لا توافق على مبدأ بقاء اي قوة اجنبية لغرض

اعمال الامن والحراسة في ارض مصرية ، حيث ان كل ما يتعلق بالامن داخل جمهورية مصر هو من اختصاص السلطات المصرية وحدها فقط .

٣ - ارجو تقديم مذكرة للسكرتير العام يطلب فيها النظر في فظاعة وسرقات الفرنسيين واعتداءاتهم على المدنيين وممتلكاتهم في بورسعيد ، وذلك كرد على المذكرة الفرنسية . وارجوك العمل على ان يقوم السكرتير العام بابلاغ الفرنسيين انه تسلم هذه المذكرة من الحكومة المصرية ، وكذا استعداد مصر لمناقشة الموضوع بالكامل في الامم المتحدة .

جمال،

.
.

القاهرة ٢٥ ديسمبر ١٩٥٦

من الرئيس

الى الدكتور محمود فوزي

الان وقد تم جلاء قوات العدوان البريطاني الفرنسي من بورسعيد ابعدت اليك بكل التقدير والشكر على ما قمت به وكان له اكبر الاثر فيما تحقق ، ولكننا الان في منتصف الطريق ، وتفكيري في المرحلة القادمة من الطريق كما يلي :

١ - ستحاول اسرائيل الابطاء في الانسحاب من قطاع غزة لان مطامعها فيه معروفة ، وارى ان يعلم الجميع ، والسكرتير العام بصفة خاصة ، اننا على استعداد لاستئناف القتال اذا لزم الامر لتحرير قطاع غزة .

٢ - لعلمك الخاص فقط ، وحتى يجيء الوقت الملائم ، فانا لا احبذ اجراء اية مفاوضات مع اي طرف بشأن مستقبل قناة السويس ، لانني ارى ان العدوان اسقط حق هؤلاء الذين يدعون بحرصهم على القناة من اي نقاش حول مستقبلها ، ورأيت ان اي شيء يتعلق بمستقبل قناة السويس لا بد ان يكون اعلانا من جانب مصر وحدها وبمقتضى سياستها دون اشتراك احد آخر فيه .

وارجوك ان تفكر في الطريقة والظروف والاسلوب الذي يمكن فيه اثاره ذلك .

٣ - لعلمك الخاص فقصدى من الالحاح في مسألة التعويضات المستحقة لنا عن الحرب هو انه من حقنا الان ان نأخذ جميع المصالح البريطانية والفرنسية

التي استولوا عليها من غير وجه حق وبالخداع والاغتصاب ، وانا لا اتصور كيف يمكن لنا ان نعيد الى الانجليز والفرنسيين ما كان لهم في البنوك وشركات التأمين وشركات تجارة القطن وخلافه .

واتجاهي انني لن اعيد شيئا من ذلك باي حال من الاحوال ، وكله لا بد ان يعود للملكية مصر .

لذلك فان الحاحي عليك في موضوع التعويضات التي نطلبها هو ان نثبت لانفسنا حق الخصم مما لهم تحت ايدينا من الممتلكات .

وتستطيع ان تطلب ما بين ٥٠٠ مليون جنيه و١٠٠٠ مليون جنيه من التعويضات ، وهم لن يدفعوا لنا قرشا واحدا مهما قلنا ، ولكننا نستطيع هنا ان نستوفي حقنا من ممتلكاتهم .

ارى تأجيل حضورك الى القاهرة الان ، فبقاؤك في نيويورك مهم حتى برغم اجازات الاعياد .

اتمنى لك التوفيق ، واقدر كل التقدير مجهودك ، ولك تحياتي .

جمال»



وتصل قصة السويس الى قرب نهايتها ، كاكمل واشمل انتصار حققه العرب في العصر الحديث ، بالمعنى الحقيقي للنصر في هذا العصر

.
.

وسلام على السويس.

كلمة ختام

كتبت هذه المجموعة من الاحاديث عن «قصة السويس» في صيف سنة ١٩٧٦ وفي مناسبة ذكرى مرور عشرين سنة بالضبط (١٩٥٦ - ١٩٧٦) على هذه المعركة التي كانت اخر المعارك في عصر العمالقة والتي كانت اشمل واكمل انتصار في تاريخ العرب الحديث وذلك بمفاهيم الحرب المحدودة ، وهي الحرب الوحيدة الممكنة في عصر التوازن النووي .

وفرغت من كتابة هذه المجموعة مع خريف ١٩٧٦ وسافرت بعد ذلك في رحلة الى «اوروبا» حملتني - ضمن عواصم اخرى - الى «لندن» و«باريس» واذا بي اجد - رغم شواغل اليوم الملحة - ان «السويس» هي موضوع الساعة في العاصمتين الكبيرتين وان المناسبة التي دعتهن الى الاهتمام هي المناسبة التي دعتهن الى الاهتمام : ذكرى مرور عشرين سنة على القصة التي هزت العالم وغيّرت الكثير من اوضاعه وموازينه !

في «لندن» مثلا كان التلفزيون البريطاني يقدم كل اسبوع برنامجا تاريخيا مصورا وموثقا عن السويس ، وقد رأيت بنفسى برنامجين من هذه البرامج : اولهما دبلوماسي وكان نجمه هو «سلوين لويدي» وزير خارجية بريطانيا وقتئذ السويس ، وثانيهما عسكري وكان نجمه الجنرال «ستكويل» قائد القوات البريطانية المشتركة في حرب السويس .

والى جانب ذلك فقد كان هناك كتاب «موشى ديان» رئيس اركان حرب القوات المسلحة الاسرائيلية وقت السويس وكان الجديد فيه هو اعترافه بأسرار التواطؤ البريطاني - الفرنسي اعترافا كاملا وكانت لذلك ضجة كبرى في بريطانيا .

وفي «باريس» مثلا كان هناك كتابان بأقلام نجوم شاركوا في عملية السويس اولهما كتاب «كرتسيان بينو» وزير خارجية فرنسا وقتها وكتاب «أبل

توماس» مدير وزارة الدفاع الفرنسية والذي لعب دورا كبيرا مع نظيره «شيمون بيريز» الاسرائيلي في ترتيب «التواطؤ» والاعداد لمؤامرتة .

وشاءت المقادير ان تضيف الى اسباب الاهتمام الدائم بالقصة عنصرا جديدا وهو وفاة «انتوني ايدن» - لورد أفون - في يوم توافق - بعد عشرين سنة - مع نفس اليوم الذي قدم فيه استقالته من رئاسة الوزارة البريطانية تحت ضغط الهزيمة المروعة والفضيحة المجلجلة في السويس - وهكذا فان ذكريات السويس - وحتى اشباحها - عادت الى الحياة فجأة تملأ برامج التلفزيون وتجري على اعمدة الصحف بمقالات مستفيضة بالتحليل والوقائع ، وصورا تستعيد مشاهد الماضي وكأنه بعث حيا من جديد .

وكان من المصادفات ان هيئة الاذاعة البريطانية اختارتني لآكون المتحدث العربي الذي يعلق بالرأي على وفاة «ايدن» وكان مؤدى ما قلته وقد اذيع ونشرته كبريات الصحف البريطانية ان ايدن «لم يفهم حركة التاريخ ولا روح العصر وبالتالي فقد وقع ضحية للآثنين قبل ان يقع ضحية لعبد الناصر في صراع الارادات الكبير بين الآثنين الآثر العربي والدبلوماسي السياسي البريطاني المخضرم» .

واعترف انه قد احزنني اننا في مصر تجاهلنا مناسبة ذكرى السويس في حين ان الدنيا كلها كانت تحتفل بها حتى اولئك الذين كانت السويس عليهم ولم تكن السويس لهم ، ولم اجد تفسيراً لهذا التجاهل مقنعاً او مفيداً فآلتجربة في البداية والنهاية ملك الامة وليست ملكا لآي فرد . ونحن حين نتجاهل التاريخ لا نلغيه ولكننا نخرج انفسنا من دائرة حركته .

ولا تستطيع مصر - ولا تستطيع امتهآ العربية - ان تخرج من دائرة التاريخ وحركته والآفاين هي حتى من المستقبل !! .

محمد حسنين هيكل

توزيع: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر
ص.ب. ٨٣٧٥
تلفون ٣٤٤٣٤٦
بيروت - لبنان

To: www.al-mostafa.com